

الدم

في شعر العربي الحديث

في سورية ولبنان وفلسطين

الدكتور جهاد فيض الإسلام

اشاره

سرشناسه: فیض الاسلام، جهاد، 1343

عنوان و نام پدیدآور: القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه و لبنان و فلسطین «1948-2000 م.» / جهاد فیض الاسلام.

مشخصات نشر: قم، مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفی صلی الله علیه و آله، 1390 ش / 1433 ق

مشخصات ظاهری: 352 ص

شابک: 978-964-195-596-2

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی

موضوع: شعر عربی -- قرن 20 م. -- تاریخ و نقد

موضوع: بیت المقدس -- شعر

رده بندی کنگره: PJA 2285 / ف 9 ق 4 1390

رده بندی دیویی: 892/71609

شماره کتابشناسی ملی: 2640594

ص: 1

الإهداء

إلى الذين تضرّجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج: فلسطين إلى شهداء المقاومه فى جنوب لبنان الخالدين

إلى روح الإمام الخمينى المنادى بتحرير القدس

إلى السيد القائد الخامنئى

إلى السيد حسن نصر الله

إلى كل المناضلين والمقاومين

إلى الجمهوريه الإسلاميه فى إيران حكومه وشعباً

إلى أمى وإلى أبى رحمه الله

إلى زوجتى وأولادى لما تحملوه فى هذا الطريق الشاق

إلى كل من علّمنى حرفاً

وإلى كل من أخذ بيدى نحو الصواب أهدى هذا العمل المتواضع.

القدس فى الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين

«1948-2000 م»

الدكتور جهاد فيض الإسلام

ص:3

القدس فی الشعر العربی الحدیث

فی سوریه ولبنان وفلسطین

المؤلف: الدکتور جهاد فیض الإسلام

الطّبعه الأولی: 1433 ق / 1391 ش

النّاشر: مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للترجمه والنشر

المطبعه: توحید السّعر: 55000 ریال عدد النّسخ: 2000 نسخه

التوزیع:

قم، ساحه الشهداء، شارع الحجتیّه، معرض مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للترجمه والنشر.

هاتف - الفکس: 9-02517839305

قم، شارع محمّد الأمین، تقاطع سالاریّه، معرض مرکز المصطفی صلی الله علیه و آله العالمی للترجمه والنشر. هاتف: 02512133106 فکس: 02512133146

www.eshop.miup.ir www.miup.ir

root@miup.ir E-mail: admin@miup.ir

ص:4

كلمه الناشر

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً) والصلوه والسلام على النبىّ الأمين محمّد صلى الله عليه و آله وآله الهداه المهديين وعترته المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعه عشر قرناً على طيله تاريخها العلمى المشرّف مستوىً من التغيّر المستمرّ فى الحركه إلى الأمام على صعيد الثقافه والحضاره الإسلاميه فأوجد تطوّراً منهجيّاً فى العلوم الرئيسه المختصّه بالشريعه ک -: الفقه الإسلامى وعلم الكلام والفلسفه والأخلاق.. وتبعاً لهذا الجانب ترک التطوّر انطباعاً موازياً بيّناً فى العلوم الأدواتيه ک -: المنطق وعلم الرجال والحقوق....

وفى ضوء انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه المعظّمه وحدثها الداعى إلى رؤيه دينيه حديثه فى نطاق الحكم بغضون القرن الداعى إلى الإنفلات من ظلّ الدين والأيديولوجيه الدينيه وما يعرض فى مسرح أحداثه من تطوّرفى مسار نظريّات العلاقات الدوليه أو تصاعد الأسئله المعرفيّه المتعلّقه بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغله لذهن الإنسان الحاضر وكذلك

ماحصل من توسّع لدى علم الوجود الإنسانى فى ظلّ الأحداث والمتغيرات المعنيه بهذا الجانب؛ جعلت المفكّر الإسلامى فى أعلى مستوى من المسؤوليه أكثر ممّا سلف، خاصّه فى الدول الإسلاميه التى باتت فى محاوله ضروريه لمواجهه الشعارات الخاويه فى عصر العولمه فى ضوء التدقيق والملاحظه والنقد البنّاء لاجتياح أىّ فقره يخشى أن تسبّب مشكلات فى مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصعيد الحوزوى والجامعى النيّر ضروره الوقوف على آخر المستجدّات الفكريه فى حقولها المتعدّده والاستعانه بضروب من التحقيق العلمى الرصين بمعايير عالميه حيّه لتوظّف فى نطاق الدين والشريعه للإجابه على المتطلّبات العصريه والمنطلق الداعى إلى التكامل والتعالى فى ظلّ الدين والتزام نظامه فى العلم والحياه من جهه أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزه العلميه مسؤوليه وضع حدّ لردع الجانب العولمى وتبعاته المنحطّه على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤيه التصدّى لهذا الأمر فى عنايه من مؤسسى الحوزه العلميه، هذه الشجره الطيبه التى (أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِى السَّماءِ) ، سيّما الإمام الخمينى رحمه الله الراحل والقائد المبجّل الإمام السيّد على الخامنئى دام ظله الوارف فى الوقت الراهن.

وقد سعت جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه فى ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى للترجمه والنشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمى الهامّ.

وإنّ هذه الدراسه القدس فى الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين جاءت بجهود فضيله الأستاذ الدكتور جهاد فيض الإسلام متوافقه مع نسق الرؤيه السائده المتّبعه وهذه الأهداف الساميه.

كما ندعو أصحاب الفضيله والاختصاص بما لديهم من آراء بنّاءه وخبرات علميه ومنهجيه حصريه بالمساهمه معنا والمشاركه فى نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وختاما ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّه المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّه بإعداد الكتاب للطباعه والنشر.

مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى للترجمه والنشر

ص:7

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله - أولاً وأخيراً - الذی سدّد خطای فی طريق رحلتی الطويل وحقق لی النجاح والتوفيق.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلی كل من قدّم لی العون والمساعده لمواصله دراستی فی إيران وسوريه لاسيما أستاذی الفاضل الدكتور خليل الموسی الذی أشرف علی رسالتی فی سوريه.

كما أسجّل بفخر عظيم امتنانی وشكری لجامعه دمشق وكذلک جامعه المصطفی صلی الله عليه و آله العالميه وإلی كل من أسهم معی فی إنجاز هذا البحث من أساتذه وزملاء وأصدقاء وأخصّ بالذكر السيد هاشميان.

ص:8

الفهرس

ص:14

المقدمه

اشاره

الحمدُ للهِ الذی خلقَ الإنسانَ من العدمِ إلی الوجودِ حمدَ الشاکرینَ، والصلاهُ والسّلامُ علی نبیّهِ الأمین محمد صلی الله علیه و آله وآلهِ الطاهرین وأصحابه المنتجبین وعلی جمیع الأنبیاء والمرسلین وبعد.

ربّما لا نجد علی وجه الأرض إنساناً یمتلک ضمیراً حیّاً وهو لا یفکر بقضیه القدس وفلسطین ولا یهتم بها، إذ أصبحت القدس وفلسطین فی العقود الأخیره حدیث الساعه وهاجس القلب، ولذا سالت الأقلام وفاضت القرائح وکُتبت العشرات بل المئات من الکتب بشتّی اللغات، وامتلأت المکتبات بالعدید منها، تعالج القدس وما حلّ بها من جراح. ولکن حین نتصفّحها نری أن جلّها تعرضت لقضیه القدس إمّا تاریخیاً أو سیاسیاً أو دینیاً، أما من الناحیه الشعریه والأدبیه فما زالت تفتقر إلی العنایه الأدبیه ولاسیما فی المجال الشعری، لأن الشعر قد تحوّل إلی صوت من أقوی الأصوات المکافحه، بل إلی سلاح یدافع به المظلوم عن کرامته وعن أرضه، ومن هذا المنطلق کان للشعر موقفٌ مشرّفٌ منذ النواه الأولی للاحتلال الصهیونی للقدس إلی الآن، ففاضت قرائح الشعراء قصائد وألفت عشرات الدواوین التی کانت ومازالت المرآه الصادقه التی

تعكس القضيه بسجلّها الضخم أحداثاً ومشاعر، مأساه ولهفه، نعم هى القدس، هى أرض الجراح وبرك الدم الحمراء، هى..، ربّما بات الحديث عن القدس وفلسطين شعراً ونثراً حديثاً مكرَّراً، ولكن مادام الخطب جسيماً والخطر عظيماً، ومادام الظلم والعدوان مستمرَّين، فالمسؤوليه ما تزال على عاتق الجميع قولاً وفعلاً، أما ما يخصنا نحن فى إيران ولاسيما جيل الشباب فإننا لم نعرف حقيقه فلسطين وشعبها المظلوم إلّا بعد انتصار الثوره الإسلاميه؛ إذ أصبحت القدس من أهم أمورنا ليلاً ونهاراً، ولهذا فكّرت - وأنا أتابع الدراسات العليا ومن منطلق إحساسى بالمسؤوليه باعتبارى إنساناً يحمل الشعور الإنسانى والإسلامى معاً، إضافه إلى ندره الأبحاث حول أدب القدس - باختيار هذا الموضوع، أى: «القدس فى الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين من عام (1948-2000) وشعرت بارتياح تام عندما وافق القسم فى كليه الآداب على هذا الاختيار حيث ستكون لى مشاركه ولو بهذا المقدار المتواضع جداً.

أهداف البحث ومسوّغاته

لاشك أن هناك أهدافاً مهمه تحث على اختيار بحث أدبى يتناول موضوعاً أدبياً ممتازاً، فمن بواعث اختيارى لموضوع القدس الأمور التاليه:

1. ندره الأبحاث بل جِدَه الموضوع لاسيما فى القطر السورى واللبنانى والفلسطينى.

2. حيويّه هذا الموضوع لدى الشعوب العربيه والإسلاميه حيث تعيش الأمه العربيه الإسلاميه برمتها هذه المأساه الأليمه وتشاهد احتلال القدس.

3. إحياء هذا التراث الشعرى العظيم وجعله فى متناول أيدى محبّيه ومشتاقيه من الجيل الجديد ولاسيما المخطوط منه لأننى وجدت الشعر السورى واللبنانى والفلسطينى جديراً بالدراسه والعنايه من جميع النواحى.

4. محاوله تحريض ودفع الشعر إلى خدمه القدس الشريف وذلک من خلال الاعتناء بجهود شعراء القدس وتعريفهم إلى المجتمع العربى والإسلامى.

5. تبيين الدواعى والاتجاهات التى سلكها شعراء القدس فى العصر الحديث والتطورات الفكريه والفنيه الموجوده فى هذا المجال ومقارنتها مع غيرها.

6. تبيين الناحيه الكميه والكيفيه وأساليب وخصائص شعر القدس.

7. دراسه أثر الشعر فى قضيه القدس وأثر القدس على الشعر.

أمّا الأسباب التى دعتنى لحصر بحثى ضمن هذه البقعه المكانيه (سوريه، لبنان، فلسطين) والفتره الزمانيه (1948-2000 م) فهى:

أولاً: أنها المده التى شهدت الصراع الدامى واحتلال القدس، أى منذ عام 1948 وحتى الآن.

ثانياً: تفجّر بركان شعر القدس كمّاً وكيفاً فى هذه البقعه وفى هذه الفتره بالذات ثم انتشر إلى البلدان الأخرى.

ثالثاً: الأقطار المذكوره هى الخط الأمامى لقضيه القدس ورأس الحربه لمواجهه الاحتلال الصهيونى وهذا ما جعل الشعر هنا يختلف عن غيره.

الدراسات السابقه

على الرغم من اهتمام الدارسين بالأدب والشعر الفلسطينى فى العالمين العربى والإسلامى، لم أجد أحداً استوفى فى دراسته هذا الموضوع ماخلا دراسات عامه تعرضت للأدب الفلسطينى، وقد أجاد بعضهم فى كتاباتها إلاّ أنها مرّت على قضيه القدس مرور الكرام أذكر منها: بيت المقدس فى أدب الحروب الصليبيه للدكتور عبد الجليل عبد المهدى، الذى درس فيه أدب بيت المقدس بصوره عامه أيام الحروب الصليبيه من سنه 492 إلى سنه 642 ه وبيّنَ صدى تلک الفتره فى الأدب العربى من شعر وقصه ومسرحيه ورسائل، وأمّا كِتاب القدس

الشريف بين شعراء الشعوب الإسلاميه لحسين مجيب المصرى فعرض فيه المؤلف نماذج من شعر القدس باللغات: العربيه والفارسيه والأرديّه والتركيه، ويلاحظ عليه أنّه لم يكتب بالشعر العربى ولايختص بالشعر فى الأقطار المذكوره ويظهر أنه أراد أن يبيّن أهمّيه القدس لدى الشعوب الإسلاميه.

وأمّا كتاب الشعر الفلسطينى فى نكبه فلسطين للدكتور عبد الرحمن الكيالى والاتجاهات الفنيه فى الشعر الفلسطينى للدكتور كامل السوافيرى والمحاضرات فى الشعر الحديث فى فلسطين والأردن» للدكتور ناصر الدين الأسد، وحياه الأدب الفلسطينى الحديث من أول النهضه حتى النكبه للدكتور عبد الرحمن الياغى وكتابه أيضاً دراسات فى شعر الأرض المحتله وغيرها من الدراسات المشابهه لها فمع أنّ مؤلّفيها بذلوا جهداً جباراً فى دراسه قضيه فلسطين، إلاّ أنّ جميع هذه الدراسات لم تتناول شعر القدس فى الزمان والمكان اللذين اختص بهما بحثى فهى خارجه إمّا زماناً أو مكاناً وإمّا كمّاً أو كيفاً، وبعباره أخرى خارجه إمّا تخصيصاً وإمّا تخصّصاً.

ومن هنا كان الموضوع جديداً فى تناوله لهذا البحث. وقد اعتمدت فى مصادر البحث على مايلى:

1. دواوين الشعر المتوفره فى المكتبات.

2. الاتصال بالشعراء.

3. الرسائل الجامعيه المخطوطه والمطبوعه منها.

4. المجلات والصحف.

5. كتب التاريخ.

لذلک توافرت لدىّ ماده غزيره فى أثناء عمليه الجمع للنصوص الشعريه، وقد واجهتْ الدراسهُ صعوباتٍ عدّه أهمّها: أولاً: كثره الدواوين الشعريه وبعثره النصوص التى ترتبط بالقدس.

ثانياً: صعوبه فهم اللغه العربيه للأجانب ولاسيما الشعر منها.

ثالثاً: حداثه الموضوع والنصوص المختصه به.

آمل أن تَروى محاولتى المتواضعه ظمأ طلاب شعر القدس ومشتاقيه، أو تلفت أنظار الأساتذه لهذا الموضوع الجديد إن شاء الله تعالى.

المنهج وخطه العمل

وقد اعتمدت فى دراستى لشعر القدس منهج المقارنه التاريخيه والمنهج التحليلى اللذين يبيّنان أثر الأحداث التاريخيه فى شعر القدس وأثر القدس فى تلک الأحداث؛ لأننا إذا أمعنّا النظر فى الموضوع وجدنا هناک واقعين أساسيين يسيران جنباً إلى جنب: واقعاً ظاهراً وبارزاً يجرى فيه الصراع الإسلامى العربى - الصهيونى؛ وواقعاً فكرياً وأدبياً تبلور على السنه الأدباء والشعراء لاسيما فى سوريه ولبنان وفلسطين، ومحور هذين الواقعين هو القدس الشريف. فعلى هذا الأساس حاولنا تحليل النصوص الشعريه وقراءتها وتبيين اتجاهاتها ودواعيها المختلفه، وما هى التطورات الشعريه والفكريه التى حملها شعر القدس، وكيف حاول الشعراء الملتزمون تسريب القضيه إلى الجيل الحديث وتغذيتهم بروح الحماسه والمقاومه من أجل تحريرها.

وأمّا محور البحث فهو نصوص شعر القدس فقط فى سوريه ولبنان وفلسطين فى الفتره ما بين (1948-2000 م)، فتناولت كل شاعر له دور ملموس فى مسيره شعر القدس بغضّ النظر عن انتمائه الفكرى والإيديولوجى والسياسى، ثم عمدت إلى ما طبع من دواوين ومختارات شعريه، فعكفت على قراءه المؤلفات وكتب الدراسات الفنيه والأدبيه التى لها صله بالموضوع، وقد وزّعت ماده دراستى إلى مقدمه وتمهيد وبابين وخاتمه، ففى المقدمه تناولت سبب اختيارى لهذا الموضوع والأهداف التى قصدتها

والخطه التى اتبعتها فى البحث، وفى التمهيد تحدثت عن لمحات من تاريخ القدس وفلسطين منذ عام 5000 ق. م حتى نكبه (1948) وأيضاً بيّنت مكانه وأهميه القدس عند العرب والمسلمين والمسيحيين.

وقد خصصت الباب الأول بحصر دواعى شعر القدس واتجاهاته الرئيسيه وهى:

الدواعى والاتجاهات العربيه.

الدواعى والاتجاهات الإسلاميه.

الدواعى والاتجاهات السياسيه.

ثم فصّلت تلك الدواعى والاتجاهات فى ثلاثه فصول، تناول الحديث فى الفصل الأول منها الدواعى والاتجاهات العربيه وأبرز المحاور التى سلكهاشعراء القدس وحاولوا من خلالها معالجه القضيه، فوجدت أن شعر القدس فى هذا الاتجاه تحدث عن استصراخ الضمائر وإيقاظ الوجدان والشجاعه ودور الشباب ودور المرأه وحنين المبعدين ومن اشتاق إلى القدس، وقد كثُرَ منادوا روّاد هذا الاتجاه بتحرير القدس، حاثِّين الأمه على النضال والمقاومه والجهاد ضد الاحتلال الصهيونى للقدس الشريف وذلك تحت شعار القوميه العربيه.

وفى الفصل الثانى تحدثت عن الدواعى والاتجاهات الإسلاميه وأثرها على القدس وأثر القدس على روّادها، فأهم المحاور التى خاضها شعراء هذا الاتجاه مابين عامى (1948-2000 م) هى: الشهاده والشهيد، الصمود والمقاومه، اليقظه الإسلاميه، الثوره والجهاد، الوحده الإسلاميه، فحاول الشعراء إرجاع المسلمين إلى قيمهم ومعتقداتهم والتمسک بها؛ لأن القدس هى قبلتهم الأولى وهم أوْلى بتحريرها من غيرهم مهما اختلفت لغاتهم وتعددت طوائفهم؛ ذلک لأن الإسلام يجمع الكل تحت لوائه.

وفى الفصل الثالث تناول الحديث الدواعى والاتجاهات السياسيه، فاستمد روّاد هذا الاتجاه ماده شعرهم من أهم الحوادث السياسيه والوطنيه لتحريک المكان فأصبحت القدس رمزاً لمقاومه الاحتلال الصهيونى الإسرائيلى، فطرق الشعراء محور الضمير السياسى محاولين توجيه العالم بأسره لما تعانيه القدس من وطأه الاحتلال وتوعيه المسلمين خاصه، وأيضاً كان للانتفاضه وقضيه السّلام نصيب كبير فى هذا الاتجاه.

أمّا الباب الثانى من البحث فهو يتحدث عن صوره القدس الشعريه والجماليه فى سوريه ولبنان وفلسطين من خلال فصول ثلاثه أيضاً:

ففى الفصل الأول تناول البحث مفهوم الصوره الشعريه والمؤثرات التى لها دور كبير فى صوره القدس أمثال المؤثرات القرآنيه والتاريخيه وما لهما من أثر على قضيه القدس، ثم تكلمت فى آخر هذا الفصل عن التوظيف ودوره فى صياغه صور القدس الشعريه.

وانصرف الفصل الثانى إلى اللغه والأساليب فى شعر القدس وتركّز البحث على الألفاظ والمفردات والتراكيب والتكرار والاستفهام والنفى والنداء والأسلوب الخطابى والأسلوب التعبيرى والرمز والأسطوره وشعر التفعيله وشعر النثر وموسيقى شعر القدس، وغير ذلک من الأمور المهمه التى أعطت شعر القدس الجماليه والطراوه والأثر اللازم والبالغ.

وأفردت الفصل الثالث والأخير للحديث عن الفنون والخصائص والسمات لشعر القدس، فتطرق البحث للشعر الغنائى ونصيب القدس فيه، إذ كان أبرز روّاده الشاعر عبد الرحيم محمود والشاعر هارون هاشم رشيد وكذلک عمر أبو ريشه فتغنّى هؤلاء لتكون القدس حيّه على طول التاريخ.

أمّا الشعر القصصى والدرامى، فكان له الأثر المشهود فى القدس، وفى المقابل كان للقدس أثر بليغ فيه أيضاً، ولعل أول من طرقه الشاعر برهان

الدين العبوشى وفدوى طوقان، حيث حكت الأخيره قصه المحتلين لمدينه القدس العذراء وليلها الداجى.

وفى نهايه هذا الفصل تناول البحث خصائص وسمات شعر القدس أمثال الخطابيه المفرده ولاسيما فى بدايه الاحتلال، والبساطه والوضوح وروح العقيده والالتزام والمقاومه حيث ثبت لنا فى هذا المجال أن الشاعر نزار قبانى، وهارون هاشم رشيد، ودرويش، وطوقان، والبحيرى كان لهم الدور الأكبر.

وأخيراً خصّصت الخاتمه لإيجاز ماتوصل إليه البحث وسرد بعض نتائجه.

وبعد:

فقد بذلت كل ما بوسعى وحاولت بأقصى جهدى أن أقترب نحو الواقع، وأمّا ما وقعت فيه من نواقص وعيوب فذلک يعود لى وحدى، والذى كان يواسينى ويبرر لى عملى محاولتى الدؤوبه لإنجاز هذا البحث، فإن وفّقتُ فالفضل والشكر لله سبحانه، وإن تراجعت فيكفى أننى جاهدت.

وإمّا ما اعترانى من مشاكل وعراقيل فكان معوّلى فيه على الله تعالى، إنه بكل شىء عليم والحمد لله رب العالمين.

جهاد فيض الإسلام دمشق - 2006 م

تمهيد

القدس الشامخه

1. الخصائص الجغرافيه

تقع القدس على خط العرض 31.52 شمالاً وخط الطول 35.13 شرقى غرينتش، وتمتد وسط فلسطين الواقعه فى غرب آسيا، وهى جزء من الوطن العربى والإسلامى، تتوسط مفارق الطرق بين آسيا وأفريقيا وأوربا، وتصل مابين البحر الأبيض المتوسط الموصل بالمحيط الأطلنطى والبحر الأحمر وجزء من المحيط الهندى. ويحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سوريه والأردن، ومن الشمال لبنان وسوريه، ومن الجنوب صحراء سيناء وخليج العقبه. وتمتاز فلسطين بما فيها القدس الشريف بموقع جغرافى على درجه كبيره من الأهميه، لأنها تتصل بأوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، كما ترتبط بأفريقيا عبر البحر الأحمر، ثم تتصل بالطرق البحريه بآسيا. ومكانتها هذه جعلتها بمنزله مركز حيوى وجسر للسيطره على السواحل البحريه، وأيضاً فهى تشكل قاعده انطلاق للمستعمرين المستكبرين لأهدافهم التوسعيه فى الشرق الأوسط لاسيما فى سوريه ولبنان والأردن ومصر،

ص:23

وكذلک تعتبر فلسطين بوابه أوروبا على العالم العربى الإسلامى وبالعكس، وتضاعفت أهميتها بعد اكتشاف حقول النفط فى الشرق الأوسط إضافه إلى اعتدال مناخها، وعذوبه هوائها، وخصوبه أراضيها، وكثره خيراتها، كما يدل على هذا كلام ياقوت حين سئل: أى بلد أجل؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أطيب؟ قال المقدس، قيل: فأيها أفضل؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أكبر؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أحسن؟ قال: المقدس، قيل فأيها أكثر خيرات؟ قال: المقدس.(1) ولذا جعلت منها هذه الخصائص هدفاً مستمراً للغازين والطامعين فكانت مطمع الأنظار فى مختلف العصور والأمصار، فصبت الويلات والحروب عليها واحده بعد الأخرى. وما يشهده العالم من صراع مرير على القدس وفلسطين ما هو إلا استمرار لتلک المطامع والمخططات الاستعماريه والاستكباريه المبرمجه المتمثله بالكيان الصهيونى الغاصب.

2. القدس - أسماؤها ونعوتها

للقدس عده أسماء سميت بها تبعاً للأمم والشعوب التى استوطنتها وسكنتها على مر الدهور وفى مختلف العصور، وربما لاتجد مدينه اكتسبت من الأسماء ما اكتسبته القدس.

ومن هذه الأسماء: يبوس(2) نسبه إلى اليبوسيّين،(3) ولعله أقدم اسم للقدس الشريف. ومن أسمائها شلم(4) أى: مدينه السلام، سميت بهذا الاسم من قبل الكنعانيين ولذا قالوا إنها كنعانيه الأصل. وأطلق عليها بنو إسرائيل عام

1- (1) ياقوت الحموى، معجم البلدان: 167/5.
2- (2) خسرو شاهى، تاريخ بيت المقدس: ص 7.
3- (3) اليبوسيون: هم بطن من بطون العرب الأوائل نزحوا من شبه الجزيره العربيه حوالى عام (3000 ق. م)، المصدر: ص 8.
4- (4) مجير الدين الحنبلى، الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ص 70.

(1049 ق. م) اسم أورشليم (1) وهو اسم مشتق من أور - سالم، وعليه فهى ليست عبريه، وأطلق عليها المكابيون حوالى عام (139 ق. م) اسم يروسليما. وسماها الرومان حوالى عام (63 ق. م) هيروسليما وسوسيموس (2) وإيلياء. (3) وظلت تُدعى بهذا الاسم حتى الفتح الإسلامى. وسماها الأتراک القدس الشريف. وسماها القرآن الكريم القريه، (4) والزيتون، (5) والمسجد الأقصى، (6) والأرض المقدسه، (7) ومن أسمائها أيضاً بيت إيل، أى: بيت الإله. وإيليا كابيتوليا، (8) وظلت القدس تدعى إيليا لفتره ست سنوات بعد الفتح الإسلامى.

The First Six hundred years names in early islam the full « name of Jerusalem Was « Iliyaa » madint bayt al makdis » (9)

3. أصاله القدس العربيه والإسلاميه

تؤكد الدلائل التاريخيه المسلّمه لدى عامه المؤرخين قديماً وحديثاً من العرب وغيرهم أن صله العرب بالقدس وفلسطين لم تبدأ بالإسلام والفتح الإسلامى وإنما هى مدينه عربيه المنشأ، فقد سكن اليبوسيون القدس منذ أقدم العصور ولعله من العصر الحجرى مابين عام (7000-5000 ق. م) (10) وهم قبيله تتفرع من الكنعانين، والكنعانيون فرع من الساميّين وهم أقدم الأمم من بعد نوح وأعظمهم

1- (1) موحد خوئى، المسجد الأقصى وبيت المقدس: ص 11.
2- (2) المصدر: ص 15.
3- (3) الإنس الجليل: 69/1، وكذلک فضائل بيت المقدس لمحمود إبراهيم: ص 450.
4- (4) الأعراف: 16 و 160؛ وكذلک البقره: 259.
5- (5) الزيتون: 1.
6- (6) الإسراء: 1.
7- (7) المائده: 23.
8- (8) كامل جميل العسلى، القدس فى التاريخ: ص 105.
9- (9) abar O. Encjclopaed in of islam Vol. 223.p ,9891 .5 Leiden.,
10- (10) موحد خوئى، المسجد الأقصى وبيت المقدس: ص 17.

قدره وأشدهم قوه وآثاراً فى الأرض،(1) وقد بنيت مدينه القدس على يد مليكا صادق، ملك اليبوسين وظلت تُسمّى أرض كنعان إلى يومنا هذا. وقيل إن الذى بناها هو آدم عليه السلام ثم سام ابن نوح ثم مليكا صادق.(2)

ولقد أثبت النسابون والمؤرخون، أصاله هذه القبائل العربيه وأنها عربيه صرفه كما ذكر فى تاريخه محمد بن جرير الطبرى: «عمليق: أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت فى البلاد وكان أهل المشرق وعمان والحجاز والشام ومصر ومنهم كانت الجبابره بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون».(3) ووصفهم ابن خلدون قريباً من هذا.(4) وقال القلقشندى: «إن القدس من أعمال بلاد الشام».(5) فإذا كانت الشام من بلاد العرب والإسلام، كانت القدس عربيه إسلاميه بالضروره. ومن المحالات أن تكون القدس التى هى جزء من الوطن العربى والإسلامى، دوله عبريه وغير عربيه وإسلاميه، كما لا نشاهد اليوم وسط أمريكا وأوروبا أى دوله عربيه، ولكن وكما أسلفنا ذكره بأن فلسطين بحكم موقعها الجغرافى كانت مسرحاً لكثير من الحروب الطاحنه بين الغزاه وأهلها، وظلت القدس طوال الزمن كنعانيه عربيه إسلاميه صفه وسياده، والاحتلال الأجنبى لم يؤثر فيها، فقد قاوم عرب فلسطين من مسلمين وغيرهم هذا الاحتلال وحافظوا على أصاله القدس العربيه والإسلاميه فى أرض آبائهم وأجدادهم أصحابها الشرعيين منذ عام (3000 ق. م) وحتى الآن. وما يسعى إليه الاستعمار البريطانى الصهيو - أمريكى جنباً إلى جنب فى طريق محو عروبه فلسطين وإسلاميتها بعد هذا التطوير والتعقيد لإقامه دوله لقيطه

1- (1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر: 27/1.
2- (2) مجير الدين الحنبلى، الإنس الجليل: 71/1.
3- (3) تاريخ الرسل والملوک: 203/1.
4- (4) العبر وديوان المبتدأ والخبر: 27/1.
5- (5) صبح الأعشى فى صناعه الإنشاء: 72/4.

لإسرائيل لم يُجْدِ شيئاً، واتضحت للصغار والكبار كل هذه المخططات والمؤامرات الاستعماريه، إذ ليس فی الوجود الإنسانی قضيه تستند إلی الأباطيل والتخبطات مثلما استندت إليها الصهيونيه فی مزاعمها تجاه فلسطين والقدس الشريف، ولذا نری أبناءها ثابروا علی المجاهده والمقاومه والمطالبه بحقوقهم المغصوبه وأرضهم المحتله، وظلت القدس عربيه إسلاميه عريقه إلی يومنا هذا.

4. القدس فی الإسلام ومكانتها عند المسلمين

القدس مدينه نشأت بإراده سماويه ربّانيه.(1) فهی من أقدس المدن الدينيه والإسلاميه، فقد شرفها الله تعالی بالإسراء إذ عرج أشرف الخلائق منها إلی السماء.(2) ونجد فی القرآن الكريم آيات كثيره أشار المفسرون إلی أنها تخص القدس. ومن تلك الآيات ما جاء فی سوره: (الإسراء، 1 و 2) و (المائده، 23) و (البقره، 259) و (المؤمنون، 51) و (الأعراف، 160) و (التين، 1) و (الحديد، 13) و (النازعات، 14). نعم إن الله تعالی قدّس هذه المدينه المباركه،(3) وآيه الإسراء تفيد بأنه علاوه علی قدسيه الأقصی فإن ما حوله وأطرافه أيضاً تمتاز بالبركه والأفضليه علی سواها ظاهراً وباطناً،(4) أما بالنسبه إلی الأحاديث الشريفه التی تؤكد مكانه القدس فی الإسلام علی اختلاف درجاتها فهی

1- (1) ورد عن النبی صلی الله عليه و آله: أنه سئل أیّ مسجد وضع فی الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال السائل: ثم أیّ؟ قال: المسجد الأقصی، قال: كم بينهما؟ قال: أربعون سنه. مسند أحمد: 150/5.
2- (2) الإسراء: 1.
3- (3) روی ياقوت عن ابن عباس قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء، ياقوت، معجم البلدان: 167/5.
4- (4) ناصر مكارم شيرازی، تفسير الأمثل: 257/8.

كثيره جداً، فقد ورد فی کتب فضائل القدس(1) عشرات الأحاديث نقلها الفريقان الشيعه وأهل السنه، وإليک نماذج منها:

ذکر فی کتاب (الأنس الجليل) نقلاً عن مقاتل بن سليمان يقول: مافيه - أی: القدس - شبر إلا وقد صلی عليه نبی مرسل أو قام عليه ملک، وتاب الله علی داود وسليمان عليه السلام فی أرض بيت المقدس، وبشّر زکريا بيحيی فی بيت المقدس، وأوتيت مريم عليها السلام فاکهه الشتاء فی الصيف، وولد عيسی عليه السلام وتکلم فی المهد صبياً فی بيت المقدس، ورفعه الله إلی السماء وينزل إلی الأرض ببيت المقدس، ونزلت عليه المائده ببيت المقدس وأعطی الله البراق للنبی محمد صلی الله عليه و آله فحمله إلی بيت المقدس، وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس، وينُصب الصراط علی جهنم إلی الجنه بأرض بيت المقدس، وتوضع الموازين يوم القيامه ببيت المقدس، وينفخ إسرافيل فی الصور ببيت المقدس، ومن سَرّه أن يمشی فی روضه من رياض الجنه فليمش فی صخره بيت المقدس، وأيّد الله عيسی عليه السلام بروح القدس، وآتی الله يحيی الحکم صبياً فی بيت المقدس. وروی عن أبی عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلی الله عليه و آله، قال: فنزل بی جبرائيل فقال: صل، فصليت، فقال: تدری أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت بطور سيناء حيث کلم الله موسی تکليماً، ثم رکبتُ فمضينا ماشاء الله ثم قال لی: إنزل فصل فنزلت وصليت، فقال لی: تدری أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت فی بيت لحم، وبيت لحم بناحيه بيت المقدس حيث ولد عيسی بن مريم، ثم رکبت فمضينا حتی انتهيا إلی

1- (1) اطلعت علی أکثر من عشرين کتاباً کتب فی فضائل القدس، منها: روضه الأنس فی فضائل القدس لکاتبه عارف شريف، وفضائل بيت المقدس لشمس الدين محمد الکنجی، وفضائل مکه والمدينه وبيت المقدس لأحمد بن محمد، وروضه الأولياء فی مسجد إيلياء لمحمد بن محمود الشافعی، والفتح القسی فی الفتح القدسی للعماد الأصفهانی، وإتحاف الإحصاء بفضائل مسجد الأقصی، لشمس الدين المنهاجی السيوطی و..

بيت المقدس.(1) وعن ابن عباس أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من أراد أن ينظر إلى بقعه من بقاع الجنه فلينظر إلى بيت المقدس».(2) وعن حفص بن عمرو نقل أنه من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنه.(3) وقد تعددت الأقوال فى أول من بنى بيت المقدس، فروى بعض العلماء أن أول من بناه الملائكه بأمر من الله تعالى، ويقال إن الذى بناه إسرافيل. وقد روى عن أبى ذر الغفارى أنه قال: قلت: يا رسول الله: أىّ مسجد وضع على الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أى؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما، قال: أربعون سنه.(4) وذكر أنّ سام بن نوح هو الذى اختط مدينه القدس وأسس مسجدها وكان ملكاً عليها.(5) إلى غير ذلک من الأحاديث التى ذكرت فى كتب المؤرخين، ويستفاد منها أن بناء المسجد الأقصى كان بأمر إلهى وبوحى منه كما هو الحال فى بناء المسجد الحرام والكعبه المشرفه، ولهذا كانت له قدسيته الخاصه عند الديانات السماويه الثلاث.

وأما بدايه العلاقه الوثيقه بين الإسلام والقدس فمنذ حادث الإسراء. إذ أصبح الإيمان بهذه المعجزه الكبرى جزءاً من العقائد الإسلاميه الراسخه، لذكرها فى القرآن. ولاسيما انّ القدس حين وجبت الصلاه على المسلمين كانت قبلتهم الأولى إلى أن جاء الأمر الإلهى بالتوجه نحو الكعبه.

وقد زحف المسلمون لتحرير القدس بأمر من الخليفه الأول وفتحت على يد الخليفه الثانى دون قتال عام (638 م)، وبدأت السياده على القدس

1- (1) السيد محمد حسين الطباطبائى، تفسير الميزان: 8/13. وكذلک أنظر: ژبتاريخ القدس والخليل: 360/1 و 361.
2- (2) مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل: 360/1.
3- (3) الطبرى، تفسير الطبرى: 4/15 و 5.
4- (4) مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل: 70/1.
5- (5) المصدر: 71/1.

وأصبحت مظهراً من مظاهر الحضاره العربيه والإسلاميه، ولؤلؤه يتزيّن بها كل مسلم أينما وجد. واتجهت الأنظار لها وخفقت القلوب بحبها وهانت التضحيات لها والجهاد فی سبيلها. ومع هذه المكانه الساميه للقدس عند المسلمين فإنهم يعترفون ويحترمون مكانتها عند الآخرين من أبناء الديانات الأخرى نتيجه اعتراف الإسلام بوحده الأديان السماويه والربانيه.

القدس فی عصور ما قبل الإسلام

1. القدس فی العصر الكنعانی

قبل الخوض فی هذا الموضوع رأيت من الضروری أن أنوّه إلی نكته مهمه وهی أنّه لم يكن القصد من كتابه هذا التمهيد أن أضمّن الموضوع الأصلی وهو «القدس فی الشعر العربی الحديث» بحثاً تاريخياً لممارسات الاحتلال الصهيونی، أو أذكر الأبعاد السياسيه لقضيه القدس، وإنما القصد أن أعطی فكره موجزه ومختصره جداً عما مر علی القدس الشريف طوال العصور الماضيه المليئه بالأحداث والأزمات، ليكون هذا توطئه للدخول فی موضوعنا الأساسی.

وأما القدس فی العصر الكنعانی، فقد بدأت أُولی الهجرات البشريه وأكبر الموجات المهمه التی خرجت من شبه الجزيره العربيه ما بين (3-4) آلاف سنه قبل الميلاد، وهی هجره القبائل الكنعانيه الساميه العربيه، واستوطنت فلسطين والتی عرفت بأرض كنعان، وبقيت لهم السياده التامه عليها إلی نحو (1000 عام ق. م)، وأول من سكن القدس أحد بطون هذه القبائل العربيه والتی كانت تحمل اسم اليبوسيين الذين أنشأوا الكثير من المدن ووضعوا اللبنه الأولی لمدينه القدس، وحافظ عليها أولئک وطوّروها كعاصمه لهم وما لبث أن كوّنوا قوه وأصبحت لهم حضاره واشتهروا بالزراعه والصناعه كزراعه العنب والزيتون، وصناعه الأسلحه والثياب. كما عرفوا أنواعاً عديده من المعادن منها النحاس

والبرونز وعرفت حضارتهم بالحضاره الكنعانيه، وحملت القدس فى هذا العصر اسم يبوس نسبه لليبوسيين وهى أقدم بلد فى التاريخ عرفه العالم. (1)

فى عام (1184 ق. م) دخل الفلسطينيون إلى أرض كنعان وامتزجوا بالسكان الأصليين وأصبحت أرض كنعان بعد ذلك تعرف باسمها الحالى «فلسطين».

2. القدس فى عصر التوحيد

لعلّ فلسطين بما فيها القدس الشريف أقدم بقاع الأرض التى عرفت التوحيد والدعوه إلى وحدانيه المولى عز وجل بعد ما هاجر إليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام قادماً من بلده أور العراقيه إلى الشام حوالى عام (1800 ق. م) ومعه زوجته ساره ولوط ابن أخيه لنشر التوحيد الإلهى كما ذكر القرآن الكريم.(2) وفى فلسطين أنجب إبراهيم إسحاق والد يعقوب الذى كان يلقّب بإسرائيل أيضاً كما يقال وإليه ينسب الإسرائيليون. وأقام يعقوب فى أرض كنعان، أما إبراهيم فهاجر إلى مصر فدخلها أيام حكم العماليق، وفى عهد رمسيس الثانى - فرعون مصر - وبعد أربعمائه وثلاثين عاماً من دخول يعقوب مصر، قرر موسى عليه السلام الخروج ببنى إسرائيل إلى أرض كنعان، وقد وقعت خلال طى المسافه ما بين مصر وفلسطين حوادث كثيره، منها أن موسى عليه السلام عندما غاب عن قومه أربعين يوماً ليأتى بالألواح، عاد قومه مره أخرى لعباده الأصنام.(3) وبسبب هذا العصيان فقد تاهوا فى الصحراء أربعين عاماً، وبعدما توفّى موسى عليه السلام خلفه يوشع فعبر نهر الأردن بتلك القبائل العبرانيه(4) إلى فلسطين

1- (1) مجيرالدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: 360/1.
2- (2) آل عمران: 67.
3- (3) طه: 83 و 98 كذلك البقره: 51.
4- (4) لم تكن العبرانيه صفه لإبراهيم عليه السلام كما ادّعى الصهاينه وإنما كانت خليطاً من عده قبائل بدويه منها العبير والخابير، انظر كتاب القدس ماضيها... حاضرها... مستقبلها لكاتبه فهد جابر: ص 17.

حوالى عام (1186 ق. م) ولم يستطيعوا أن يحتلوا أرض كنعان ولم يدخلوا القدس، وبعد ذلک استطاع داود عليه السلام وقبل ألف سنه من الميلاد أن يجعل القدس عاصمه لمملكته ما بين عام (1013-973 ق. م) بعدما انتصر على جالوت وجنوده دعاه الشرک والوثنيه ودامت حکومته أربعين عاماً فقط وتوفى ودفن فى القدس.

3. القدس فى العصر البابلى

زحف نبوخذ نصّر البابلى نحو القدس عام (597 ق. م) فاحتلها وأخذ ملكها ومعظم جيشه وقادته أسرى إلى بابل فى العراق بعدما غيّر نظام الحكم فى القدس، وعاد إليها ثانيه بعدما تمرد بعض اليهود وأوقع هزيمته الكبرى بهم وسبى أكثر السكان إلى بابل وعُرف هذا بالسبى البابلى.

وهكذا زالت دوله اليهود من فلسطين بعدما عاشت أربعه قرون فقط (1000-586 ق. م).

4. القدس فى العصر الفارسى (الساسانى)

انتصر كورش الهخامنشى ملک الفرس آنذاک على البابليين عام (539 ق. م) وقد أخضع البلدان واحداً بعد الآخر ماضياً فى فتوحاته حتى احتل القدس وأصبحت له السلطه عليها وألحقها بدولته طيله قرنين، وقد أظهر كورش المداراه لكل القوميات والمذاهب والأديان، وأعاد بقايا اليهود من بابل إلى القدس عام (538 ق. م) واستمر الهدوء فى القدس حتى نهايه حكم داريوش الثالث وبدايه الاحتلال الإسكندرى عام (332 ق. م).

5. القدس فى العصر اليونانى

احتل الاسكندر المقدونى القدس عام (332 ق. م) بعدما انسحب منها الفرس وتحولت أورشليم إلى مدينه يونانيه وهرولت بقايا اليهود إلى اسكندر وعفى

عنهم وأمرهم أن ينخرطوا فی جیشه.(1) ولما مات الاسكندر المقدونی عام (323 ق. م) اقتسم ملكه وكانت القدس من نصیب البطالسه وظلت القدس فی عهد بطلیموس، الملک الیونانی تعیش الفوضی والحروب حتی عام (90 ق. م).

6. القدس فی العصر الرومانی

بدأت السیطره الرومیّه علی القدس وفلسطین منذ حوالی عام (63 ق. م) حیث شنوا هجوماً كاسحاً علی أرمینیا وآسیا وأفریقیا ثم سوریا والقدس بقیاده «یامبیوس»، ونصب «هیرودوس» ملكاً علی الجلیل والقدس وظل یحكمها حتی عام (4 م)، وفی زمانه ولد النبی عیسی علیه السلام فی بیت لحم، وبعدما بدأ المسیح علیه السلام بالتعلیم والتعلّم والإرشاد وشی به الیهود للحاكم الرومانی واتهموه بالكفر وصلب(2) بفتوی شوری الیهود، لكن المسیح علیه السلام بقی خالداً وأصبح له من الأتباع خلق كثیر، وكانت النتیجه إبداء المحبه من قبل حكام الروم للسید المسیح علیه السلام، وأخذوا یعاملون الیهود بقسوه بعد إصرارهم علی الطغیان، فهاجم «تیطس» ابن إمبراطور الروم أورشلیم وقتل معظم السكان، ومن بقی من الیهود علی قید الحیاه فرّ إلی خارج البلاد أو ذاب بین السكان العرب.(3) وآخر محاوله فی زمن الحاكم الرومانی «هادریان» حینما طغی الیهود فقتل ما یقارب من (580000) نسمه منهم وأمر بإنشاء مدینه جدیده مكان القدس سماها «إیلیا كابیتولینا» وحرّم علی الیهود سكناها.

من الجدیر بالذكر أنَّه فی حوالی ثلاثمائه عام بعد واقعه صلب المسیح علیه السلام اعتنق إمبراطور الروم قسطنطین الكبیر (306-338 م) الدین

1- (1) عارف باشا العارف، النكبه: 25/1.
2- (2) هذا حسب العقیده المسیحیه ولكن القرآن الكریم ینفی صلب المسیح علیه السلام إذ یقول: (... وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...)، النساء: 157.
3- (3) الموسوعه الفلسطینیه: 196/2.

المسیحی وأعلن المسیحیه فی القدس وأصبحت مرکزاً دینیاً للمسیحیه، وشیّدوا فیها عدداً من الکنائس منها کنیسه المهد والقیامه، وفی عهد خسرو برویز الساسانی الفارسی وقعت حرب ضاریه بین الإمبراطوریه الفارسیه والرومیه آنذاک، وذلک خلال السنوات (604-630 م) إذ انتصر الفارسیون علی جیوش الروم، وصارت القدس بأیدیهم، ولکن بعد وفاه خسرو برویز سقطت بید «هرقل» البیزنطی الرومانی عام (628 م).

القدس فی عصر الحضاره الإسلامیه

1. القدس فی العصر النبوی

کان القدس الشریف القبله الأولی للمسلمین بعد بعثه النبی محمد بن عبد الله صلی الله علیه و آله حتی السنه الثالثه عشره للبعثه النبویه حیث کان النبی صلی الله علیه و آله یعیش فی مکه المکرمه، وفی السنه الثانیه من الهجره النبویه وبأمر إلهی تحولت قبله المسلمین إلی الکعبه فی مکه المکرمه، وقد تطورت العلاقات بین القدس والإسلام منذ أُسری برسول الله محمد صلی الله علیه و آله عام (621 م)، وحرص الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله علی أن یحرر القدس من الاحتلال الرومانی فی غزوه مؤته عام (629 م) وغزوه تبوک (630 م) ولکن لم یکن النصر حلیف المسلمین.(1) وبعد رحله النبی صلی الله علیه و آله إلی الرفیق الأعلی عام (634 م - 13 ه) وقعت معرکه «أجنادین» وانتصر المسلمون فیها علی الروم، وفی عام (636 م) وقعت معرکه «الیرموک» وانتصر المسلمون فیها أیضاً وانهزم الرومان هناک.

2. القدس فی العصر الإسلامی الأول

بعد أن انتصر المسلمون بقیاده أبی عبیده بن الجراح، اشترط البطریرک

1- (1) الطبری، تاریخ الطبری: 36/3-40.

«صفرونیوس» - الحاکم الرومانی - أن یتسلم الخلیفه الثانی القدس بنفسه فبادر الخلیفه عام (636 م - 15 ه) إلی دخول مدینه القدس وصالح أهلها فکتب معهم «العهده العمریه»(1) وقد عامل الخلیفه أهل المدینه بلطف ولین ورأفه ومنذ ذلک الحین اتخذت المدینه طابعها الإسلامی وغیّر اسم المدینه من إیلیاء إلی بیت المقدس باعتباره القبله الأولی للمسلمین وحظیت القدس باهتمام المؤلفات العربیه والإسلامیه إلی یومنا هذا، وخضعت القدس إلی حکم معاویه وضمها إلی دمشق مرکز خلافته، واهتم بها الأمویون خلال الأعوام (661-750 م) ومن أهم الآثار الإسلامیه فی العهد الأموی بناء مسجد الصخره علی ید عبد الملک بن مروان، وحرَصَ العباسیون علی القدس من بعدهم، وشهدت القدس فی فتره (709-1079 م) عدم استقرار سیاسی بسبب الصراعات والنزاعات العسکریه والسیاسیه التی نشبت بین العباسیین، والفاطمیین، والقرامطه، وکانت النتیجه خضوع القدس الشریف لحکم السلاجقه عام (1071 م).(2)

3. القدس فی العصر الإسلامی الثانی

فی منتصف القرن الثالث الهجری أخذت الدوله الإسلامیه بالضعف المستمر حتی تمزقت إلی ثلاث خلافات، الخلافه العباسیه فی الشرق، والخلافه الفاطمیه فی مصر والمغرب والشام، والخلافه الأمویه فی الأندلس، وفی تلک الظروف من الکساد والتشتت عاد الاحتلال الأجنبی لمدینه القدس بعد أن دعا البابا «أوربان الثانی» إلی ضروره الحرب ضد المسلمین، وادّعی أنَّ کل من یشترک فی الحروب الصلیبیه تغفر له ذنوبه، وأصدر قراراً بأن یَخیط کل

1- (1) وثیقه صلح، انظر: الأنس الجلیل: 1/377-380.
2- (2) سید هادی خسرو شاهی، تاریخ بیت المقدس: 20.

فارس صليباً من القماش على ردائه الخارجى، ولذا عرفت تلك الحروب بالحروب الصليبيه، لأنها اتخذت الصليب شعاراً لها.

احتل الصليبيون القدس عام (1099 م) وارتكبوا مجازر دمويه فى ساحه المسجد الأقصى وقاموا بقتل الكبار والصغار، قدّرتها بعض المراجع التاريخيه بأكثر من سبعين ألفاً.(1) ويُثبت هذا رساله القائد الصليبى إلى البابا حين يقول: «إذا أردت أن تعرف كيف تمّ التعامل مع الأعداء الذين وقعوا بأيدينا فى بيت المقدس، فاعلم أن جنودنا فى معبد سليمان كانوا يخوضون فى بحر من دم المسلمين وكان الدم يصل ركب الخيل».(2) واستمر الحكم الصليبى إلى أكثر من مئتى عام، وخلال هذه الفتره تداول المسلمون والصليبيون النصر والهزيمه فى المعارک واحتلال المدن.

بدأت نقطه التحول الحقيقى فى العالم العربى والإسلامى عام (1121 م) عندما ظهر عماد الدين زنكى الذى تولى مسؤوليه توحيد المسلمين فى العراق والشام وأخذ يحقق الانتصارات ضد المحتلين والغزاه. واستمرت جهود زنكى فى توحيد الصفوف حتى قتل عام (1146 م) وتولى بعده زمام الأمور ولده نور الدين محمود وحذا حذو أبيه محاوله ًمنه لتحرير القدس الشريف.

4. القدس فى العصر الأيوبى

بعد وفاه نور الدين محمود عام (1174 م) أصبح صلاح الدين الأيوبى هو الوارث الحقيقى لآمال العرب والمسلمين وأخذ يعمل على توحيد الصفوف منادياً وا قدساه وا إسلاماه، وتركزت جهوده فى معركه حطين عام (1187 م) حيث كان النصر حليف المسلمين بعدما انهزم الغزاه، ثم فتحت المدن واحده

ص:36

1- (1) المصدر: ص 22.
2- (2) المصدر: ص 22.

بعد الأخرى وتطلعت الأنظار إلى القدس الشريف فأعدّ صلاح الدين عدّته وبدأ بحصاره للقدس فكانت النتيجه تسليم الغزاه، وهكذا عاد القدس إلى أهله فى الثانى من تشرين الأول عام (1187 م) وبعدما أزال صلاح الدين كل ما علق بمقدساتها، واهتز العالم العربى والإسلامى طرباً وفرحاً بعودتها إلى الوطن العربى والإسلامى بعد تسعين عاماً، وبعد موت صلاح الدين الأيوبى أعقبته سلسله الأيوبيين، وبعد حروب طاحنه ونشوب الخلافات فرّط الكامل محمود فى القدس إذ استجاب لملك ألمانيه «فدريک الثانى» حينما عقد معه صلح يافا فى 18 شباط (1229 م) وتقرر أن يأخذ الغزاه القدس، وهكذا استولى الفرنجه على بيت المقدس(1) وحلّت بالعرب والمسلمين الطامه الكبرى والمصاب الجلل، الأمر الذى أثار غضب المسلمين فاشتد البكاء وعلا الصراخ وأقيمت المآتم، إذ ترک الاحتلال الصليبى أثراً بالغاً على العرب والمسلمين، وكان له صدىً كبير فى البعد الأدبى حينما وقف الأدب والشعر العربى موقفاً قوياً وهذا ظاهرٌ من كلام صلاح الدين بعد فتح بيت المقدس حين خاطب فرسانه قائلاً: «لاتظنوا إنى فتحت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضى الفاضل»(2) والذى يفهم منه هو أن الأدب لم يكن غائباً عن أرض المعركه، بل حرّض الضمائر الحيّه ضد المحتلين الغزاه كما نرى فى قصيده ابن الساعاتى مخاطباً صلاح الدين الأيوبى حين يقول:

قضيتَ فريضه الإسلام منها وصدقتَ الأمانى والظّنونا؟

تهزُّ معاطف القدس ابتهاجاً وترضى عنک مكه والحجونا

فقلب القدس مسرور ولولا سطاک لكان مكتئبا حتزينا(3)

ص:37

1- (1) المصدر: ص 25.
2- (2) النجوم الزاهره: 157/2.
3- (3) ابن الساعاتى، الديوان: 407/2.

5. القدس فی عصر المماليک

بعد الأسره الأيوبيه سيطر المماليک على زمام الأمور لفتره ثلاثه قرون تقريباً بعدما انطلقوا من قاعدتهم فی مصر وألحقوا الهزيمه بالغزاه فی معرکه عين جالوت عام (1260 م) ورجعت فلسطين إلى حضن العرب والمسلمين بما فيها القدس الشريف على يد الأشرف ابن «قلاوون» عام (1291 م).

6. القدس فی العصر العثمانی

دخل العثمانيون القدس بقياده السلطان «سليم الأول» بعد معرکه «مرج دابق» عام (1616 م) وظلت القدس فی إطار الإمبراطوريه العثمانيه لمده أربعه قرون تقريباً وقام العثمانيون ببعض المشاريع کإعاده بناء أسوار المدينه وقبه الصخره ولم يطرأ على القدس تغير محسوس إلاّ إغماض بل إعطاء الامتياز للجانب الأوروبی والذی کان السبب لتدفق الأجانب نحو القدس، ووقّعت على ضوء تلک الامتيازات عده معاهدات أمثال معاهده «کارلوفيتز»(1) ومعاهده «کوتشوکقينارجی».(2) وحملت هذه المعاهده عنوان المحافظه على الأماکن المقدسه ورعايتها، وکان لليهود دور کبير فی کتابه هذه الامتيازات التی أصبحت خطيره على القدس ونمت فی ظلها المؤسسات اليهوديه ولم تستطع الدوله العثمانيه استدراک القضيه بل کان التساهل والتسامح من العثمانيين أحد الأسباب الرئيسه لعوده التيار الصهيونی لاسيما فی عهد سليمان القانونی إلى القدس وقد تضاعف عدد اليهود فی القرن التاسع عشر، حتى ضاق الحی اليهودی فی القدس بسکانه وبنيت أول ضاحيه يهوديه، خارج أسوار المدينه عام (1860 م) وتصاعد بناء الضواحی والمستوطنات الصهيونيه حتى وصل إلى سبع ضواح أخرى، والتی کونت فيما بعد نواه مدينه القدس الجديده

ص:38

1- (1) . Karlowitz.

2- (2) . Kuchuk Kaainardji.

والتى أطلق عليها القدس الغربيه. وتزامناً مع هذا التزايد اليهودى بدأ إحياء اللغه العبريه وكانت النتيجه تكوين الثقافه اليهوديه أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، هذا إضافه إلى الامتيازات التى أعطتها منظمه الأمم المتحده فيما بعد كما يُذكر.

Measures taken by israel in violation of the status of » jerusalem and their condemnation by the united nations

Since 1948 israel has taken three measures in violation of :the legal status of jerusalem. These were

the occapation and annexation of the city (1)

the alteration of its demographic composition,and (2)

.the looting and confiscation of arab property (3)

It is obvious that these measures have aimed at the (judaization of the government. (1

أيّام لها صدى

فى خاتمه موضوع تاريخ القدس السياسى والأدبى رأينا من المناسب أن ننوّه إلى أهم الأحداث التى مرت بها القدس من عام (3000 ق. م) إلى عام (2000 م) والتى كان لها الأثر البالغ فى مصير القدس الشريف:

ففى عام (3000 ق. م) هاجر الكنعانيون العرب من شبه الجزيره إلى فلسطين.

وفى عام (1800 ق. م) هاجر إبراهيم عليه السلام من أور إلى فلسطين.

وفى عام (1003 ق. م) اتخذ داود عليه السلام القدس عاصمه له.

وفى عام (722 ق. م) سقطت القدس بيد الآشوريين.

وفى عام (586 ق. م) سقطت القدس بيد نبوخذ نصر البابلى.

وفى عام (538 ق. م) احتل كورش الهخامنشى القدس.

ص:39

---

(1) -1 Cattan HENRY, THE Question OF JERUSALEM, LANDON 0891, P. 03.

وفى عام (332 ق. م) احتل الاسكندر المقدونى القدس.

وفى عام (62 ق. م) احتل الرومان القدس.

وفى عام (37 م) حكم هيرودس القدس، وولد عيسى.

وفى عام (324 م) أصبحت القدس تحت الاحتلال البيزنطى.

وفى عام (621 م) أُسرى بالنبى محمد صلى الله عليه و آله إلى القدس.

وفى عام (2 ه) صلّى النبى صلى الله عليه و آله أول صلاته إلى القدس.

وفى عام (628 م/ 7 ه) احتل هرقل البيزنطى القدس.

وفى عام (629 م/ 8 ه) وقعت معركه مؤته.

وفى عام (630 م/ 9 ه) وقعت معركه تبوک ولم تُحَّرر القدس.

وفى عام (634 م/ 13 ه) وقعت معركه أجنادين وانتصر المسلمون.

وفى عام (636 م/ 15 ه) وقعت معركه اليرموک وانتصر المسلمون.

وفى عام (638 م/ 17 ه) دخل المسلمون القدس وصالح الخليفه الثانى أهلها.

وفى عام (493 ه) احتل الصليبيون القدس وارتكبوا المجازر.

وفى عام (1187 م/ 583 ه) استردّ صلاح الدين الأيوبى القدس من الصليبيين بعد معركه حطين.

وفى عام (1190 م/ 586 ه) وقعت الحمله الصليبيه الثالثه وسقطت القدس.

وفى عام (1253 م/ 651 ه) استولى المماليک على القدس.

وفى عام (1291 م/ 690 ه) أنهى الأشرف بن قلاوون المملكه الصليبيه من القدس.

وفى عام (1831 م) استولى إبراهيم باشا على القدس.

وفى عام (1854 م) أقيم أول حى (مونتفيورى) صهيونى فى القدس.

وفى عام (1920 م) وضعت القدس تحت الانتداب البريطانى من أجل الصهيونيه.

وفى عام (1948 م) اغتصبت الصهيونيه العالميه فلسطين.

وفى عام (1967 م) احتل الصهاينه القدس وأحكموا سيطرتهم عليها

ص:40

وعلى فلسطين بعد نكسه حزيران وأخذوا يسمونها أورشليم.

وفى عام (1969 م) أحرق الصهاينه المسجد الأقصى.

وفى عام (1973 م) وقعت حرب أكتوبر.

وفى عام (1978 م) وقّع السادات مع مناحم بيجن اتفاقيه السلام.

وفى عام (1980 م) تم إعلان ضم القدس إلى دوله الاحتلال بشكل رسمى.

وفى عام (1982 م) وقعت مذبحه صبرا وشاتلا.

وفى عام (1987 م) وقعت الانتفاضه الأولى.

وفى عام (1991 م) عقد مؤتمر السلام فى مدريد.

وفى عام (1993 م) عقد مؤتمر أوسلو للسلام.

وفى تاريخ (2000/9/28 م) اشتعلت الانتفاضه الثانيه فى القدس.

القدس فى العصر الحديث

1. القدس والصهيونيه العالميه

منذ حوالى عام (1907 م) سار الاستعمار البريطانى والمنظمات الصهيونيه جنباً إلى جنب واتفقت كلمتهما على محو عروبه القدس وإسلاميتها وإباده الشعب الفلسطينى لتحل محله عصابات وجماعات صهيونيه تمهد الطريق لإقامه دوله أطلق عليها عبثاً وزوراً اسم دوله إسرائيل. ولكن فلسطين لم تكن فى حوزه بريطانيا وكانت لاتزال تشكل جزءاً من ولايتى دمشق وبيروت آنذاک فى سلطه الدوله العثمانيه. وما أن اشتعلت الحرب العالميه الأولى عام (1914 م) ووقفت الدوله العثمانيه إلى جانب ألمانيا والنمسا حتى شنت بريطانيا حملتها على فلسطين واستطاع الجنرال (إدموند) الوصول إلى القدس واحتلالها، وطُوى ملف الدوله العثمانيه وانتقلت إداره القدس إلى الحكومه العسكريه البريطانيه التى اتفقت سراً مع زعماء الصهاينه على منحهم وطناً

قوميّاً لهم فى أرض كنعان حسب قرار مؤتمرهم الأول(1) الذى عقد فى سويسرا عام (1897 م) مقابل مساعدتها فى الحرب. وكان هدف بريطانيا إقامه دوله للصهاينه فى فلسطين لتشكل قاعده للاستعمار فى الوطن العربى والإسلامى، وإثر وعد بلفور الذى صدر فى الثانى من تشرين الثانى (1917 م) بدأت القضيه الفلسطينيه تتكون لتنسج أشباكها المهلكه والخطيره على الشعب الفلسطينى والوطن الإسلامى، ذلک لأن هذا الوعد أفضى إلى قيام وطن قومى للصهاينه على أرض فلسطين العربيه والإسلاميه، وليس من الغريب أن نجد الشعراء يتحدثون عن هذا الوعد ومخاطره بل يرون دوله إسرائيل قائمه بصدور وعد بلفور، ولعل الشاعر اللبنانى «وديع البستانى» الذى كان مقيماً فى فلسطين هو أوّل من حذر من قيام إسرائيل فى قصيدته التى نظمها فى شهر تشرين الثانى من عام (1917 م) والتى قال فيها:

تريدونها جداً وجداً أقولها من اليوم سراً إن أردتم أو جهرا

فتحنا لكم صدراً، مددنا لكم يداً وإنى لأخشى أن تديروا لنا ظهرا

عرفت طريق الهند من باب طارق إلى عدن عبر القناه ولا نُكرا

فإن تحسبونا الجسر يبنيه عابرٌ فلا تهدموه فى الطريق لكم جسرا

أرى هُوَّةً تزداد عمقاً سحيقةً على عدوه أنتم ونحن على الأُخرى

أرى الوطن القومى يعلو بناؤه أرى غرفه فى القصر تحجبه قصرا

وذكرهُمُ ذكراً ولست مُسيطراً مخافه يومٍ فيه لاتنفع الذكرى(2)

وهكذا دخل الشعر ميدان المعركه والنضال وأخذ يكشف للناس النوايا الاستعماريه للبريطانيين والصهاينه وينطلق معهم فى الكفاح والجهاد كما نرى

1- (1) مؤتمر بال وبرئاسه أحد زعماء الصهاينه (هيرتزل).
2- (2) وديع البستانى، ديوان الفلسطينيات: ص 82.

فى شعر رشيد سليم الخورى حينما يقول:

الحق منک ومن وعودک أكبرُ فاحسب حسابَ الحق يا متجبرُ

تَعِدُ الوعودَ وتقتضى إنجازَها مهج العبادِ، خسئتَ يامستعمرُ

لو كنتَ من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرک محسناً يا «بلفرُ»

عِد من تشاءُ بما يشاءُ فإنَّما دعواه خاسرةٌ ووعدک أخسرُ(1)

وفى هذا السياق أبيات الشاعر حسين زيد الكيلانى إذ يقول:

يا وعد بلفور يا شؤم المواعيد يا وصمه العار فى أيامک السود

ما كان أسخاک فيما لست تملكه وما أشدّک إنجازاً لموعود(2)

ومن منطلق الخطه الصهيونيه العالميه فتحت حكومه الانتداب البريطانى الباب على مصراعيه للهجره اليهوديه، وتدفقت العصابات الصهيونيه إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم وارتفع عدد الصهاينه فى فلسطين وبلغ عام (1948 م) 650 ألف نسمه. وارتفع عدد الصهاينه فى القدس من 10 آلاف عام (1918 م) إلى 100 ألف عام (1948 م). وتمكن الصهاينه - بمساعده الإمبرياليه العالميه ولا سيما بريطانيا - من إنشاء قوات عسكريه عرفت بالهاغانا التى أصبحت جيش إسرائيل وسلّحتها بأحدث أنواع الأسلحه وبلغ عددها قبل نهايه الانتداب 75 ألف مقاتل إضافه إلى عصابه الارغون وشيترن.(3) ولمّا اطمأنّ الاستكبار العالمى إلى نجاح المؤامره وتفوّق الصهاينه عسكرياً حان وقت اقتطاف الثمر وبدأت الصهيونيه العالميه بمرحله جديده من مخططها

1- (1) رشيد سليم الخورى (القروى)، ديوانه: ص 111.

2- (2) حسين زيد الكيلانى، أطياف وأغاريد: ص 36.

3- (3) عصابه الأرغون وعصابه شيترن كانت الوكاله اليهوديه تستخدمهما للاجرام السياسى لتعلن بعد كل جريمه أن هذه العصابات خارجه من طاعتها ومسؤوليتها مثل ما حدث فى مذبحه «دير ياسين» على يد العصابه الصهيونيه شيترن.

الغادر وذلک بتقسیم الأراضی المحتله عن طریق هیئه الأمم المتحده، فقررت الأخیره تقسیم فلسطین إلی ثلاثه أجزاء، الجزء الأکبر والأخصب تقام علیه دوله إسرائیل, ولم یجف حبر إعلان التقسیم الذی أُعلن عنه بتاریخ 1947/11/29 م حتی أعلن الرئیس الأمریکی آنذاک اعترافه بدوله إسرائیل، وهکذا تبلورت الدعوه الصهیونیه بأنها خطه استعماریه معدّه من الولایات المتحده، وبریطانیا، وفرنسا، والمنظمه الصهیونیه العالمیه لتبادل خدمات المصالح المشترکه، کما یقول حاییم وایزمن: «لو لم تکن الحرکه الصهیونیه موجوده لکانت بریطانیا ستخلقها، لأن لها مصلحه بوجودها»(1). وفی عام (1964 م) نشرت الولایات المتحده بعض الوثائق السریه التی تعود إلی عام (1943 م) ومنها تقریر کتبه ممثلها - روزفلت - فی الشرق الأوسط تلتزم المنظمه الصهیونیه فی فلسطین ببرنامج یقوم علی إقامه دوله یهودیه تشمل فلسطین والأردن.(2) وکان من الممکن أن تظل جمیع قرارات الصهاینه ومخططاتهم أمانی وأحلاماً لو بقی الیهود وحدهم فی المؤامرات ضد القدس وفلسطین، إلاّ أنّ تلک الأحلام والمخططات قد توحدت مع مصالح الاستعمار العالمی وخططه فی أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرین بزعامه بریطانیا وظلت إسرائیل تخدم الاستعمار وهو یخدمها، وکل ما فی الأمر إنما هی مصالح ومنافع مشترکه بین شیاطین الأرض ومحاور الشر.

2. القدس والمقاومه العربیه - الإسلامیه

اکتسب الکیان الصهیونی فی فلسطین معظم مقومات المجتمع وسمات الدوله الحدیثه فی العقود الثلاثه للانتداب، ولم یکن قد بقی إلاّ إعلان الدوله

1- (1) إمیل توما، ستون عاماً علی الحرکه القومیه العربیه الفلسطینیه: ص 3.
2- (2) المصدر: 191.

اليهوديه، وهو الأمر الذى بدأ بقرار الأمم المتحده بتقسيم فلسطين (القرار رقم 181) لعام (1947 م)، ثم إعلانه رسمياً من تل أبيب 14 أيار (1948 م). وخلال الفتره من 29 تشرين الثانى (1947) إلى 15 أيار (1948 م) (موعد خروج بريطانيا) لم ينتظر الصهاينه خروج المحتل وإنما بادروا إلى ترويع الفلسطينيين والفتک بهم، وفى المقابل وقف الفلسطينيون ضد هذا الاحتلال ولم يستسلموا لسياسه الاستعمار والعصابات الصهيونيه وعملوا جاهدين على الدفاع عن الكيان والوطن واستمروا فى المقاومه ضد الاحتلال وما يضمره من نوايا خبيثه، فوقعت مجموعه من الثورات ضد المحتلين فى بدايه الأمر ثم الدفاع والنضال العسكرى. وحينما واجه الصهاينه مقاومه الشعب ارتكبوا جرائم بشعه مثل مذبحه دير ياسين وكفر قاسم وذلک فى نيسان (1948 م)، ودخلت الجيوش العربيه فى الصراع من أجل الدفاع عن القدس وفلسطين. ولكن الصهاينه واجهوا العرب بدعم أوروبى وأمريكى بكميه هائله من الطائرات والأسلحه التى أُرسلت لهم، وتغيّر الموقف لصالح الصهاينه بعدما أصبحت تل أبيب تحت مرمى مدافع الجيوش العربيه وبانت معالم النصر، وغمرت البهجه نفوس الشعوب العربيه والإسلاميه وكادت تُسحق تلک العصابات الصهيونيه لولا الدعم الأمريكى - الأوروبى ووقوف الأمم المتحده إلى جانب إسرائيل عندما قررت هدنه لمده أربعه أسابيع، وتوقف القتال من صباح اليوم الحادى عشر من حزيران عام (1948 م) وأثبتت الوقائع التى تلت عقد الهدنه أن العرب والمسلمين خسروا حرب فلسطين يوم قبلوا الهدنه الأولى، وأنها غيّرت مجرى القتال وجعلته لصالح اليهود بعد أن كان يتجه لصالح العرب والمسلمين كما قال السوافيرى.(1) ووقف شعراء العرب وقفه عنيفه وثارت ثائرتهم كما نرى

1- (1) كامل السوافيرى؛ الشعر العربى الحديث فى مأساه فلسطين: ص 390.

فی قصیده محمد العدنانی التی حملت اسم «انقضوا الهدنه»:

فهدنَه کانت علی العُرب نقمهً أضاعوا بها ما شیّدوا بالجماجمِ

ونالَ الیهودُ الجائعون مُناهُمُ وباتُوا کأن لم یُخذلوا فی الملاحمِ

لقد نکثوا عهداً ففازوا وأیسَرُوا وصاروا بفضل الختلِ مثلَ الضّراغمِ(1)

ویقول أیضاً:

أَلا یا لیوثَ العُربِ نقضاً لهدنهٍ کنقض عصاباتِ الیهودِ الجوارمِ

ألا تَنْکأُوا ومالمَّ من جُرح قلبنا لکی تَخبُروا من بعدُ فعِلَ المراهمِ(2)

وفی 5 حزیران عام (1967 م) أشعلت إسرائیل فتیل الحرب بشنها هجوماً مباغتاً علی مطارات مصر وسوریا والأردن، واحتلالها للضفه الغربیه لنهر الأردن ومرتفعات الجولان فی الحدود السوریه وصحراء سیناء فی مصر. وفی السابع من حزیران عام (1967 م) سقطت القدس الغربیه بید الصهاینه وأطلق الإسرائیلیون القذائف علی الحرم الشریف، وفی 28 حزیران عام (1967 م) ضمت إسرائیل القدس الشرقیه لها أیضاً.(3) وفی عام (1968 م) هجمت القوات الإسرائیلیه علی مدینه الکرامه حیث کان یسکنها عدد من اللاجئین الفلسطینیین ودارت معرکه حامیه وجهاً لوجه مع 300 مقاتل فلسطینی، فوقع عدد کبیر من القتلی الصهاینه وعلی أثرها تراجع الجنود الصهاینه، ورسمت هذه المقاومه الشعبیه طریقاً للنصر ومنحت أوسع دعم شعبی وحکومی عربی وإسلامی للشعب الفلسطینی، وفی عام (1973 م) تقدم الجیش المصری نحو صحراء سیناء وتزامناً مع هذا الاندفاع أغارت الطائرات السوریه علی إسرائیل وتم تحطیم عدد کبیر من الطائرات الصهیونیه فی الأیام الأولی لحرب

1- (1) دیوان اللهیب: 98/1.
2- (2) المصدر: 101.
3- (3) کامل جمیل العسلی، القدس فی التاریخ: ص 327 و 328.

رمضان وقتل الآلاف من الجنود الصهاينه. وبالفعل تحطمت أسطوره الجيش الذى لا يقهر، ولكن الدعم الأمريكى والأوروبى لإسرائيل من جانب وعدم تقديم الدعم لمصر وسوريا من قبل العرب والمسلمين من جانب آخر، غيّر مجرى الحرب لصالح الصهاينه أيضاً، وفى أوائل نيسان عام (1987 م) عُقد فى عمّان مؤتمر القاده العرب وبنحو لا سابقه له إذ لم يتخذ المؤتمر أى موقف على صعيد النضال ضد الكيان الصهيونى. وبذلك فقد تبدّد آخر آمال الفلسطينيين الذين كانوا منذ سنوات ينتظرون الأمه العربيه والإسلاميه أن تبادر لإنقاذهم من محنتهم، وأخذت فكره الاعتماد على الذات والتحرك من الداخل والمقاومه الشعبيه تترسخ وتنتشر وبهذا تكوّنت الأرضيه لانطلاقهٍ جديده من المواجهه ضد الكيان الغاصب وذلک فى خريف 1987 م من قبل سكان الأراضى المحتله تحت اسم المقاومه والانتفاضه, وتعددت أشكالها بتغيير الظروف الداخليه والعالميه, وكان عماد هذه المقاومه والانتفاضه الأطفال والشباب الذين استخدموا «الحجاره» ضد الدروع والحصون والدبابات. ولم يتصور الكيان الصهيونى ومؤيّدوه بأن الانتفاضه ستثمر وستكون مؤثره على كيان الاحتلال, ولكنها استمرت وأنهكت قوات اليهود مادياً ومعنوياً, ومن ثمّ أذعنت إسرائيل بقوه الشعب الفلسطينى بحيث جعلتها تنفعل وتكون مستعده للتفاوض لأنها شعرت بخطوره الأمر فأخذت ذلک بنظر الاعتبار. وهكذا أخذت المقاومه تشق طريقها إلى الأمام، وبطبيعه الحال فقد كان من شأن هذه الانتفاضه أن تترک أثراً كبيراً فى صفحات النتاج الأدبى ولا سيما فى مجال الشعر، ذلک لأن الأدب أسرع تأثيراً بالمعطى الحدثى.(1) فكانت النتيجه فتح باب شعر المقاومه الذى ترنّم به مئات الشعراء فى الوطن العربى والإسلامى كما نراه فى شعر الشاعر الفلسطينى سميح القاسم إذ يقول:

1- (1) محمد توفيق الصواف، الانتفاضه فى أدب الوطن المحتل: ص 12.

ربما أخمد عرياناً وجائع

يا عدوّ الشمس لكن لن أساوم

وإلى آخر نبض فى عروقى سأُقاوم.(1)

3. لمحات من تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين الأدبى والسياسى فى العصر الحديث

يعدّ القرن الثامن عشر نهايه لفتره الجمود والركود الأدبى والاستبداد الاجتماعى، والسياسى، وذلک بعد ما بزغت معالم النهضه العربيه فى ربوع الشام، ولا سيما فى سماء سوريا ولبنان وفلسطين فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت هذه الفتره الزمنيه فى الوقت نفسه قاسيه على شعوب المنطقه إذ كانت مليئه بالأحداث السياسيه والاجتماعيه والثقافيه إذ فيها انهارت حكومات، واندلعت ثورات، وزالت نظم، وبرزت أزمات وانقلابات، أهمها سقوط الحكم العثمانى من بلاد الشام، واشتعال الحربين العالميتين والانتداب البريطانى على فلسطين والصدامات التى حصلت بين العرب والأتراک من جهه، وبين العرب والغزاه من جهه أخرى، وقد تركت آثارها على نفوس الشعراء الذين تفاعلوا معها فبدأت أصواتهم تدّوى فى الآفاق والأنفس فكان الشعب يردّدها ويترنّم بها صباحاً ومساءً. وفى هذا الحقل من الزمن ظهر الشعر العربى الحديث فى سوريا على مسلكين ونزعتين: أولهما(2) جنحت لرصد أحداث الأمه وأحوال الوطن، وتجلت فى الشعر الاجتماعى والقومى، والنزعه الأخرى آثرت الشعر الذاتى وتجلت فى شعر الوجدان العاطفى.

وقسّم «سامى الدهان» مضامين الشعر الحديث فى سوريه إلى ثلاثه أقسام

ص:48

1- (1) سميح القاسم، الديوان: ص 447.
2- (2) عمر الدقاق، تاريخ الأدب الحديث فى سوريه: ص 321.

هی: شعر الطبیعه، وشعر النضال، والشعر الاجتماعی والإنسانی،(1) ولکن کما أشرنا آنفاً أن للشعر السوری نزعاته وألوانه المتعدده إلاّ أن أقوی ألوانه هو اللّون القومی والوطنی.

فمعظم شعراء القطر السوری تجلّی عندهم الاتجاه القومی فی العصر الحدیث أمثال محمد البزم (1887-1955 م)، وخلیل مردم بک (1895-1959 م)، وخیر الدین الزرکلی (1893-1976 م)، وشفیق جبری (1898-1980 م)، وبدوی الجبل (1904-1981 م)، وعمر أبو ریشه (1910-1990 م) إذ أخذت نفسه تغلی حین حلّت النکبه فقال:

أمتی، هل لک بین الأممِ منبرٌ للسیف أو للقلمِ

أتلقّاکِ وطرفی مُطْرِقٌ خَجِلاً من أمسک المنصرِمِ

ألإسرائیل تَعْلُو رایهٌ فی حِمی المَهْدِ وظلِّ الحَرَم !(2)

وکما نشاهد الشعر القومی عند خلیل مردم بک إذ ینادی صارخاً بالأمه لإنقاذ فلسطین والقدس:

بنی العروبه کم من صیحه ذهبت لو یُستثار بها الموتی إذن ثاروا

هنتم عَلَی کلِّ شعبٍ من تخاذِلِکمْ شأنَ العبیدِ وباقی الناس أَحرار

إخوانُکم فی فلسطین تنالهُمُ بالسوءِ والعسْفِ أَنْیابٌ وأَظْفارُ

مَهد المسیح ومعراج النبی وأو لو یُستثار بها الموتی إذن ثاروا

وأمَّا فی لبنان فقد انصرف جُلّ شعر ائه نحو هموم وغایات أخری لأن الظاهره الشعریه الحدیثه فی القطر اللبنانی شأنها کشأن البلاد الأخری قد تفاعلت مع ظروف عصرها واستجابت لها، لأنها مقیّده بحکم انتمائها إلی

1- (1) سامی الدهان، الشعر العربی الحدیث فی الإقلیم السوری: ص 9-27.
2- (2) الدیوان: 1/47-48.

بیئتها وظروفها الاجتماعیه والسیاسیه والثقافیه، ولذا نری الصبغه التربویه والثقافیه ترکت أثرها فی الشعر اللبنانی أکثر من غیرها فی العصر الحدیث. ولعلها ناتجه من التبادل بین الثقافتین والأدبین العربی - الإسلامی مع الشعوب الأخری إذ وجد فی لبنان الأبواب مفتوحه علی مصراعیها، ولکن فی الآونه الأخیره ولا سیما بعد الاجتیاح الصهیونی أخذ مضمون شعر النضال والمقاومه والشعر الحماسی یتغلب علی غیره.

کما نشاهده فی شعر عفیف النابلسی وهو یخاطب عشّاق القدس إذیقول:

یا عاشق القدس قم للقدس إنّ لها حقّاً علینا أتی من سالف الزمن

وخلّص القدس والأقداس من نجس وطهّر المسجد الأقصی من الفتن(1)

وأمّا فلسطین فقد اشترکت مع شقیقتیها سوریه ولبنان وسار الشعر فیها الاتجاه نفسه إلی إبان الحرب العالمیه الأولی، ولکن بعدما تبلور الخطر الصهیونی تغیّر موقف أبناء فلسطین بما فیهم الشعراء وأخذوا یتجهون إلی التعبیر عن خطوره الموقف، وتوعیه الشعب واستنهاضه وقد کان هذا أهمّ ما استولی علی الإنتاج الشعری منذ عصر الانتداب، وحتی هذه اللحظه فإنّ الشعب الفلسطینی بعد نکبته الکبری جنّد کل ما یملک من الوسائل خصوصاً الأدبیه منها لمأساه القدس وفلسطین التی هزّت المشاعر وأثارت العواطف وفتحت للشعر آفاقاً وأبواباً کانت مغلقه وأبدعت موضوعات لم توجد من قبل، فأصبح الشعر من أقوی أسلحه الدفاع وسخّر الشعراء أقلامهم لتحرق بنار کلماتها الغزاه وتقاوم المحتل الغاصب، وفی مختلف الظروف حیث نشاهد محمود درویش یرسل شعره الثوری وأصوات

1- (1) عفیف النابلسی، نفحات عاملیه: ص 6.

أغلال السجن الصهيونى تمتزج مع صوته النضالى إذ يقول:

من آخر السجن، طارت كفُّ أشعارى تشد أيديَكُمْ ريحاً على النّارِ

مذ جئتُ أدفع مهر الحرف، ماارتفعتْ غيرُ النجوم على أسلاك أسوارى(1)

وقد تمثلت فى الحياه الشعريه الفلسطينيه جميع الاتجاهات والنزعات ولا سيما الاتجاه القومى والوطنى والنضالى والحماسى وشارک شعراء الأرض المحتله شعبهم وأمّتهم، بوعى وإدراک ووضوح هدف، وواکبوا الأحداث القائمه وصوّروها فى أحسن تصوير.

وفى الحقيقه منذ حلّت نکبه فلسطين عام (1948 م) دخلت حياه العرب بل الأمه الإسلاميه برمّتها فى إطار خاص وأصبح الشعر معبّراً عن العصر وأحداثه وما ألمَّ بالأمه العربيه والإسلاميه من فواجع ونکبات فى مختلف الشؤون، وما نلاحظه من خصوصيات للشعر السورى واللبنانى والفلسطينى ما هى إلاّ انعکاس لتلک الحوادث وتلک الجريمه التى ارتکبها الاستعمار والصهيونيه لإباده شعب أعزل واغتصاب وطنه لجعلها وطناً لخليط من الصهاينه غرباء عنه. وبالفعل استطاع الشعر السورى واللبنانى والفلسطينى أن يبث الوعى، ويفضح العدو، ويحرک عزائم الشعب العربى، ويکشف عن النوايا الخبيثه للأعداء، ويشق طريق النضال، ومواجهه الاستعمار بالتعبيرالصادق الذى لازم المدفع والرشاش فى کثير من المواقف، ونأمل أن نکون فى هذا التمهيد الوجيز قد مهّدنا لموضوعنا الرئيس ألا وهو القدس فى الشعر العربى الحديث من النکبه عام (1948 م) حتى عام (2000 م). وعليه نتوکل وبه نستعين.

ص:51

1- (1) الديوان: 102/1.

الباب الأول: دواعی شعرالقدس واتجاهاته

اشاره

ص:53

تمهيد

فى الباب الأول من هذه الدراسه نعرض لدواعى واتجاهات شعر القدس فى سوريه ولبنان وفلسطين منذ عام ألف وتسعمائه وثمانيه وأربعين (1948 م) وحتى نهايه عام الألفين (2000 م).

وقد بدا لى أن أقسّم هذا الباب إلى ثلاثه فصول نبحث فى كل فصل منها اتجاهاً من اتجاهات شعر القدس ودواعيه وهى:

1. الدواعى والاتجاهات العربيه.

2. الدواعى والاتجاهات الإسلاميه

3. الدواعى والاتجاهات السياسيه.

وقد تضمّن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التى تمحورت فيها، وتناولها روّاد شعر القدس فى الفتره الآنفه الذكر، ولعلها هى الأساس فى الخطاب الشعرى حيث دار حولها شعر القدس وركّز عليها شعراؤه، ولقد اخترنا أفضل النصوص والنماذج الشعريه التى تعكس مأساه القدس وتعالجها بالشكل المناسب وتضع الحلول وتحدد الفعل الذى يجب أن يُمارس من

أجل تحرير القدس من مخالب الصهيونيه العالميه وإحراز النصر المؤزّر. هذا وسنقف عند كل اتجاه ومحور منه لنرى كيف صور شعراء الأقطار الثلاثه القدس وكيف ظهرت فى قصائدهم ومدى تأثير الأحداث التاريخيه فى شعر القدس وأثر الشعر فى هذه الأحداث أيضاً كى تتضح قدره الشعر ومساهمته فى استنهاض الشعب بل الأمه لإعاده الحق والتضحيه من أجله.

اشاره

ملامح النکبه:

لا نبالغ حینما نقول: إن شعراء سوریا ولبنان وفلسطین وأدباءها کانوا الأکثر یقظةً وإحساساً بخطر الصهیونیه ومشروعها الذی شاع وذاع فی الثلاثینیات وبدایه الأربعینیات، وهذا یلمسه المتابع لقصائد هؤلاء کما فی قصیده خیر الدین الزرکلی (فلسطین - 1930 م) إذ دعا العرب فیها لکی یهبّوا ویلبّوا نداء فلسطین التی راحت تشهق وتئنُّ من شده ما نالها من حیف وظلم قائلاً:

صرختْ فلسطین الکلیمهُ صرخةً تشکو ظُلاَمَتَها فسالَ عقیقُها

هی شَهقهٌ حملتْ مآسی أُمّهٍ بِسنا الأَسنّهِ قدأُجیبَ شهیقُها(1)

واستبشر الشاعر محیی الدین الحاج عیسی فی قصیدته (المؤتمر الإسلامی - 1932 م) بالمؤتمرین لدراسه وضع فلسطین ولیشکو لهم ماحلَّ بها من معاناهٍ قائلاً:

1- (1) الدیوان: ص 235.

فلسطينُ ذاقتْ صنوفَ الأذى وكاد البراق بها يذهبُ

وأضْحَتْ على ضَعْفِها سِلْعَةً تباعُ وتُشْرى وتُستَوْهَبُ

فيا قاده الشرق هذا الحمى إليكم جميعاً غَداً يُنسَبُ

فَصُونُوهُ حتى يُصانَ البُراقُ ويَرضى الذى دارُهُ يَثْربُ(1)

وقد أحسّ الشهيد عبد الرحيم محمود بالكارثه قبل أن تقع وذلک من خلال تتبّعه لمجريات الأحداث التى تعصف بفلسطين وعلى رأسها غفله أصحابها والعمل الدؤوب لأعدائها، إذ يطلق صرختهُ المدوّيه الممزوجه بمراره الشكوى والإحباط مخاطباً الأمير سعود بن عبد العزيز الذى جاء يزور القدس حينذاک:

ياذا الأمير أمامَ عينک شاعرٌ ضُمَّتْ على الشكوى المريرةُ أضلعُهْ

المسجد الأقصى أجئت تزورهُ أم جئت من قبل الضياع تُوّدعُهْ(2)

وأمَّا الشاعر بدر الدين الحامد فقد دعا الأمه العربيه لمداواه الجرح الفلسطينى ومعالجه الواقعه قبل استفحالها لافتاً الأنظار لمأساه الشعب الفلسطينى السليب محاوله منه لإيقاظ الوجدان فى قصيدته (وفد الأمه - 1936 م) حين يقول:

هذى فلسطين الشهيده تصطلى نار الوعيد

يرمونها بالعدَّه الصّماء ظلماً والعديدْ

كم من فتاهٍ رُوّعتْ برصاصهم كم من وليدْ

إخواننا وبلادنا يجتاحها الباغى الشريدْ

ويل لهم من غاره عربيه تفرى الحديد(3)

ص:58

1- (1) محيى الدين الحاج عيسى، من فلسطين وإليها: ص 17.

2- (2) عبد الرحيم محمود، ديوانه: ص 113.
3- (3) بدر الدين الحامد، ديوانه: ص 180.

وقد اعتبر وديع البستانى الجامعه العربيه فكره فارغه من المحتوى، إذ كيف تكون جامعه يراد بها الحفاظ على الحياض والذود عن الحمى وهى لم تعالج عدوّاً انتهک قلب الحمى وعَدا عليه، وهذا بعد ما لاحظ الشاعر أن الجامعه لم تورد القدس فى بنود قراراتها الرئيسه عام ألف وتسعمائه وخمسه وأربعين قائلاً:

أجامعهٌ وما للقدس فيها سوى الذيل المعلّق بالبنودِ

وما معنى العروبه فى حماها وفى قلب الحمى وطنُ اليهودِ(1)

وبناءً على هذا يرى عمر الدقاق أن ملامح المأساه كانت واضحه لدى الكثيرين من أدباء العرب فى العديد من أقطارهم خلال فتره مابين الحربين، حين كان شبح النكبه ماثلاً بوجهه الكالح لدى الأدباء الذين استشعروا الخطر قبل ساستها وزعمائها(2). ومع اندلاع النكبه ازداد التزام الأدب عامه والشعر خاصه بالقضيه الفلسطينيه، حتى بات الأدب كُلُّه أدباً فلسطينياً(3) وبعد ما فجّرت كارثه القدس وفلسطين قرائح شعراء بلاد الشام، حتى أصبح صراخهم شعراً منظوماً، وآلامهم نثراً مسجّعاً ألهب العواطف الجيّاشه، وأثار المشاعر الوجدانيه، وأشعل نيران القوميه العربيه وهزّها هزّاً عنيفاً، امتزج حب الوطن والأهل والدين وكوّن إنساناً قد تصل الحاله به إلى أن لا يرى إلاّ وطنه وقوميته وقيمه - حسب تعبيرهم - فكيف به إذا رأى نفسه مشرَّداً منكوباً، سليب الوطن، قتيل الأهل، وحاضره مظلماً من جانبٍ، ويحمل أملاً قوياً لمستقبله المشرق من جانبٍ آخر، وغيرها من الدواعى حيث دفعت شعراء القدس إلى الفكر والاتجاه القومى العربى فى سبيل أن يقوم هذا الاتجاه

1- (1) وديع البستانى، ديوان الفلسطينيات: ص 81.
2- (2) عمر الدقاق، فنون الأدب المعاصر فى سوريه: ص 361.
3- (3) حنا عبّود، النزوحات الكبرى ومعالم الأدب العربى: ص 21.

لعلاج مأساه القدس وتقليص أزمتها وتحريرها من براثن الاحتلال الصهيونى عن الطريق القومى العربى، إذ أرض فلسطين هى بقعه من الوطن العربى، وأبناؤه أولى من غيرهم فى شد الحزام لتحريره، إذ يرى هذا الاتجاه العرب أمه واحده ويؤكد استطاعتها لاسترجاع ما أُخذ منها إذا ما وحّدت الأمه العربيه صفوفها وكرّست طاقاتها لخدمه الأمه والوطن. ولقد كان وما زال لشعراء هذا الاتجاه دور عظيم فى إيقاظ الوجدان القومى العربى وشحذ العزائم، وتصعيد الهمم، وبث الوعى الثورى، واستثاره الحماسه والنخوه فى النفوس الأبيّه، والدعوه إلى النضال ومواجهه الاستعمار والاحتلال الغاشم، وبالفعل فقد تبلور هذا الجهد من الشعراء فى انتفاضات شعبيه قوميه عديده، بعد نكبه فلسطين عام (1948 م).

1. القدس وخطاب الأربعينيات

من يتصفّح ديوان شعر الاتجاه القومى العربى يجده منغمساً فى برک الدم العربى الموّاج وذلک من أجل القدس والتحرير والحريه، إيماناً عميقاً من أصحابه برسالتهم المجيده. وانطلاقاً من هذه القناعه جاءت اهتمامات الشاعر عبد الله يورکی حلاق بالقضايا القوميه حيث رأى هزيمه الصهاينه قدراً لا مفرّ منه، وذلک لأنه يعلم من قومه العرب أنهم أباه ضيمٍ لايذعنون للغاصبين المحتلين سيما إذا كان الاحتلال لأرض عزيزه عليهم ومقدّسه عندهم، متوعّداً الصهيونيه بالهزيمه على يد العرب لا غيرهم، إذ أنّهم لبالمرصاد وسوف يهزم العدو من القدس أرض محمد صلى الله عليه و آله وأرض عيسى عليه السلام، حيث يقول فى قصيدته (الهدنه - 1948 م):

صهيونُ مهلاً لا تَتيهى بالّذى أحْرزْتِهِ فالْعُرْبُ بالمرصادِ

لم يُذعنِ العربُ الأباهُ لغاصبٍ باغٍ، ولا صبروا على استبدادِ

ص:60

المسجدُ الأقصى لآل محمدٍ ولآل عيسى مهدُ عيسى الفادى

وطنٌ عزيزٌ نحن أُسدُ عرينِه ونذودُ عنهُ بعزَّه الآساد(1)

وهكذا يرى الشاعر على دمّر فى قصيدته (الفراش الأحمق - 1948 م)، هزيمه الصهاينه أمراً مؤكداً على يد جيش الأمه العربيه بعد توكّلهم على الله سبحانه ويطرب لزحفهم نحو القدس جاعلاً النهار ليلاً فى عيون فلول الصهاينه الغزاه صارخاً:

لابُدَّ من يوم تُثيرُ قتامه

حتى يصيرُ الكون ليلاً أسْحما

تهتزُّ للهول السهولُ تَذمُّرا

وتنوح للخوف الجبالُ تألُّما

وترى جيوش العُرب زاحفةً إلى

قلب العروبه كالجراد إذا نما

يَشدُون باسم الله فى هَيْجائهم

الله أكبر ما أشدَّ وأعظما

يوم كيوم القدس من أجدادنا

لما أحاطوها حصاراً محكما

ويح اليهود إذا مشينا نحوهم

كالليل يزحف فى السماء مُخيّما(2)

وأمَّا الشاعر الفلسطينى حسن البحيرى فقد نظم قصيدته (فلسطين - 1948 م) بعد النكبه التى هالته وأذهلته إذ كيف يصدّق أن تصبح القدس عاصمه ومركز حكمٍ للكيان الغاصب اللقيط، وهناك من الأمه العربيه

ص:61

1- (1) عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص 58.
2- (2) على دمّر، ديوانه: ص 102.

إنسان واحد حين يقول وقلبه يتلظى ويكتوى بنار القدس:

يا وَيح مَنْ جاورتْ أرضى عروشهُمُ وغُصْنُهُم فى رياض الصَّفْو وسنانُ

أ أغتدى بهَوى إسرائيلَ دارَ مُنًى له بمَقْدِسِها تاجٌ وإيوانُ

ويُهْدَمُ المسجدُ الأقصى وصخرتُهُ وفى الوَرَى مِنْ بقايا العُرْب إنسانُ(1)

نعم، فاجعه القدس أدمت القلوب، وبدّلت الأعيادَ أحزاناً لعظيم ماحلَّ بالنفوس إذ جعلها تكتوى وتشتوى بشماته الأعداء، فها هو ذا عمر أبو ريشه اهتزت مشاعره وامتزج دمُ قلبه بشعره متذكراً المتنبى، فى قصيدته (يا عيد - 1949 م) حينما أطلَّ عليه أوّل عيد النكبه، لكن الشاعر لم يدع هول النكبه يمسح الآمال المكتوبه فى قلبه بحروف العزم ورفض الذله والضيم.

يا عيدُ كم فى روابى القدس من كبدٍ لها على الرفرف العلوىّ تعييدُ

سالتْ على الغر إرواءً لغصّته والعز عند أباه الضيم معبودُ

هيهات لن يشتكى ما طُلَّ من دمها فالحقدُ مضطرمٌ والعزمُ مشدودُ

سينجلى ليلُنا عن فجر معتركٍ ونحن فى فمه المشبوب تغريدُ(2)

2. خطاب الخمسينيات

من الأصوات الشعريه التى حاولت إيقاظ الوجدان القومى العربى لتحريض الأمه العربيه لتحرير القدس، لا ترى لها عيداً سعيداً فى ظل الاحتلال الصهيونى مشيرةً إلى الفجائع الداميه التى ارتكبها الغزاه ولم تترك أحداً يشعر بحلاوه الحياه ولذه العيش فى وطنه، صوت سليمان العيسى فى قصيدته (نحن والعيد - 1951 م) إذ عكس حزنه لما حلَّ بالقدس قائلاً:

1- (1) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص 103.
2- (2) عمر أبو ريشه، ديوانه: 101/1.

أىُّ عيدٍ أتلقَّاه وأغدو مَرحاً أزهو على الكونِ وأشدو؟

وبلادى ألفُ جُرْحٍ يستبِدُّ وثَرى القدس دمٌ ماجَفَّ بعدُ

أىُّ عيدٍ أتلقَّاه رغيد؟ وعدوّى مُدْيهٌ فوقَ وريدى؟(1)

وأمّا يوسف الخطيب فى قصيدته (العيد يأتى غداً - 1955 م) فعطف أنظار الأمه العربيه إلى مأساه الاحتلال والنكبه وما خلّفته من جراحاتٍ بليغه فى جسد الأمه، مناشداً الوجدان والضمائر الحيه باسم اليتامى الصغار أن تترك الأفراح والاحتفالات وتسارع لتحرير القدس إذ لا معنى للأعياد والقدس مكبّله بيد الأعداء إذ يقول:

باسم أيتامنا الصغار يحومو نَ على العيش كالفراش الحائرْ

فِيمَ أعيادنا، وفيمَ الأهازى - - جُ وحشْدُ الآلاف حول المنابر!

أَيُغَنّى أنشودةَ النصر مهزو مٌ ويُذكى الحماس تهريجُ شاعرْ

مالنا والفخار، والقدس تدعو نا فهل حَرَّكت حَميَّةَ ثائرْ(2)

يظهر مما مرّ أن قصائد هذا العقد من الزمن جاءت فى صور زفرات مُرّه مكتوبةً بنار المصيبه التى حلّت بالقدس مصطليه مغتليه بها، يعلو صوت الحزن والأسى منها، مستنجدةً بالصغير والكبير تخاطب وجدان الأمه العربيه تاره ووجدان الأنظمه تاره أخرى، يغلب عليها اليأس وخيبه الأمل فى يومٍ وتستبشر بالنصر والظفر فى اليوم الآخر، وهذا نشاهده أيضاً فى قصيدهٍ الشاعر عبد المنعم الرفاعى (ثوره العرب - 1958 م)(3) وقصيده الشاعر حسن البحيرى (الأنهر الظمأى - 1958 م)(4) وقصيده الشاعر محمد العدنانى (الجمهوريه العربيه

1- (1) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: 113/1.
2- (2) يوسف الخطيب، العيون الظمأى للنور: ص 86.
3- (3) عبد المنعم الرفاعى، المسافر: ص 53.
4- (4) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص 79.

المتحده - 1958 م) حيث يرى القدس مرتديه ملابسها الجديده بعدما حررتها العرب ويدوّى فى مآذنها آذان الصلوات وتكبيرات النصر وتسمع من كنائسها نواقيس العباده والأفراح يقول فيها:

ونستردّ فلسطيناً يُؤازرُنا نصرٌ من الله يجلو الشكَّ والرِّيبا

وتلبسُ القدسُ قلبُ العُرب مُشرِقَةً من بعدِ لَيْل الأسى أثوابُها القُشُبا

ويضحكُ المسجدُ الأقصى وصخرتُهُ وقُبَّهٌ فوقَها قد بَزَّتِ القُببا

الله أكبرُ إن دَوَّت مآذنُهُ بها أَصاخ إليها الدهرُ وانجذبا

وللنواقيسِ لحنٌ فى كنائِسها سَيَتْرُكُ اللُّبَّ لُبَّ الكونِ مُسْتَلَبا(1)

3. الستينيات ونكسه حزيران

مرت سنون ودخلت المأساه فى عقد الستينيات والحزن والألم اللّذان يعصران قلب الشاعر عبد الله يوركى الحلاق منذ النكبه إذ نجده صارخاً صرخةً قويَّةً منبعثةً من أعماقه الجريحه علَّها تهزُّ القلوب المتحجره وتصحو تلك الضمائر الخامده التى مازالت صمّاء ولم تسمع الصرخات الموجعه المستنجده متجاهله القدس وما فيها من الأماكن المقدسه، مُذكِّراً بالعروبه تاره وداعياً إلى الوحده القوميه تاره أخرى قائلاً فى قصيدته (طفل فلسطينى ثائر - 1963 م):

دمُنا يصرخُ فى أعماقِنا مالكم فى صمَمٍ عن عَتَبى

يا أُباةَ الضيمِ، قد طالَ المدى واستبدَّ الشوقُ بالحرِّ الأبى

بيتُ لحمٍ وُلِدَ الفادى بها وجبالُ القُدسِ معراجُ النبى

أو نرضى أن نراها مسْرحاً للبغايا وعبيدِ الذَّهبِ(2)

ص:64

1- (1) محمد العدنانى، العدنانيات: 18/2.
2- (2) عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص 191-192.

ثم يخاطب الوجدان العربى على لسان أطفال فلسطين بعدما أصبحوا كباراً وأخذوا بالأسئله عن أوطانهم، عن حيفا ويافا والقدس و.... وعن سبب ضياعها وعن النضال والجيوش العربيه معلّقين كل آمالهم على الغد المرتقب متفائلاً بالنصر المحتَّم قائلاً:

رُبَّ طفلٍ صاحَ من أعماقِهِ أينَ حيفا؟ أينَ يافا؟ يا أبى

أينَ سهلُ اللد؟ هل يُرْجِعُهُ جيشُنا يومَ النضالِ الأشيبِ

أينَ تُربُ القدسِ، هل تلثمُه شفتى فى غدِنا المرتقَب؟(1)

كان الكل يرتقب زحف جيوش الأمه العربيه ويعدّ الثوانى للنصر المؤزّر وهزيمه المتآمرين والغزاه الصهاينه إذ النصر دائماً حليف المظلوم مهما كان الظالم متغطرساً ومهما كانت قدرته، وكل الشعوب العربيه كانت واثقه بالنتيجه بعد ما تبسم الفجر أمام أعينها ورأت جحافل جيوش التحرير تتجه نحو القدس وإذا بهزيمه حزيران (1967 م) يسدُّ ظلامها الآفاق ويرتدُّ طرف الناظرين باكياً أرمداً من هول الهزيمه التى حلت به، لكن تيار إيقاظ الوجدان القومى لم يستسلم لليأس ويستكين للخيبه مادامت الضمائر فيها وميض للثوره، ولعلَّ فى الهزيمه عبرةً، لذا نرى صرخه الشاعر حسن البحيرى مدوّيه فى قصيدته (يا أمتى لن تُقهرى - 1967 م) يقول:

اغضَبْ وَفَجِّرْ فى حنايا الصَّدْرِ بُرْكانَ الغضبْ

اغضَبْ وَخُضْ ساح القتالِ وأنتَ أمضى من لَهَبْ

اغضَبْ وقل: قدرى على صفحات أيامى كَتَبْ

حَقّى وأفراح الحياهِ، وكلُّ أمجادِ الحقب

فى القدس فى أرضى الحبيبه فى فلسطين العربْ(2)

1- (1) المصدر: ص 193.
2- (2) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص 143.

ومن هذا المنطلق، أى: العثره لا تعنى الهزيمه، فلكل صارم نبوه نرى الشاعر زكى قنصل يُحرّك الوجدان القومى العربى فى قصيدته (كفاح وأمل - 1967 م) يصرخُ قائلاً:

لم يَمُتْ قومى ولا ضاعَ الأملْ كَبْوةُ الفارس لا تعنى الفَشَلْ

يا بنى أمِّى استعدُّوا لِغَدٍ عُدَّةُ العيش كفاحٌ وأَمَلْ

إن للعود بكفِّى مؤمن هَيْبةُ السيفِ تحاشاه الأَجَلْ

لم نَزَلْ فى أول الدرب فلا يُثننا عنه قُنوط أو كَلَلْ

لا نَثِقْ إِلاّ بإمكاناتنا أخسرُ الناس على الناس اتكَلْ

لن تُردَّ القدسُ إلا بالوغى تتهادى بالمواضى والأسلْ(1)

ومن نمط هذا الشعر أيضاً خطاب الشاعر عبد الله يوركى الحلاّق فى قصيدته (ذكرى أورخان - 1968 م) قائلاً:

وقُمْ إلى الزّهر نقطفْهُ لتنسجَهُ حِساننا الغيدُ أكفاناً لموتانا

وسِرْ إلى المسجد الأقصى لِننقِذَهُ من الطغاه فيومُ الثأر قدْ حانا(2)

ولكن الشاعر عبد المنعم الرفاعى عكف على نفسه يكتوى بنار الحزن ويتأوه لما رأى وشعر بثوره باطنه، وهذا ظاهرٌ من قصيدته (عام - 1967 م) إذ يقول:

وأَمدُّ السَّمْعَ فى الأفق فما غيرُ هَمس وبقايا عُنفوانِ

وظلال ذابلات حولَنا مِنْ شَذى القُدْس وَريّا عَسْقلانِ

والتُّقى فى المسجد الأقصى خَبا فإذا التنزيلُ يرثى للأذانِ

وَشكاه باحَت البلوى بها بَيْنَ أشباه خيام ومبانى

وأنا وحدى أدارى فى الدّجى ثورةً شَمَّا تدوِّى فى كيانى(3)

ص:66

1- (1) زكى قنصل، الأعمال الكامله: 100/1.
2- (2) عبد الله يوركى الحلاق، ديوان عصير الحرمان: ص 206.
3- (3) عبد المنعم الرفاعى، ديوانه المسافر: ص 103.

4. خطاب السبعينيات

فى هذا العقد أخذ خطاب إيقاظ الوجدان القومى نوعاً من الحدّه والشدّه عند جلّ شعراء القدس كما نشاهده لدى الشاعره هند هارون فى قصيدتها (عوده تشرين - 1974 م) إذ تحثّ على القتال والنضال حتى ولو انجر إلى الشهاده فهو السبيل الوحيد لتحرير القدس، وإنّ وصمه الخزى والعار التى ألحقتها هزيمه نكسه حزيران لا يمكن تطهيرها وغسلها إلاّ بنهر دماء النضال والتضحيه لكى يتسنّى العيش والحياه بكرامه أو الموت بعزه، وكأنها تريد أن تشير إلى كلام الإمام الحسين بن على عليه السلام «لا أرى الموت إلا سعاده والحياه مع الظالمين إلاّ برما» قائلةً:

لا تغيبى.. يا أمانى العرب.. عن غالى روانا

واستحمى.. بنمير.. منه أطياب.. ثرانا..

واغسلى الأحزان.. فى نهرٍ.. غزير.. من دمانا

واقطفى.. من بارق النجم.. زهوراً.. من عُلانا.

قد نذرنا النفس.. أن نحيا.. كراماً.. فى ربانا

سوف نصليها.. سعيراً.. سوف نغزو.. من غزانا.

عزَّت القدس.. على الباغين.. لا تبغى سوانا(1)

وقريب من هذا المضمون صوت الشاعر سليمان العيسى فى قصيدته (يابْنَ الصخور البيض - 1974 م) قائلاً:

الفارس العربىُّ.. تُنْبتُهُ فى القدس ريحُ الموت، فى النَّقَب

فى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مُضَرَّجَهٍ بدم الفلسطينىِّ، باللَّهَب(2)

1- (1) هند هارون، مسار المعبد: ص 68.
2- (2) الأعمال الشعريه: 159/1.

ومن الأصوات الشعريه التى ظلَّت تحرّض الوجدان القومى العربى وتحثّه على الزحف وحمل السلاح لتحرير القدس الشريف، صوت الشاعر ناصر الخورى فى قصيدته (تشرين - فى السبعينيات) إذ يرى عمليه التحرير باتت حتميه ولن يتوانى أبناء الأمه العربيه، المسلمون منهم والمسيحيون لحظه واحده وسيجرف بحرها الموّاج المحتلَّ الغاصبَ وتبقى القدس شامخةً إذ يقول:

قدَرٌ قد خطَّه الله علينا وسنمشى دربه عمَّاً وخالا

ويميناً ما تركنا الساح حتى ترجع القدس صليباً وهلالا

أمتى والزحف سيف يتلالا خطَّ فى الميدان للعرب المقالا

زحْفُنا بحر وموج غاضب فافسحوا للبحر فى الساح المجالا

لن ينالوا البغى منّا ما صنعنا هُ بفخرٍ للعلا - لا لن ينالا(1)

ويستمر الاغتصاب وتستمر الحرقه والحزن فى قلب الشاعر حنا جاسر فى قصيدته (هنا كان شعبٌ !.. - 1977 م) حيث استمر بنفخ العزم فى الصدور وإيقاظ الوجدان علَّ الثمر يحين قطافه متفائلاً ببزوغ النصر مهما كان عمق الجراح، مادامت أمتنا العربيه أمه واحده ولا فرق بين بلاد الشام والعراق ولبنان... إذ الحدود بينهما هى حدود مصطنعه أوجدها الاستعمار وأقرّه من يدور فى فلكه إذ يقول:

سيبزغ فجر النصر يا بنت أمتَّى وينتشر الوعىُ الكبير بأرضها

فإن عراق الشام، شامُ عراقهِ وقدس رُبى لبنان، لبنان قدسها؟!

وإنّ طريق الثار بانت جليّةً أيفهمها الحكّامُ؟ أم عزّ فهمُها؟!(2)

أمّا نجيب جمال الدين، الشاعر اللبنانى فقد وجّه أصابع اللوم إلى الوجدان القومى لبعض زعماء وحكّام الأمه العربيه وصبَّ جام غضبه عليهم

1- (1) ناصر الخورى، سنابل: ص 10.

2- (2) حنا جاسر، أمه وجراح: ص 106.

إذ لو أعانوا الأمه ولو بالبترول واستعملوه كسلاح بوجه الصهيونيه ومن حذا حذوهم لأصبح العدو ضعيفاً وانهار أمام أبطال العرب والإسلام الذين لا يرهبون الموت، بل ترى الموت يرهبهم إذا وثبوا وهبّوا لتحرير القدس الصامده، وهذه رؤيه الشاعر تنسجم مع رُؤى الكثير من أبناء العالم العربى والإسلامى ترى فيها سبيلاً لخلاص القدس، وهو يشير إلى الشام ويخُصّها بالذكر لأنَّها كانت وماتزال تُذَكّر الأمه بالقدس وتعمل لأجلها متحملةً كلَّ الضرائب إذ يقول فى قصيدته (أحِبُّها.. الشام - 1979 م).

كُلُّ الصّواريخ ما كانَتْ مُجنَّحَةً

ولا هَوَتْ عاصفاً

يَستأصل العَصَبا

لولا أصابِعُكَ السَّوداءُ

حانيَةً على البَراميلِ

تُحْصِى العرض والطَّلَبا

لَوْ بائِعُ الزيتِ

وَفَّى بعضَ ذمَّتِهِ إلى دمٍ مِنْ هُنا..

أعلى لَهُ الرُّتَبا

أْو باعَنا زَيْتَهُ فى سِعْرِ عِزَّتهِ

أولا.. أمَّل المُنى

عَنْ غيرنا حَجَبا

لأَنْقَذَ القُدْسَ جُنْدٌ فى الشَّامِ

مَضوا، لَو واثبوا الموتَ

أَقْعى الْمَوْتُ مُرْتَعِبا(1)

1- (1) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص 179.

5. القدس فی الثمانینیات

النصوص الشعریه التی تعکس الاتجاهات القومیه العربیه ودواعیها الوجدانی فی هذا العقد من الزمن کثیره جدّاً ولا سیما تلک التی أُبدعت بعد الانتفاضه فی الثمانینات واندلاع ثوره الحجاره والمواجهات المسلحه البطولیه التی أخذت تتوسع فی الأراضی المحتله بعد ما أثبتت بأنها قادره علی مقاومه الاحتلال وقلع براثنه مهما امتلک من أسلحه وأدوات عسکریه متفوّقه. ولعل النماذج الشعریه التی حاولنا الإشاره إلیها خیر دلیل علی الحقیقه التی ألمحنا إلیها قبل سطور، کما نشاهد بأن الشاعر فی هذه الفتره لم یکن مقاتلاً بالکلمه الفنّیه فحسب بل تحوّل إلی مقاتل یحمل البندقیه والقلم معاً لیسطّر أروع البطولات وأخلدها فی الشعر المقدسی ویسجّل ملحمه تاریخیه حازت علی الإکبار والثناء. ولعلّ أبرز ما لاحظناه فی قصائد شعراء هذه الفتره هو نوع یأس من الوجدان القومی العربی، لشعراء بُحّت أصواتهم وکانت النتیجه الملاحظه فی کل ما مرّ هو لقلقه اللسان فقط، إذ لم یثمر إیقاظ الوجدان الثمر المطلوب؛ ولذا ومن هنا بدأ خطاب شعر القدس یتوجّه للذات الفلسطینیه کما یظهر من الشاعر هارون هاشم رشید فی قصیدته(1) (یا شاعری لاتقبل العزاء - 1982 م) یقول فیها:

نزارُ

إنَّ الشِّعرَ هذا الیومَ

یَسْتَقِیلْ

یُلَمْلِمُ الأوراقَ کُلَّها

وَیُوقِفُ الهَدیلْ

یَنْسَحبُ اللَّحظَةَ مِنْ ساحَتِهِ

ص:70

1- (1) هذه القصیده قدمت کباقه حزن إلی نزار قبانی.

ويُعْلنُ الرَّحيلْ

لأنَّ أمَّةً كهذه

لا تَسْتَحقّهُ فى عَصْرها الذَّليلْ

لأنَّها كَمَا تَرى،

مَشغُولةً عن حقِّها النبيل

مشغولةً عَنْ شَعْبِنَا الأصِيلْ،

فى القُدْسِ

فى غزَّةَ فى الخَليلْ

فى اللِّدّ فى عَكّاءَ فى الجَليلْ

مشغولَه عنهُ،

وعَنْ صِراعِه الطَّويل(1)

وتراجع تيار القوميه العربيه أيضاً لدى الشاعر عزران حجازى كما نشاهده فى قصيدته (فداءً للقدس - فى الثمانينيات) إذ فقد شعور الثقه بوجدان الأمه العربيه لما عرض لها من غفله، وتفكك، وانشغال فى سفاسف الأمور، والاختلافات بين العرب ممّا زاد فى تراخيها عن قضيه القدس، ويرى الشاعر أن الحل الوحيد لتحرير الأرض المقدسه هو توحيد الصفوف والعزيمه الفولاذيّه فقط لا الخطب والتهديدات التى لاتتعدى الألفاظ، حيث يقول:

يا أُمَّةً مشغولةً عَنْ عِرْضِها بمَظاهر الألقاب والأَسماء

لنْ يرجعَ الأقصى بنَظْم قصيدهٍ أَوْ خُطْبَهٍ بَتْراءَ أَوْ بدُعاءِ

لَنْ تُرْجِعَ الأقْصَى عزيمهُ أُمَّهٍ إنْ شابَهَا عُضْوٌ أُصيبَ بِداءِ

1- (1) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه: ص 132.

هَلْ تُرجعُ القدسَ الجريحةَ أُمَّةٌ تتقاذَفُ التهديدَ كلَّ مساءِ

القدسُ تَرْجِعُ إِنْ أرَدْنا رَجْعَها بتَوَحُّدٍ وَعَزيمةٍ وَإِخاءِ(1)

ولعلّ هذا نفسه، أى: تراجع تيار القوميه العربيه، حمل الشاعر كمال رشيد على الخطاب بلهجه حزينه، وصريحه، وصدر يفيض منه الألم والحسره لما جرى ويجرى فى أرض فلسطين والقدس من الحصار، والتشرّد، ونسف البيوت وقتل مَنْ فيها، وسبى الأطفال والنساء، هذا كله فى مرأى ومسمع من الأمه العربيه وهى لا تحرّک ساكناً وتباشر الحياه اليوميه غير مباليه ولا مكترثه بما تلاقيه القدس من ويلات، صارخاً فى قصيدته (نائمون - 1989 م).

تنامون مِلْءَ العيونْ

تَغُبون مِلْءَ البُطون

وفى ليلكم تسمُرون

وفى صبحكم

إلى كل درب تسيرون تَسترزقونْ

تبيعون أو تشترون

وتستمتعون، ولا تألمون

ولا تقرؤون، ولا تسمعونْ

بأن الخليل تعانى حصاراً

وتطلب عوناً وترجوا انتصارا

وأن العدو تمادى، وقد هدّ فى القدس خمسين دارا(2)

ص:72

1- (1) عزران حجازى، القدس فى القلب وفى الأسر: ص 23.

2- (2) كمال عبد الرحيم رشيد، القدس فى العيون: ص 75.

6. القدس فی التسعینیات

وردت القدس فی قصائد هذا العقد لتعبّر عن المطالبه بتحریرها بالفعل والعمل وترک الشعارات الزائفه والبعیده عن الواقع، داعین الأمه العربیه وساستها لأن تنتفض وتدافع عن وجودها، وشرفها وعرضها، وقدسها المدنس دفاع القوی المقتدر المنبثق عن العزه العربیه والکرامه الإنسانیه تاره، والمحاوله لإعاده قضیه فلسطین والقدس للأذهان وجعلها أهم واجبات العالم العربی والإسلامی بعد ما أصبحت تتصدّر البیانات العربیه فقط، تاره أخری ولذا نری صرخه هارون هاشم رشید فی قصیدته (صرخه الأقصی فی التسعینیات) علی لسان المسجد الأقصی فی وجه أمته العربیه یخاطب وجدانها للقیام بالمسؤولیه قائلاً:

المسجدُ الأقصی یُباحُ ویُهْدَمُ والعالَمُ العربیُّ غافٍ یحلمُ

المسجدُ الأقصی یَدور بساحِهِ الآثمونَ الغادرونَ ویُظْلَمُ

المسجدُ الأقصی علی أفواهِنا نَغَمٌ نُرَددُهُ وشعرٌ یُنْظَمُ

وقَصائِدٌ رَنانَهٌ نَهذی بها وتَلفُّتٌ وتَحَسُرٌ وتَأَلمٌ

المسجدُ الأقصی وفی کَلِماتِنا وَعْدٌ بنُصْرَتِهِ وعَهْدٌ یُبْرَمُ(1)

وأمَّا الشاعر علی عقله عرسان ففزع إلی التاریخ یستذکر القدس منذ نشأتها ویستقلّ التاریخ لیشن حملته علی المخططات الصهیونیه التی حاولت طمس عروبه القدس وإسلامیته ولیشن حمله أیضاً فی آن معاً علی الأمه العربیه بل الدول العربیه والإسلامیّه ویوجّه النّقد اللاذع لها لما قصرت فی استعاده «أورسالم» وإنقاذها من العصابه الصهیونیه، وهذا النوع من الشعر السیاسی، والتاریخی والقومی جعل القدس تحتل مکانه مرموقه فی شعر

1- (1) هارون هاشم رشید، قصائد فلسطینیه: ص 116.

القدس وأظهر أن القدس ليس مدينه عاديه وإنّما هى مدينه عريقه لها حضارتها وتاريخها وأنها عربيه منذ تكوينها ونشأتها، وحاول الشاعر أن يجعل القدس هى القضيه المصيريه لدى الأمه العربيه والإسلاميه ومن الواجب على أبناء العرب أن يفرحوا لفرحها وأن يحزنوا لحزنها ولا يمر صبح ولا مساء إلاّ وأن يستذكروها ويسارعوا لتحريرها ولا يوجد أمر أهمّ من هذا ولا واجب أوجب من هذا، إذ يقول فى قصيدته (أورسالم... صباح الخير - 196 م):

أوْرْسالمٌ..

صباحُ الخير..

صباحُ التاريخ،

فأنت الخيرُ، وصدْقُ التاريخ،

صباحُ الخير.. مساءُ الخير،

فأنت صبحُنا والمساء..

ضحكنا والبكاء.

قبل اليبوسيين،

قبل مئتين من سنين من عهد هارون وموسى،

كنت تميمةَ العربى ومحرابَ فؤاده،

تبكيك العينُ وتُشْرِقُ بک

فى الروح.. أنت نبعُ الفرحِ ونبعُ الدموع،

ثم يقول:

ولا بد لصاحب الحق والحقل والشجره والسر من سيف وعزم،

ليكون له ما ملک وما استنبت،

وليحفظ ما ملک وما استنبت؛

يجنى الحسرةَ ونارَ الخسران،

ويعيش شهقةَ الأمنيات ساعه النزع،

وليلاً سرمديَّ الحرمان.(1)

تفاءل الشاعر محمود حامد بانتفاضه الأقصى ورأى تحرير القدس أصبح قاب قوسين أو أدنى وأن ليل الاحتلال الداجى أدبر وانصرم، ونجمه الفجر الصادق تلألأت فى سماء فلسطين وأشرقت القدس بنورها وطربت منارات المسجد الأقصى راقصه فرحه لأصوات تكبير أبناء الانتفاضه التى لم يسمعها أحد إلاّ وكبّر معها مستبشراً بقرب النصر مؤكداً استمرار النضال ضد المستعمرين، إذ يقول فى قصيدته (الطريق إلى نجمه الصُّبح - نهايه التسعينيات):

أَسَمِعْتِ مئذنةً على الأقصى تضجُّ

غَداةَ يعلو فوقها التَّكبيرُ !!؟

تبدو كأنَّ الصَّوْتَ - يخلعُها

فتنهضُ، أو تكادُ تطيرُ

تمشى.. كأنَّ الأرضَ واقفةً خُشوعاً،

والزَّمانُ يسيرُ(2)

ثم استحضر محمود حامد بانتفاضه الأقصى وإنجازاتها صوره صلاح الدين الأيوبى الشخصيه التى ارتبطت بالقدس ارتباطاً تاريخياً، أخذ يتخيّله كيف عاد يرافقه الشهداء يقلع بقوه جذور الاحتلال منادياً يا لثارات الدم المراق ظلماً وعدواناً متجهاً نحو القدس وخَلْفَه عساكر الثوار والمناضلين ترجُّ الأرض من صرخاتهم الغاضبه، عبّر الشاعر عن أمله وثقته بانتفاضه الشعب الفلسطينى لتحرير القدس اعتماداً على الذات بعد صمود مقاومه طويله إذ يقول:

هو ذا صلاحُ الدِّينِ يخلعُ قَبْرَهُ

1- (1) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص 299-305.
2- (2) شهقه الأرجوان: ص 53-54.

صلَّى مع الشُّهداءِ،

هزَّ بقبضتيهِ ثرى الخليل وقاما

وتَوَضّأَتْ عيناهُ بالدَّمِ

والدَّمُ العربىُّ ينهضُ

فى القباب حَماما

صلَّى بنا، وهو الذى مازال ينزِفُ،

فى الجُموعِ إماما

ومشى..

لعلَّ القُدْسَ وجهتُهُ،

وعَلَّ الشَّاما

هى خُطوهٌ..

حتى إذا صَرَخَ الدَّمُ العربىُّ

من فَوْقِ المآذنِ: وا صلاحُ الدِّينِ

ضَجَّ السَّاحُ راياتٍ،

وثار حِماما(1)

شعر التسعينيات كما رأينا عند محمود حامد وغيره من شعراء هذه الفتره يؤكد أنّ تحرير القدس لابد من عبوره على جسر الانتفاضه، والوصول إلى الهدف لايمكن إلاّ باستمرارها، والنصر على الأعداء سوف يحققه الدّم، لأن الدّم الفلسطينى كما يقول الدكتور خليل الموسى هو أنهار تفيض على السهول والبطاح والهضاب، لتعيد أزمنه الخصْب لربوع فلسطين والقدس، وهذا هو الطريق الوحيد الذى يفضى إلى نهايه أزمنه الجفاف والدخول إلى

ص:76

1- (1) المصدر: ص 55.

فصول الربيع والحياه[1] لتزدهر شجره الحريه والاستقلال وترفرف رايه النصر فى ربوع القدس خفّاقه شامخه. واتضح أيضاً من شعر هذه الفتره أن الخطاب القومى وإيقاظ الوجدان امتزج بالخطاب الإسلامى والخطاب الدينى بشكل عام كما نشاهده فى قصيده الشاعر هارون هاشم رشيد (قصيده للقدس - فى التسعينيات) قائلاً وهو يخاطب كل وجدان وضمير حى:

لِعَينيها..

مَدِينَتى الَّتى سُجِنَتْ

لِمَسْجِدِها..

لأقصاها..

لحُرمَتِها التى انتُهِكَتْ

لِخَطْوِ مُحمدٍ فيها

لما حَمَلَتْ

ما حَفِظَتْ

لمريمَ والمسيحَ

وكُلَّ ما عَرَفَتْ ومَنْ عَرَفَتْ[2]

وبهذه النغمه المتوجّعه والحزينه تستمر صرخه الشاعر وهو يدعو كل وجدان أن ينهض لأجل القدس واستخلاصها من يد الغدر والحقد الصهيونى.

أُنادى كُلَّ موتانا

أُنادى كُلَّ أحيانَا

أُنادِيْهِمْ أناجيلاً

1- (1) خليل موسى، تحوّلات الدم الفلسطينى فى شهقه الأرجوان: مدارات تشرين، العدد 163، 3، كانون الثانى، 2004.

2- (2) هارون هاشم رشيد، قصائد فلسطينيه: ص 106.

إذا سَمِعوا وقُرآنا

أُناديهم بِاِسمِ اللهِ

أشياخاً وشُبَّانا لأجل القُدسِ

فطُهْرُ القُدسِ قَدْ هَانَا(1)

7. القدس فى عام 2000

يطلُّ عام الألفين يشدُّ غضب الشعراء وهو يحضّ على الانتفاضه إذ يرونها هى المنقذ الوحيد للقدس، فحضّوا أبناء الشعب الفلسطينى لإنقاذها موجهين اللّوم للوجدان العربى مطالبين بحمل السلاح والتوجه نحو القدس كما نرى فى قصيده الشاعر محمد إياد عكاوى (العذراء اليتيمه - 2000 م) قائلاً:

فمن لى بسلِّ المشرفيّات نُصْرَةً تُعيدُ عرين النَّاصِرِ البيضُ والسّمْرُ

نقيمُ جدارَ الحقِّ سدّاً مُدَعَّماً نمضى براى الهدى، آمالنا الفجْرُ

نجوبُ رحابَ الكون، نطوى سَماكَهُ يُغيرُ بنا صقرٌ، ويَغْزو بنا نَسْرُ

ليأتى غياثُ القدس جيشاً مُوَحِّداً بيُمناه سيفُ العِزِّ والآىُ والذِّكْرُ(2)

ومن هذا المنطلق قصيده الشاعر عزران حجازى (إلى الأقصى - 2000 م)

إلى الأقصى إلى الأقصى جموع الثَّأْرِ لا تُحْصَى

ورَبُّ البيتِ نادانا نِداءُ اللهِ لا يُعْصَى(3)

أنادى هَيْئَةَ الأُممِ وَكُلَّ العُرْبِ والعَجَمِ

اكتفيت بهذا المقدار اليسير من الشعر المقدسى الذى حمل عنوان «إيقاظ الوجدان القومى العربى». وفى خاتمه هذا المبحث حاولت أن أقدم

1- (1) المصدر: ص 108-109.
2- (2) محمد إياد عكاوى، لبيك يا أقصى: ص 27.
3- (3) عزران حجازى، القدس فى القلب وفى الأسر: ص 82.

جدولاً لأهم القصائد التى تطرقت للقدس حسب الاتجاه القومى مابين الفتره الزمنيه (1948-2000).

جدول أهم قصائد محور إيقاظ الوجدان القومى العربى حسب الترتيب الزمانى

ص:79

الحنين إلى القدس

اشاره

إن الحنين والأنين إلى القدس لم يترک قلباً إلاَّ وقطع نياطه، ولم يدع عيناً إلاَّ وسلبها لذّه نومها، كيف لا.. بُعد وطنٍ ومعاناه غربهٍ، وبكاء شوق لأرض

ص:82

أجدادٍ جمعت رسالات السماء، مهد عيسى ومعراج محمد صلى الله عليه و آله وقبور أنبياء، ضمن هذا الحنين تعرّضت كثير من قصائد الشعراء إلى القدس، وقد تناول أصحابها ماحلّ بأهلها من تشريد وغربه وآلام جسميه ونفسيّه، حوّلت شوقهم إلى وطنهم شعراً يتفجّر حيناً إلى يافا وحيفا والقدس، إلى غزه وجنين واللّد و.. وهذا لسان حال كل فلسطينى ممن غادروا وطنهم مضطرين لا مختارين، إذ لا شىء أصعب على المرء من مفارقه وطنه وإخوانه، كيف وقد مضت أيّام بل سنون وتراكمت المعاناه والهموم، وينتظر المبعدون بفارغ الصبر بارقه أمل لبزوغ الفجر فى ربوع الوطن، إذ لم يروا ما هو أجمل وأحسن وأطيب عطراً من وطنهم، ولذا حنّوا له وتغنّوا به، يصرخ الواحد منهم من وراء البحار والمحيطات: لبيک يا قدس، قلوبنا داميه، وعيوننا باكيه، نسمع صرخاتک العاليه، ونشعر بآلامک الشاكيه، لا والله لا ننساک يا أمّنا الغاليه، سنعود بإذن الله تعالى إلى ربوعک بسواعدنا ودمائنا الزاكيه.

1. القدس وآه الأربعينيات

الحنين إلى القدس شعور سار فى عروق كثير من قصائد الشعر المقدسى، كيف لا، أولم يكن حبّ الوطن من الإيمان؟ ويَعْظُم هذا الحب كلّما عظم الوطن، وكبرت الأحلام به، وبالعوده إليه، وهل ترجع القدس إلى أهلها !؟

فلقد صوّر لنا حسن البحيرى فى قصيده (لفلسطين أُغنّى - 1948 م) الأسى الذى يكوى جنبات صدره وهو يلقى نظره الوداع على الأقصى، وحاله حال جميع أبناء الشعب الفلسطينى، الذين فارقوا وطنهم مُرغمين بقوه السلاح الصهيونى، تصويراً امتزجت فيه آلامه النفسيه والجسميه، بعد ما ارغم الشاعر عام «1948 م» على مغادره وطنه مودّعاً القدس واقفاً بباب المسجد الأقصى يتفجر قلبه حزناً ويبكى بدل الدموع دماً قائلاً:

وقفتُ بالْمَسْجِدِ الأقصى أسائلُهُ والنّارُ فى جَنَباتِ الصَّدرِ تَسْتَعِرُ

وأدْمُعُ القَلْبِ تَستَتْلى مَصاوِبُها من مُهْجَتى دَمعَ عَيْنى وهى تَنْهَمِرُ(1)

2. القدس فى حنين الخمسينيات

لقد تمكّن حبّ الوطن من قلوب أبناء فلسطين وامتزج هذا الحب الصادق بجراح الغربه وآلام التشرد، ولعلّ مسأله الغربه والحنين إلى القدس لدى هارون هاشم رشيد تبدو أكثر عمقاً إذ تجده يفتتح كل بيت من أبيات قصيدته (غرباء - 1954) بلفظ غرباء، إحساساً منه بمراره التشرد والابتعاد عن الوطن الحبيب كيف وإذا كان الوطن هو القدس لاغير.

غرباءٌ؟! سَلوا فلسطين عنّا وسلوا كلَّ ثورهٍ كيف كُنّا

غرباءٌ؟! ونحن من جبل النّا رِ اندفَعْنا مشاعلاً وانطَلَقْنا

غرباءٌ؟! ونحن من مَنْبتِ المقْ - - دس من بيتها المطَهَّرِ جئنا(2)

نستشفّ من شعر هذا الشاعر أن واقع الغربه قد تجاوز قضيه العطف والشفقه، إذ جعل تعاطف الشاعر مع المشردين والنازحين يمتاز عن تعاطف الآخرين من الشعراء بصدق الحنين وزفره الأنين مؤكداً على العوده مهما طال الزمن وكلّف الثمن، ولذا فى قصيده (العوده - 1955) يرى الشاعر الثائر هارون رشيد أنّه ليس من الممكن أن تتم العوده إلى القدس، أرض الأجداد إلاّ عن طريق الكفاح، والثوره، وانتفاضه الأمه إذ يقول:

وأدعو صحابى.. صحابَ الحياهِ وأجمعُ للملتقى أخوتى

سأجمعُهم فى صعيدِ الكفاحِ وفى نقطهِ البدءِ والوثبهِ

وأجمعُهم حولَ أرضى التى تنادى وتهتفُ بالنجدهِ

ص:84

1- (1) لفلسطين أغنى: ص 83.
2- (2) هارون هاشم رشيد، مع الغرباء: ص 73-74.

وأدفعُهم للقاءِ الحبيبِ إلى موعدِ الثأرِ للعودهِ

إلى أرضِهم، أرضِ أجدادِهم إليها إلى مهبطِ العزهِ

إلى القدس توّاقه للّقاءِ إليها إلى اللدِّ للرملهِ(1)

وأمّا سليمان العيسى فهو يرى التشرد الذى يرمزإليه بالخيمه التى احتضنت مأساه المشرد ولوعته، ولكنه يرفض الاستسلام للأمر الواقع مهما بلغ من التردّى فيمتلئ عزيمةً واندفاعاً فى الرفض لذلک، ولا يعرف التراخى ولا التوانى، فهو يدعو على نفسه بالعار والشنار إن غفل عن السير فى ركب أمجاد أمته التى يعتبرها باعثاً على الرفض والمقاومه حتى تحقيق النصر والعوده إلى الوطن، فيقول فى قصيدته (نشيد العوده - 1959):

تعِبَتْ خيامى السودُ، أَثقَلَها دمى

وشكَتْ،

يا وَصْمةَ الأجيالِ.. لا فارقتنى

إنْ نمتُ بعدَ اليومِ عن أمجادى

عن أمتى، فى كل دربٍ مِزْقَةٌ

منها، ومُلْتفعٌ ظلامَ سوادِ

أنا عائدٌ.. فى القدس لى انشودهٌ

وقصيدهٌ للنصرِ فى بغدادِ.(2)

3. حنين الستينيات

كلّما مرّت الأيّام اشتدّ ظلام المأساه وعمق الجرح الفلسطينى، وارتفع صوت الحنين للوطن. ولقد انعكس هذا على بعض شعر القدس وجعل بعض قصائده

1- (1) عوده الغرباء: ص 23-24.
2- (2) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: 2/26-27.

مشحونه بالتوتر، غارقه بمصاب الوطن السليب، حامله الهموم الجسام كما نجدها عند الشاعر حنّا جاسر فى قصيده (سمفونيه.. من أعماق النوى - 1960) حينما تذكّر الماضى والكرامه والعزه فى أكناف وطنه وقارنه مع مأساه الحاضر، رأى نهاره ليلاً وليله بلا قمر، يعيش الظلام الجاثم على الصدور بعدما أصبحت القدس يعيث بها الغاصبون فساداً وانتهاكاً، وهذا الذى جعل الشاعر يتجرع كؤوس المراره التى تكاد تزهق روحه، فقد بددت قسوه الاحتلال آماله وسحقت براعم أمانيه النابضه بالروعه فأردتها خاويه من كل معنى كان يملؤها حياةً وحيويه، ومن هذا القبيل قوله:

.. وهكذا تعبرُ الأيام مفرِغَةً عصيرها المرّ فى روحى وفى بصرى

فى كلّ ثانيهٍ بُشرى.. فإنْ وضحتْ عاد الجفافُ يُغطّى سطح مُنحدرى

وكلَّما برعمتْ فى الأفق أُمنيهٌ عاثت بأوراقها دوّامهُ القدرِ

أنا الذى كان لى فى القدس مملكهٌ على الكواكب والأطيار والزّهرِ

أمسيتُ.. والخصم يلهو فى أشعّتها أجسُّ ليلى فألقاه بلا قمرِ..

تنهّدى ياغيوم اليأس وانفرجى عن بسمهٍ تبعث المدفون من أملى(1)

هذه القصيده من القصائد الطوال التى ذكر الشاعر القدس فيها وصوّر بعض ماحلّ به وبالشعب الفلسطينى المضطهد وماعاناه اللاجئون من مواجع الغربه عن الوطن ودفء حضنه، فحزنه - فى أبيات القصيده - على فلسطين والقدس يبدو أنه طويل وطويل، ممتدٌ من النكبه والنكسه حتى اتصل بجمره الغربه واستمر الجوى إلى أن غطّى ظلامُه أفق الأمل عند الشاعر.

وأمّا قصيده (مزامير - المزمار الحادى والخمسون - نهايه الستينيات) لمحمود درويش التى يقول فيها:

1- (1) حنا جاسر، أمّه وجراح: ص 49.

ونغنّى القدسَ

ياأطفالَ بابلْ

يامواليد السلاسلْ

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبّرون

وقريباً تحصدون القمح من ذاكره الماضى

قريباً يصبح الدمع سنابل.

آه، ياأطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبرون.

وقريباً

وقريباً

وقريباً..

هلّلويا

هلّلويا..(1)

فهى على عكس ماعليه قصيده (سمفونيه) إذ تمتلئ قصيده درويش أملاً متدفقاً جيّاشاً فيرى بعين البصيره نهايه الاحتلال أصبحت قريبه فهو على يقين من أنّ عاقبه عصابه الإرهاب الصهيونيه، الاضمحلال والزوال بعد المعاناه الشاقه والصبر الطويل، لابد من بزوغ فجر النصر والحريه، وستكتحل عيون أبناء الشعب الفلسطينى المظلوم برؤيه الوطن الحبيب وستتحول دموع المشردين من الشيوخ الركّع والأطفال الرضّع و... إلى

أزهار وسنابل بعد ما كانت رصاصاً وقنابل وبعد مادكّت عروش الطغاه وحطّمت القيود والسلاسل،

ص:87

1- (1) محمود درويش، ديوانه: 400/1.

فالشاعر یری هذا الحدث وشیکاً کلمح البصر أو هو أقرب من ذلک.

وهکذا درویش بث الأمل فی النفوس فی موضع آخر من القصیده نفسها حیث لم یر بینه وبین القدس أیّ مسافه وأیّ بُعدٍ إذ یحنّ لأورشلیم قائلاً:

أورشلیم ! التی عَصَرتْ کلَّ أسمائها

فی دمی

خَدَعَتنی اللغات التی خَدَعَتنی

لن أسمّیکِ

إنی أذوبُ، وإنّ المسافاتِ أقربْ

وإمام المغنین صکّ سلاحاً لیَقْتلنی

فی زمانِ الحنینِ المعلَّب(1)

4. القدس وحنین السبعینیات

تمضی ثلاثه عقود من الزمن والحنین إلی القدس یزداد یوماً بعد یوم ویمتزج الحزن بحنین الشوق لیعبّر عن الشعب الفلسطینی والحاله التی یعیشها من فقر، وتشرید وغربه، ومأساه، ولکن العیون المبعده شامخه ترنو إلی طریق العوده والکل یترقب شروق الشمس علی قباب المسجد الأقصی، والآذان صاغیه لاستماع تکبیر النصر من منارات المقاومه والصمود، وأجراس الفرح من کنائس المسیح، فقد تفاءل شعراء القدس بهذه اللحظات إیماناً منهم بعجله التاریخ وسیرها السریع نحو النصر الذی أصبح علی الأبواب بعد ما ملک الشعب الفلسطینی زمام الأمور وآلی علی نفسه أن لا یرضی بغیر السلاح علاجاً لطاعون الغضب والاحتلال، وهذا مالمسناه من الشاعره هند هارون فی قصیدتها (نداء الأرض - 1970) فلقد أبدعت فی تصویر هذه الآمال التی

1- (1) المصدر: 287/1.

باتت ومضاتها تبشّر بطلوع الفجر وابتسامته فى أفق القدس إذ تقول:

حملتْ رياح القدس.. من تربى.. شذاً

عبقت.. بنفحته.. ذرى.. شمَّاءُ

فانساب فى الأكواخ.. يلمس هائماً

تلك الجباه.. وللجباه.. صفاءُ..

فإذا بروح.. فى الخيام.. جديده

وإذا القنوط.. توثُّب.. ومضاءُ

بعثَ الشذا فيها.. تَحفّز.. أمّه

تحيى كرامتها.. ولاحَ.. ضياءُ..

شب الصغار.. وقد لمست قلوبهم

وتساءلوا.. هل عوده ولقاء..

أنعيش.. لا أهلٌ.. ولا وطنٌ.. ولا

أرض.. وتزعُمُ.. أننا أحياء..(1)

فالشاعره أشارت إلى الشراره التى اندلعت وطارت بها الرياح القدسيه لكى تحرق جذور القنوط واليأس عند النازحين سيما عند الأطفال والشباب الذين ولدوا فى ديار الغربه ولم يترعرعوا بكنف الوطن، فراحوا يتساءلون ويسألون الكبار عن الوطن مما يزيدُ حنينهم له.

الشراره القدسيه لم تقتصر على بث الحياه الجديده والأمل بالعوده عندهم فحسب بل أضاء شعاعها الأمه كلها. وأمّا الشاعر المغترب إلياس قنصل فهو رغم مراره الغربه وجمرتها لا يكتم حب وطنه ولا يُخفى الإيمان العامر به قلبه، ويصرّح بأنه ليس من الممكن أن يحول بُعد المسافه ومرور الزمان بينه وبين وطنه أو ينال من حبّه الصادق وشوقه المتزايد له، والذى يحمله فى قلبه أنّى

1- (1) هند هارون، سارقه المعبد: ص 75.

ارتحل وأنّى حلّ، فيقول فى قصيده (شهيد ميسلون - 1970 م):

وقفٌ على الوطن المحبوب غربتُنا

وشوقنا، ومَرام دربه خشنُ

إنْ فاتنا سؤددُ الحربين فيه ولم

يختم رغائبنا بالعوده الزمنُ

مافاتنا أن نوالى حملَ رايته

فحيث كنّا يكن فى سرّنا الوطنُ(1)

ثم يوجه الخطاب للعدو وينصحه بأن لا يتبجّح ويفرح لأنّ انتصاره سوف يبدّل بالهزيمه ويحرّر القدس مهما تحصّن العدو الغاصب وامتلک من إمكانيات ماديه:

لا يفرحنَّ العدى ليس انتصارهُمُ

إلاَّ سراباً إليه يجمح الهوسُ

شبر من القدس لن يبقى بحوزتهم

مهما تحصَّن فيه الأعور(2) النجسُ(3)

وأمّا هارون هاشم رشيد فلقد أمضى معظم حياته فى الغربه حنيناً إلى القدس، وسَكَبَ هذا الحنين شعراً وهذا ماتراه جليّاً فى قصيدته (زيتونه - فى السبعينيات) إذ أصبحت القدس لديه ناراً يتلظى بها جسمه، وجرحاً سخيناً فى أعماق قلبه، ومعشوقاً فقدَ من أجله عقله، وبلغ الشاعر فى هذه القصيده ذروةً تعبيريه لعله تفرّد بها حين يقول:

ص:90

1- (1) إلياس قنصل، ألحان الغروب، (ألقيت القصيده تكريماً لذكرى يوسف العظمه شهيد ميسلون عام 1970 م): ص 94-95.

2- (2) الأعور النجس، ظاهراَ إشاره إلى مناحيم بيجين أو موشى ديّان رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاک.
3- (3) المصدر: ص 95.

أحبُّک یاقدس، لا تسألینی

لماذا، وکیف، وماذا أحبُّ

فإنّی حملتک جرحاً سخیناً

بأعماق قلبی، ناراً تشِبُّ

أنا عاشق، مدنف مستهام

أنا تائق، ومشوق وصَبُّ

تدبّین فیّ، دبیب الدماء

فیخفق باسمک فی الصدر قلبُ

أحبّک یاقدس، هذا هوایَ

إلیک کشلال نهر یصبّ(1)

فنری حبّ القدس فی هذه الأبیات اختلط بدم الشاعر ولحمه، فأنفاس حیاته باتت منوطه بوجود تلک المدینه الصامده، ونبضات قلبه متیّمه علی اسمها، وکل دقه من دقاته ینادی یاقدس.. یاقدس.. یاقدس فیناجیها محبوبه تأکل تفکیره حبّاً وهیاماً، فنراه غارقاً فی بحر متلاطم من التفاؤل والأمل بالغد الآتی القریب الوشیک کما نشاهده فی الأبیات التالیه فی القصیده نفسها:

أحبّک یاقدس لا تسألینی

لماذا؟ وکیف؟ وماذا أحبُّ

سیزهر لابد یوماً ربیعک

یزهر لابد یوماً یهِبُّ

ولابد للعاشق المستهام

وإنْ طال لیل وأَظْلَمَ دربُ

بأن يلتقى، بهواه الكبير

ص:91

1- (1) مفكره عاشق: ص 68.

فيحلو اللقاء، يزدان قرب

على صهوه فى رياح الفداء

يجىء إليک مع النصر شعب(1)

فأمله قوى فى العوده ولقاء الحبيب، تلک الأرض المقدسه التى بارک الله فيها، أرض الأهل والأجداد وإن طال ليل المآسى واشتدت ظلمه الطريق. فالشاعر واثق بالنصر وعوده جماهير شعبه المظلوم.

5. حنين الثمانينيات

القصائد التى تمثل الحنين فى هذه الفتره قليله جداً وما وجدناه منها فهو مزيج من الحنين والحماس كما نجده عند الشاعر الفلسطينى محمود حامد وهو يتحدث عن القدس فى لهفه وشوق، وبروحه الشفافه والحسّاسه يصور مدى إخلاصه، وتفانيه لموطنه، يعلوه صوت الحنين حينما يصف العشق المتبادل بينه وبين القدس، ذلک العشق العميق الذى يذوب فيه الشاعر، يحمله الحب لکى يتجول مع الرياح فى أرضه المحتله فيؤلمه مشهد المأساه وعمق الجراح فيقول فى قصيدته (داخل الجُرح - 1985 م):

وإنّى إلى مُقلهٍ تشتهينى

أجنُّ بها صَبْوَةً، أوْ أذوبُ

تقاسمتُ والريح هذى البوادى

وقلتُ: إلى أين تمضى الدُّروب !!؟

وإنّى إلى دمعه أوجعتنى

أميل عتاباً..،

وإنى إلى رايهٍ فى الهضابِ

1- (1) المصدر: ص 71.

أميلُ دماً عاشقاً لا يغيبُ

فكم شَفَّ عند الرَّفيفِ صباها،

ولاذت بها فى الخُطوبِ الخُطوبُ !!؟

وقلتُ: إلى الشَّامِ خذنى سلاماً

إلى القُدس خذنى،

إلى خندقٍ يمتطيهِ الجنوبُ

فما أخطأت نبضةٌ فى هواها،

ولا كان فى خافقى مايُريبُ(1)

فى عقيده الشاعر أن الحب والدم هو الرمز الذى يجعل رايه التحرير خفّاقه، والتى بإمكانها أن تفسّر حلم العوده إلى الديار لأن العوده فى ظل الاحتلال الصهيونى أمر مستبعدٌ بل محال، الرايه التى عشقها الشاعر وأعلن استعداده - كبقيه أبناء شعبه - أن يضحّى بالغالى والنفيس فى سبيل علوّها، هى الرايه التى رفرفت فى جنوب لبنانٍ وأخذت ترفرف فى ربوع القدس، ولا ريب أنها ستبقى خفّاقه عاليه، ورمزاً يلجأ إليه كل مظلوم ومضطهد يأمل أن يرفرف قلبه بالحريه كرفرفتها.

لقد خسر المواطن الفلسطينى وطنه وأرضه وأُبعد عن دياره ظلماً وعدواناً، لكنّه لم يخسر ذكرياته التى ضمّنها قلبه، لذا ترى عيونه تبقى ترنو وتهفو إلى ربوع أرضه حتى ولو توفّرت له فى الغربه كل وسائل الراحه وكل المشتهيات، فالحياه فى الوطن لا يمكن أن يحل محلها شىء.

فالشوق إلى الوطن والغرام به جعل الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد يغنّى القدس ويحن إليها وما أعذب ألحانه عند ما يقول فى قصيدته (نحالين(2) - نهايه الثمانينيات)

ص:93

1- (1) محمود حامد، بيسان: ص 86-87.

2- (2) نحالين: قريه فلسطينيه داهمتها قوات الاحتلال ليلاً وقتلت تسعه من أهلها.

يافلسطين والحياه ادّكارٌ طال شوق، ولَجّ فينا الحنينُ

نحن فی البعد مابَعُدنا وفينا نحو قدس الهُدى تَرفّ عيون

وعلى الأفق تنجلى ظلمات تطلع الشمس يفرح المحزون

ونعيد التاريخ عزماً قوياً فيه بدرٌ وأختها حطين(1)

فهذه الأبيات صادره عن قلب مكلوم يحنُّ إلى وطنِهِ الذى هَجَرَهُ رغماً عنه، يحلم بالعوده إليه بعد زوال ظلام العدوان الصهيونى وطلوع شمس التحرير معاً.

وأمّا حسن البحيرى فقد هز الألم أركانه وأدمى قلبه، فهمومه هموم شعبه المظلوم فما عرفت عيونه لذه نوم وما هدأ له بال منذ أُرغم على ترک وطنه، ونتيجه لقسوه الاحتلال فإن الشاعر كان يرقد فى المستشفى بين تاره وأخرى لعلاج الجدار السفلى من قلبه، ولكن الحنين إلى القدس لم يفارق حنجرته حتى ولو كان على سرير العلاج ففى قصيده (وَهْنٌ فى القلب - 1989) يقول:

لَقَدْ كُنْتَ ياقَلْبى عَلَى كُلِّ شدَّهٍ كَأَنَّ الحديدَ الصُّلْبَ فى الصَّدْرِ كَوَّنکْ

فَكَمْ دَهِمَتْکَ الحادثاتُ بِعُسْرِها فَلَمْ تَهِ فى عُسْرٍ ولا الكَرْبُ ليَّنک

وَلکِنَّ جُرْحاً فى «القِيامَهِ» نازِفاً وفى «المسجدِالأقصَى» دَهاکَ فَأَوْهَنَکْ(2)

.6 حنين التسعينيات

تواصلَ حديث الحنين إلى القدس والحلم بالوطن المفقود فى عقد التسعينيات عند كثير من شعراء القدس ليعكس مايدور فى أذهانهم، وما تكتوى به قلوبهم. وهذا لسان حال جماهير أمتنا العربيه والإسلاميه فى شرق الأرض وغربها، من هذا الحنين قصيده الشاعر السورى عبد اللطيف محرز

1- (1) كمال عبد الرحيم رشيد، القدس فى العيون: ص 50.

2- (2) حسن البحیری، دیوانه لعینی بلادی: ص 99.

(جاءنى البحر - فى التسعينيات) يحن فيها لقلب فلسطين، قدس الأقداس ويستذكر حكايا الأهل والأجداد، وأخذ الشاعر يتساءل كيف ينسى سجلّ فلسطين وما يحمل فى طيّاته من آيات فيقول:

يا فلسطين، يا أناشيد روحٍ يا انسكاب السماء فى الصلوات

أترانا ننسى حُمَيَّاك فى القلْ - - بِ نداءً معتق الجمرات؟

أترانا ننسى الدماء شهيداً وحكايا الأجداد والجدات؟

أترانا ننسى القيامه والأقصى ومافى الكتاب من آيات؟

كيف ننسى، وكل تاريخ هذا الشعب نار فى موقد الذكريات؟؟؟!!!(1)

فلا يمكن للشاعر بل لكلّ صاحب ضمير أن ينسى تاريخ الشعب الفلسطينى وذكرياته الحبيبه وما مرّ عليه من تشريد، وقتلٍ، وإباده، وسفك دمٍ وهتك عرض و..، فهذه الويلات جعلت القدس وفلسطين حراره تتقد فى قلوب عشاقها لا تبرد إلاّ بتحريرها والرجوع إليها.

جدول أهم قصائد الحنين إلى القدس العربيه والإسلاميه حسب الترتيب الزمانى

1- (1) عبد اللطيف محرز، ديوانه شجرات الدماء: ص 46.

استصراخ الضمائر العربیه

اشاره

الضمیر، هو المحکمه العادله التی أودعها الله سبحانه فی وجود کل إنسان لتحاکمه وتؤنّبه، وتوجّه اللوم والعتاب إلیه إزاء تقصیره وأفعاله التی لا تلیق به، وتحمله علی التدارک. ولعظمه هذه المحکمه أقسم بها المولی فی کتابه الحکیم حین قال (لا أُقْسِمُ بِیَوْمِ الْقِیامَهِ * وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَهِ)1 فما من فرد من البشر إلاّ وسمع صوت هذه المحکمه المسماه بالضمیر والوجدان عند

توانيه وتقصيره وعدم قيامه بالواجب - إن لم يمت ضميره - ومن هذا المنطلق بادر شعراء شعر القدس بتوجيه خطاباتهم لمؤاخذه وتأنيب تلك الضمائر التى جلبت النكبه والنكسه و.. للشعب الفلسطينى وللأمه العربيه والإسلاميه وماترتب عليها من آثار وتداعيات على مختلف الأصعده إلى يومنا هذا. ومن جانب آخر حاول أولئک الشعراء أيضاً تأجيج الضمائر وتعبئتها للثوره بوجه العدو وتطهير القدس وكل الأراضى المقدسه من رِجس الصهاينه والمستوطنين المحتلين الذين أماتوا ضمائرهم بقتل الأسراء وتشريد الأحياء وإباده الحرث والنسل وكَأَنَّ أحدهم خُلق بلا ضمير يحاسبه ولا وجدان يردعه، وخير دليل على المدّعى العربده الصهيونيه التى كانت ومازالت تفتک بالشعب الفلسطينى المضطهد.

1. الضمائر العربيه فى خطاب الأربعينيات

وما أكثر القصائد الشعريه التى تكتنز هذا المضمون والتى أخذت على عاتقها خطاب الضمائر العربيه فى شرق الأرض وغربها كما نلاحظه عند عمر أبى ريشه فى قصيده (حماه الضيم - 1948) محاوله منه لإثاره وجدان وضمير الأمه العربيه وقادتها إلى مجازر الصهاينه ومايعانيه الإنسان العربى والمسلم، وكيف يذبح وكأنَّه حَمَلٌ بيد الجزّار، وكيف تهدم المدن والبيوت على أهلها وكيف تجتث جذور الفلسطينيين - مسلمين ومسيحيين - من أرضهم تثبيتاً لاحتلاله الغاشم ووجوده اللاّشرعى فيقول:

المجد يخجل أن يجيلَ الطرفَ فى ماهدَّم الجبناء من أسواره

فكأنَّه من نيله لفراته حَمَلٌ تجاذبه يدا جزّاره !

ماذنبُ فتيته إذا شبَّت ولم تلمح بتربته خُطى أحراره

تركتْ لها آباؤها الإرثَ الذى يبقى مطوَّقها بلعنه عاره

ص:97

هل فى روابى القدس كهفُ عباده تحنو جوانبه على أحباره

خشب الصليبِ على الرمال مخضَّبٌ بدماء من نعموا بطيب جواره(1)

فالشاعر خاطب الضمائر الحيه بأن لا تمنع الشباب عن الالتحاق بالأحرار والثوار لكى تغسل الذل والعار الذى لحق بها، إذ القدس أرث لأبنائها وليست للصهاينه ولأحبارهم كما يزعمون، وأن ماحدث ويحدث من حصد آلاف المدنيين الأبرياء وتواصل نزيف الدم العربى والإسلامى فى فلسطين على أيدى العصابات الإرهابيه الصهيونيه جعل حسن البحيرى يوجه نقده اللاذع بلهجه ثوريه تعلوها الحده والعتاب إلى بعض ملوك العرب فى قصيده (عُمْىُ الملوک - 1948 م) حين يقول:

أما فيكم ملوک العُرْبِ ذو هَدْى ولا مُرْشَدْ

يَخِفُّ لِنُصْره الإسلام لمَّا صاحَ واسْتَنْجَدْ

فلو أبصرتمو «صهيونَ» لما هَبَّ واستَأسَدْ

وصَالَ على كريم العِرْضِ صَوْلةَ غاشمٍ أنْكَدْ

وهل أَبقى الخُنوعُ لهم من الغَيْره ما يَحْتَدَّ؟!

ولو بَعُدَتْ بهم دارٌ وراءَ الأمدِ الأَبْعَدْ

لقُلْنا هاض ريش جناحهم عَصْفُ النَّوى المُحْتَدّ

ولكنْ صَدَّعَ «الأقصى» وزَلْزَلَ رُكْنَه المُشتَدّ(2)

فالبحيرى لا يرى سبباً وجيهاً لعدم نصره الشعب العربى والإسلامى فى فلسطين الحبيبه، لا البعد الجغرافى ولا غيره من الأسباب، وذكر الشاعر أن علّه الطغيان الصهيونى وعنجهيته إلى هذا الحد من هتک الأعراض وسفک

1- (1) عمر أبو ريشه، ديوانه: 52/1.
2- (2) حسن البحيرى، حيفا فى سواد العيون: ص 76 و 77.

الدماء هو الخنوع وعدم وجود الغيره العربيه والإسلاميه لدى البعض، وهذا الذى أودى بالأقصى وزلزل أركانه أسيراً بيد الدويله العنصريه لا غير.

2. الضمير العربى فى الخمسينيات

استمر استصراخ الضمائر العربيه فى شعر القدس، والذى حاول الشعراء فيه استنهاض الضمائر الحيه، واستثارتها، وحث وجدان الأمه العربيه والإسلاميه، لكى تكون بمستوى المسؤوليه تجاه قضيّه القدس الشريف، إذ فلسطين قضيّه الأمه ورمز عزتها فلابد من العمل فى سبيلها وتكريس كل الإمكانات الماديه والمعنويه من أجلها، ولابد من شجب كل الأعمال التى تصدر على خلاف مصلحه الشعب الفلسطينى المنكوب، لأنّ ذلک خلاف الضمائر الحيه وخلاف الوجدان اليقظ كما صرح به عمر أبو ريشه فى قصيدته (هكذا - 1954 م) إذ استنكر ماصدر عن أحد الرعايا العرب فى بريطانيا آنذاک، حينماأنفق ستين ألف دولار على عشيقته ولم يصرفها فى الاتجاه الفلسطينى حين يقول:

قال.. ياحسناءُ ماشئتِ اطلبى فكلانا بالغوالى مولع(1)

ثم يواصل قوله:

والبطولات، على غربتها فى مغانينا، جياعٌ خُشَّعُ

هكذا.. تُقْتحم القدس على غاصبيها.. هكذا تُسْترجعُ!!(2)

فالشاعر يعتقد بتسخير كل ما يمكن من خلاله خدمه فلسطين والقدس فى سبيل تحريرها، يهزأ بالذين يبذلون الأموال فى الأعمال المستهجنه والبعيده عن الأخلاق الحميده.

1- (1) عمر أبو ريشه، ديوانه: 58/1.
2- (2) المصدر: 58/1.

وأمّا الشاعر حسن البحيرى ذو الوجدان النابض فوجّه خطابه العتابى لضمير الأمه وقادتها سائلاً كيف يمكن للأمه العربيه أن تقف متفرجه على هذه المأساه وتسمع نداء القدس وهى تستغيث بتلك الضمائر لنجدتها ولا تحرک ساكناً وتسرع لإنقاذها من براثن الاحتلال. وأخذ يتساءل الشاعر وكأنّه غلب عليه اليأس إذ يقول فى قصيده (الأنهر الظمأى - 1958 م):

وجراحُ «القدس» هَلْ يَبْقَى على الدَّهرِ جواها

وَقْدَ نارٍ ما خَبَا - مُذْ أُشعِلَتْ - حَرُّ لَظَاها

وَيَظَلُّ الدَّمُ يجرى كالحَيَا فوق ثراها

وإذا نادَتْ فلا يُسْمَعُ فى غَوْثٍ نداها(1)

من الصعب أن يرى البحيرى ضمائر الأمه ووجدانها على هذه الحاله المأساويه، متجاهله ما يعصف بها يومياً ويُحاک ضدها، ولذا أخذ يتساءل: إلى متى تبقى القدس مكبّله والنّار تشتعل بأركانها منذ أن دلعها التيار الصهيونى المتطرف عام (1948 م).

3. خطاب الضمائر فى الستينيات

إن الضمير هو الصوت الباطنى العادل والنور الذى يبزغ فجر الحريه من أبوابه، إذ هو دائماً يدعو إلى الخير وتجنّب الشر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وماحلّ بالقدس من غضب واعتداءٍ وسفک دماء هو المنكر نفسه والشر ذاته، ولذا حاول شعر القدس عرض القضيه على الضمير العربى والإسلامى إثاره للحميه، وتصعيداً للغيره، وللإمعان فى عمق الجراح، وقد امتزج هذا العرض الشعرى بالألم والحزن، وحرقه القلب، عند أكثر روّاده لاسيما شعراء الأرض المحتله أمثال الشاعر

1- (1) حسن البحيرى، الأنهر الظمأى: ص 58.

حنا جاسر فى قصيدته (ملمس الرشاش - 1969 م)

فيمَ التكلّمُ، لا مجدٌ ولا عِظَمُ توافر الشّعرُ فينا، وانطوى الشمّمُ

مَنْ أرضُهُ، دنّستْ أقداسَها قدمٌ الصمت أجدى له، والموتُ والعدمُ

أو ينفث الشعر نيراناً مسعّرةً فى كلّ قافيهٍ، حرّيهٌ، ودمُ

عارٌ نزيّن للذكرى منابرنا ومنبرُ الحق سادت فوقه الظُّلَمُ

عارٌ وفى القدس أعلامٌ مسدسهٌ يئن تحت لظاها القبرُ والحرمُ(1)

فأخذ الشاعر يهز الضمائر ويوقظ الوجدان ويقرع غيره الأمه وزعماءها بتكرار كلمه عار أكثر من مره، وكأنه يرى الموت أجدر بالإنسان من أن يبقى حيّاً وينظر إلى القدس يرفرف فوقها العلم الصهيونى والشعب يعيش المأساه والاضطهاد وأرضه مدنّسه.

أمّا قصيده (المسجد الحريق - 1969 م) التى نظمها برهان الدين العبوشى بعد المبادره الصهيونيه لحرق المسجد الأقصى، فقد خاطب فيها الوجدان العربى من المسلمين والمسيحيين معلناً أن المساجد والكنائس لله سبحانه، وطلب أن تهبّ الأمه لحمايه القدس والمقدسات فيها من الأعداء إذ هى مدينه إسلاميه ومسيحيه وقد انتهک العدو قداستها، ولابد من حمل السلاح بوجه البطش والجبروت الصهيونى لتكون النتيجه هى تحرير القدس وطلوع فجر الحريه والعداله:

يامسلمون ويا نصارى يَعْرُبٍ لم يُلْهِنى الأقصى بنارِ رثائِهِ

إن المساجد والكنائس كُلَّها لله فاحْمُوا القدسَ من أعدائِهِ

فإذا عَزَمْتُمْ فالسلاحُ سبيلُكم فاستشهدوا تَلْقوا جزاءَ فدائِهِ(2)

1- (1) حنا جاسر، أمه وجراح: ص 83 و 84.
2- (2) برهان الدين العبّوشى، ديوانه إلى متى: ص 27.

4. الضمير العربى فى السبعينيات

القضيه الفلسطينيه كان لها النصيب الأوفر من نتاج الشاعر الفلسطينى محمود حامد، وليس هذا مستغرباً من شاعر مناضل وصاحب ضمير حىٍّ عانى فداحه المصاب وهوله، ورآه بأمِّ عينه فهو يعيش لهب المأساه ويكتوى بلظاها، مفنّداً الذين تسببوا بها تاره والمتخاذلين الذين لا يحرك ضمائرهم أنين القدس ونحيبها تاره أخرى. فهو يهاجم باعه القدس ومقترفى الجريمه مره ويتوسل بالنخوه العربيه مره ثانيه، ينظم قصيدته (عوده الطّاعون - 1978 م) قائلاً:

وصوتک الداوى يمزقنى

يمرُّ أمام باب المسجد الأقصى

ويركع باكياً ويظل يصرخ: يا تراب المسجد الأقصى..

أنا المغلول عبر جراح مصر، فمن يخلصنى؟؟؟

أتيتک يا تراى المسجد الأقصى

فلا تنظر إلىّ بحزنک المذبوح.. إنَّ الحزنَ يقتلنى

حملتک يا تراب المسجد الأقصى بذاكرتى سنين طوال،

كنت ملامح الأبطال، والشهداء، والأشعار،

أتيتک يا تراب المسجد الأقصى

وساعةَ قبّلَتْ شفتاىَ وجهَکَ، كنتَ تسقطُ أنتَ..

قد باعوک ثانيه، وثالثه، وعاشره،

لقد باعوک ياوطنى

بكيتک كيف تصبح فى ثوان ملک إسرائيل،

كيف قبابک الخضراء

تنكسر البيارق فوقها؟؟؟ والريح تنعيها؟؟؟

وكيف القدس عاريه، أمام مقابر الشهداء

ص:102

تصرخ نخوه العرب الأباه،

وليس من رجل يلبّيها؟؟؟

هل الأرحام أضحت فى زمان المحل خاويه؟؟؟

وهل ساح الأباه عفت على أشلاء ماضيها؟؟؟.(1)

توجه محمود حامد بخطابه الحزين إلى نيل مصر قائلاً: هل يا نيل تعرفنى؟؟؟ فالشاعر حكى قصه الماضى المجيد وذكَّره بصحراء سيناء، والرابطه الأخويه، والعلاقه الوديه التى كانت بينهم، متأسفاً على الحاضر الردى لأنه تغيّر فيه الكثير!، فالجواب: أصبح النيل مكبلاً بالسلاسل والأغلال (لعل الشاعر يشير إلى معاهده كامب ديفيد)، ويريد التخلص منها، معيداً إلى ذاكرته بطولات الماضى، وملامح الأبطال والشهداء، استمر النيل ينادى كيف يمكن أن ترفرف أعلام العدو الصهيونى فوق المسجد الأقصى؟ أين الضمائر الحيّه؟ أين النخوه العربيه؟ أين الأمه الإسلاميه؟ أين..؟

5. خطاب الضمائر فى الثمانينيات

كلما مرّت السنون أخذت آمال شعراء القدس تذوب وتتبخّر يوماً بعد يوم لأن أبناء يعرب ساكتون على الضيم وهم يرون جرح القدس ونزيفه ويسمعون أنينه.

أمّا سليمان العيسى ففى قصيده (الأرض... والجسد - 1989 م) يرى الكيان الغاصب قد شيّد دويلته على أشلاء الشهداء وبيوت أبناء وطنه، وهذالم يحدث إلاّ بعدما غاب الضمير العربى عن الساحه الفلسطينيه وترک خنجر بنى صهيون فى خاصره القدس الداميه، وبعدما اتصف بالخذلان بعض الأنظمه العربيه الذين عمدوا لبعثره الشعوب وتشتيتها بدلاً من

1- (1) محمود حامد، موت على ضفاف المطر: ص 40.

توحيدها، مع هذا كلّه يبدو الشاعر بأنه متفائل إذ يقول:

فوق دمى تَرْتَصِفُ

«نَظَماً» تَرْتَصِفُ

«قِمَماً» تَرْتَصِفُ

عند قمعى وحده.. تأتَلِفُ

والخِلافاتُ

على وَأدِىَ لا تختلفُ

كانت الطَّعْنَهُ فى القلبِ.. وشَقَّتْ جَسَدى

فأنا شطرانِ.. لا يَلْتَقيانْ

عربياً كان منذُ الطعنهِ الأولى الصِّراعْ

عربيّاً.. سوف يَبْقى نتردَّى فيه.. نَشْقَى

لم نَزَلْ نَسْقيه غالى دَمِنا..

عِرْقاً فعِرْقاً

عربيّاً كان ميدانُ الصِّراعْ

ومنَ القدس.. إلى أقصى الجراحاتِ الزَّماع.(1)

6. التسعينيات وخطاب الضمائر العربيه

الخطاب فى هذه الفتره الزمنيه يشبه الخطاب فى المراحل السابقه، فاللهجه هى اللهجه، التقريع واللوم للضمائر الخامده مرّةً، وإثاره الشعور والمروءه ثانيه، أمّا الهدف فهو تحرير الإنسان الفلسطينى ووطنه من عبوديه الاحتلال، ومن هذا القبيل أبيات الشاعر اللبنانى عفيف النابلسى والتى نظمها فى يوم القدس العالمى عام (1991 م) إذ يقول فيها:

1- (1) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: 450/4 و 451.

ماضٍ إلى القدس فى وتْرٍ من الزمنِ ياعاشقَ القدس خفّفْ ثوره الوسنِ

خمسون عاماً وقدسُ القدسِ منهتكٌ والقدسُ تصرُخُ بالشكوى وبالشجنِ

أين الذين أعزّوا القدس من زمنٍ وشيّدوا فى حماها دارسَ السُّننِ

ما بالُهم قصَّروا عن صون حرمتها كأنها دمنهٌ من سائر الدِّمنِ.(1)

فحاول الشاعر إثاره الضمير العربى والإسلامى تجاه ماحدث ويحدث فى القدس وبأولى القبلتين مطالباً الضمائر بأن تبادر إلى وضع حدٍّ لانتهاک مقدساتها.

جدول أهم قصائد موضوع استصراخ الضمائر العربيه والإسلاميه حسب الترتيب الزمانى

ص:105

1- (1) عفيف النابلسى، نفحات عامليه: ص 5.

إرجاع العرب إلى ماضيهم المشرق

اشاره

لعلّ من أهمّ الدواعي لشعراء القدس لإرجاع الأمه العربيه إلى ماضيها المشرق هو تذكيرها بأمجادها والسالف من أيّامها، محاوله لربط حاضر خير أمّه أخرجت للناس بغابرها المنصرم لتتواصل مسيرتها، ويقتدى بها الأحفاد متذكرين مئات السنين التى كانت فيها الأمه العربيه والإسلاميه زاهيه عزيزه مزدهره، لكى يؤمنوا بأنفسهم وقدرتهم، وأنه ليس من المحال إعاده الماضى وما يحمل فى طياته من إشراق وثبات ومعنويه سجلت لهم عبر التاريخ، وهاهى الأمه العربيه لم تمت وإنما غشيها ما غشى الغير من الغفله والذوبان، ونسيان ما عندها وما تملک من قدرات ماديه ومعنويه، ولم تقف الأمه فى حاضرها على هذه الحدود بل تبعثرت وأخذها رعب العدو، وكَبُرَ فى أعينها ما يمتلک، لذا أدرک الشعراء الملتزمون هذا الخطر الفادح الذى سرى فى شرايين أمتهم حينما تناست بل نسيت عهدها ومجدها الماضى.

ومما دعا للإحساس بالخطر هو الشعور بالحاجه إلى التذكير بأمجاد السلف وكفاحهم المستمر عبر عددٍ من القصائد الهادفه لقضيه فلسطين وتحرير قدسها الشريف، نتناولها فى هذا الموضوع حسب تسلسلها الزمانى إن شاء الله تعالى.

1. القدس وماضى العرب فى الأربعينيات

ماضى الآباء والأجداد المشرق والتاريخ النيّر والمستند إلى البطولات، خَلَقَ فى ذهن الشاعر حسن البحيرى سيفاً بتّاراً حينما سمع بقدوم الجيوش العربيه

إلی فلسطین إذ لاح له أفق النصر وهزیمه العدو ممّا جعله یتغنّی بقصیدته (لنا النصر - 1948 م) معبّراً عن فرحته الکبیره قائلاً:

لنا النصرُ.. لا لِفُلول العِدی ضَمِنّا له یومَنا والغَدا

فنحن، بنی العرب، من أمَّهٍ مُؤَثَّلّهٍ فی العُلا مَحْتِدا

أرادَ الخُلُودُ بها غایهً تَعِزُّ علی وَهْمهِ مَقْصِدا

ونحن علی ذِرْوهِ الخافقَیْن وَطِئْنا بأقدامنا الفَرْقدَا

وفَوْق السَّماءِ، وراء النُّجوم تَخِذْنا لنا فی العُلا مَقْعَدا

أخی قِبْلهُ «القُدْس» لو أُنْصِفَتْ لَرُحْنا لها رُکَّعاً سُجَّدا(1)

ولکن عندما حدث ما حدث من التقهقر أضاعت بعض الأنظمه العربیه ماحققه التاریخ عبر القرون، وهدمت ما بناه الأجداد من الأمجاد ومنعوا من أن یقتدی الابن بأبیه لکی یسجّل صفحه مشرقه فی حاضره ویضمها إلی ماضیه.

2. القدس فی الخمسینیات والستینیات

من خلال تتبّعی لنصوص شعر القدس فی سوریه ولبنان وفلسطین لم أعثر علی قصائد تتناول القدس فی هاتین المرحلتین تهدف إلی تذکیر الأمه العربیه بماضیها وتاریخها الزاهر، ولعلّ السبب فی ذلک هو أنه حینما شاهد الشعراء استعداد الجیوش العربیه، والحماسه الشعبیه، وفی الوقت نفسه ما لمسوه من تصمیم قاطع لسحق العدو الصهیونی وتطهیر وطنهم منه، لم یر الشاعر المقدسی ضروره استحضار الماضی المشرق بکل دروسه وعبره.

1- (1) حسن البحیری، دیوان «حیفا فی سواد العیون»: ص 70 و 71.

نكسه حزيران وتداعياتها جعلت الخُلَّص لعروبه مقدسهم وإسلاميته لاسيما الشعراء يلتفتون إلی التاريخ، تاريخ الأمه الملیء بالبطولات والفتوحات، وإلی ماضی الآباء والأجداد ومحاوله منهم لاستلهام العِبَر بعدما فقدوا آمالهم فی أمّه وأنظمه لم تتمكن من إعاده وطنها، وهی تتهاون بمقدساتها متناسيه هويتها وجذورها العربيه والإسلاميه، هذا الذی جعل الشاعر هارون هاشم رشيد فی قصيده (جذور - فی السبعينيات) يفخر بأنه عربی من فلسطين، من القدس، من أرض كنعان يمشی مرفوع الرأس اعتزازاً بتاريخه الشامخ وأمجاده فيقول:

أجل إنی من القدس وفيها قد نما غرسی

جذوری فی عروق الصخر فی الصُلْد، وفی المُلسْ

ومن كنعان بی نبض ومن عدنان، من قيس

من الماضی، من الحاضر من يومی، ومن أمس

عريق المجد والأنسا ب مشدود إلی الشمس

بها أختال فی الدنيا وامشی رافع الرأس(1)

وأمّا الشاعر اللبنانی نجيب جمال الدين فی قصيده (عُنْوانِی عَلَی بَرَدَی - 1977) فإنّه يهاجم الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء إذ يهلِّلون لماضيهم وغفلوا عما هم فيه قائلاً:

ومُسَلْسَلَ الفخرِ القديمِ

أما انتهی وَقْتُ الهُراءِ

وَذَلِکَ الغَثَیانُ

1- (1) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 14.

مَرْضى.. وقَبْرُ الأَمْسِ يُشْرِعُ بابَهُ

وَمنَ الجديدْ

تُهَيَّأُ الأكْفانُ

وَنصُوغُ مَعْرَكَةَ الكلام

فَجِنَّهُ فُرْسانُنا

وَخُيُوْلُنَا عُقْبانُ

وتُدَاسُ أقداسُ البِلادِ

وَقُدْسُها

والافتخار مُعَرَّشٌ نَشْوانُ.(1)

فهو يرى بعين البصيره أن لا جدوى فى الحديث عن الماضى ونبش القبور والفخر بأهلها وهم سبات يأسفون على الذين أضاعوا القدس من بعدهم ولم يرحموا صرخاتها تحت سنابک الإرهاب الصهيونى وحکومته العنصريه ولم يرحموا حتى أنفسهم إذ الموت يدبُّ فيهم وهم نائمون.

4. عبر الماضى فى الثمانينيات

يتوجه الشاعر عبد الكريم الحمصى بالخطاب إلى أمه العُربِ التى خرج منها الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله وقاد ثوره تحرير لأبناء البشر، وبعدما فتح القلوب والعقول قبل الحدود بنى تلك الحضاره الإنسانيه الساميه، بهذه العظمه، كيف تنسى؟، فخطاب الشاعر فى قصيدته (ألحان من اليرموک - الثمانينيات) خطاب لاذع ونقد لحاضر أمته العربيه التى لم تلتفت إلى ماضيها لتأخذ العبره من تلك الفتوحات الكبرى التى سجّلها التاريخ على أيدى عظمائها، وأبطالها، ولكنه الآن يرى يروا القدس يعبث الجناه بها فساداً:

1- (1) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص 65 و 66.

لمّا ذكرتُ القدسَ هَزَّ مشَاعرى

ألمٌ يهزُّ بطبِعِه الشعراءا

يا أمّةَ العُربِ التى أيّامُها

كانت هدىً وحضارةً وبناءا

يا أُمَّةَ العُرب التى أرحامُها

وَلَدَتْ بنىَّ الحقِّ والعظماء.(1)

انطلاقاً من هذه الرؤيه جاءت اهتمامات الشاعر كمال رشيد فى قصيده (سعد - فى الثمانينيات) بالعزه والكرامه العربيه والإسلاميه التى كانت لسلف الأمه، ويراها الشاعر اليوم أصبحت هزيله نتيجةً لعدم الشعور والإحساس بالمسؤوليه بل الانخراط فى منتجع اللهو، واللعب والمفاسد الأخلاقيه - كشرب الخمور والملذّات الجنسيّه - مما زاد فى الابتعاد عن الماضى المشرق للآباء والأجداد، الذى لم يحصلوا عليه إلاّ بالمجاهده والجهاد المادى والمعنوى:

عبَثٌ يمزِّق عزةً سلفت أيام كان الحزم والجدّ

زمن يمر بغير ما ثمن عمر يضيع ودونه الرشد

فنهارنا سعىٌ بلا هدف والليل منا الخمر والنرد

لهوٌ وأموال وأرصده كأس وجنس ذاكم المجدُ

والمسجد الأقصى يؤرِّقه هذا العقوق يسوؤه البعد

والصامدون هناک طال بهم ليل الأسى أضناهم الوجد(2)

لعلّ كمال رشيد أراد من توجيه الخطاب لسعد، كل من يقود جيش تحرير القدس ويعيدها إلى أهلها وأصحابها حينما يكون قلبه مطمئناً بالإيمان،

1- (1) عبد الكريم الحمصى، ديوانه، ألحان من اليرموك: ص 118.
2- (2) كمال رشيد، القدس فى العيون: ص 64.

ولم يجعل اليأس والقنوط ينفذ إليه، فهو يرى رايه النصر برقت أمامه وحان موعد النصر وأن يحتفل الشعب الفلسطينى ورايه التحرير تخفق على رأسه عاليه شامخه.

5. الإشاده بالأمجاد فى التسعينيات

هناک أصل متفق عليه وهو: مَنْ لم يكن له ماضٍ فماله من حاضر ومن ليس له حاضر فماله مستقبل، نظراً إلى هذا الأصل، عًالج كثير من الشعراء قضيه القدس من هذه الزاويه، وأخذ يتغنّى بالماضى ويفاخر به، لعلّه يكون مجدياً فى إنقاذ الحاضر العربى والإسلامى المأسوف عليه، نلمس هذا بوضوح عند الشاعر السورى عبد اللطيف محرز فى قصيدته (النشيد الثالث - التسعينيات):

وتنادى قدسٌ ولا من مجيبٍ ليس إلاَّ صدى أنينِ الوادى

يا إلهى هل أُطفئ الجمرُ فينا وغدونا مواقداً من رماد؟

كيف قدنا الدنيا ونرضى أخيراً حول أعناقنا حبال انقياد؟

هى بلوى وسوف نخرج منها بنموِّ الأجداد فى الأولاد

برجوعٍ لمنبع الوحى نوراً واقتناص الآفاق والأبعاد

يا علىُّ، ها حصن خيبر قد عاد وعادت جحافل الأوغاد

فتسلَّم من أحمد رايه الفتح وشمّر عن همّه الآساد(1)

قارن الشاعر، الماضى بالحاضر وأخذ يتساءل عمّا حلّ بنا بعدما كنا ناراً تلظّى وجمراً يتوهّج، كيف أصبحنا موقداً من رماد؟! لكن الشاعر استطاع أن يقدّم الحلول لهذه الحاله المأساويّه حين قال إنها كارثه، وسوف نخرج منها حينما يحذو أولادنا حذو الأجداد ويسلكون مسلكهم، بأن يرجعوا إلى منبع

1- (1) عبد اللطيف محرز، أناشيد الحق فى رحاب على عليه السلام: ص 224-225.

الهدی ویتزودوا من العلم والتقوی، (... فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی...) .(1) ثم التفت الشاعر إلی التاریخ وإلی أمجاد العرب والإسلام، فوجّه الخطاب إلی الإمام علی علیه السلام قائلاً له: إنّ حصون خیبر قد عادت، ولعل عبد اللطیف محرز لجأإلی استذکار هذه الشخصیه العظیمه وقلعها باب خیبر، استنفاراً لأمه علّها تعید الأیام تلک وتطرد الصهاینه الغزاه وتحرر القدس من غاصبیها، وفی - ظننا - إن الشاعر قد نجح بتقدیمه هذه الحلول إذ انّها أثبتت مفعولها فی عده مواطن فی الماضی والحاضر، وهاهی أمه القسام ونصر الله ویاسین ولبنان دلیل علی ذلک.

جدول لأهم قصائد شعر ماضی العرب المشرق حسب الترتیب الزمانی

ص:112

1- (1) البقره: 197.

الشجاعه وحجاره الغضب

اشاره

أنين القدس المكبّله بسلاسل الاحتلال هو الذى فجّر بركان حجاره الغضب المكتوم والذى تراكم لأكثر من ثلاثه عقود من سالف الزمن حين فشلت كل المحاولات العسكريّه والتطبيع والمساومات السياسيه، بعد أن لفّها الشعب الفلسطينى الثائر بخرقه الذّل والخضوع لدفنها فى مزبله التاريخ ليبدأ مسلسل انتفاضته الباسله لكى تتحول - بالفعل - إلى منهج حياه شعب سُلبت أرضه، وانتهک عرضه. هى انتفاضه تُدمى العدوَّ كما يُدمى هو، ويُقتَل كما يَقْتُل، هذا أبرز حصادٍ بعد زمن طويل من تجرُّع مراره الهزيمه المذله والمخزيه، هى انتفاضه قضت على عمليه التخدير العربى الذى قام به زعماء التطبيع لتجرّع كأس الخنوع، والتكيّف مع الاحتلال الغاشم، هى انتفاضه أشعلها أطفال اتّسموا بالشجاعه العربيه والسمات الإسلاميه والإنسانيه، ولقد ثبت للعالم أن سلاح الحجاره إذا اتصف بالحق أصبح أقوى وأشد من قصف الطائرات والدبابات، إذ هو السبيل الوحيد لاقتلاع الغده الصهيونيه القاتله، وتبديد أوهام العدو حجاره الغضب هى التى جعلت الكيان الغاصب يشعر بالهزيمه والتراجع أمام إراده الشعب الفلسطينى المضطهد، بل كل شعب تعرّض للعدوان وللاحتلال ليدافع عن نفسه وحقوقه. ولشعراء الشعر المقدسى دورٌ كبير فى استمرار انتفاضته ليصبح حجر الغضب من دواعى شعرهم واتجاهاته العربيه، وهذا ما سنلاحظه فى هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

ص:113

1. انتفاضه الثمانينيات وحجر الغضب

«إن الانتفاضه هى حرب التحرير التى يخوضها الشعب الفلسطينى، فالتاريخ يعلّمنا أنه لا توجد أمّه عندها استعداد أن تعيش تحت هيمنه شعب آخر، وأن حرب التحرير التى يخوضها شعب مضطهد ستنجح حتماً»، هذه من تصريحات مايكل ابن مائير،(1) الذى عرف حقيقه الانتفاضه وحتميّه انتصارها على شعب لقيط أراد أن يحل مكان شعب آخر زوراً وعدواناً لأول مره فى التاريخ، وهذا ليس من الممكن كما يقول (إبراهام يحموشع) متسائلاً «هل بإمكانكم أن تأتوا بمثال واحد فى التاريخ نجح فيه شعب فى السيطره على شعب آخر لفتره طويله؟»(2) بناء على هذا فمن الطبيعى أن ينتفض شعب حاملاً بيده حجاره الغضب، إذ هى السلاح الوحيد الذى يمتلكه جاعلاً منه حجاره سجّيل لتحوّل غطرسه الإرهاب وعنجهيته إلى عصف مأكول، وهذا الذى فجَّر قرائح شعراء القدس بالقصائد الفريده فى نوعها مهلهله لقذف حجاره الشبان والأطفال لكى يقلبوا كل معادلات الاحتلال وإرهاب الدوله على رأس كيانه، كما يصرّح الشاعر سليمان العيسى فى قصيده (نشيد الحجاره - 1987 م) مستبشراً بحصاد ثوره الحجاره:

يا لَحْمَنا العربىَّ..

يامَنْ هانَ حتى كاد يخرجُ

من رقيم الآدميينَ..

التقط حجراً كهذا الطفلِ، واضرِبْ

مَرَّةً.. زحزِحْ لجامَ القَهْرِ، واضرِبْ

مَرَّةً.. جَرِّبْ شموخَ الرأسِ، واضرِبْ

1- (1) عبد الوهاب المسيرى، من الانتفاضه إلى حرب التحرير الفلسطينيه: ص 126.

2- (2) المصدر: ص 126، نقلاً عن جريده (يديعوت أحرونوت)، 2002/1/22 م.

مَرَّةً.. قل أنْتَمى للدمِّ، لا للنفطِ، واضرِبْ

رُبَّما.. رَدَّتْکَ للأحياءِ

للبَشَرِ الحِجارهْ

أبطالنا المتشبثون بأرضهِمْ وبشمسهِمْ،

وبزهره الرمانِ والزيتون فى أيديهم،

لهُم تهيِّئُ ثوبَها القدسُ الجريحُ،

مُطَرَّزاً بالأرجوانِ..

وتستعِدُّ لِعُرْسها العربیِّ..

قالت لی الحجارَهْ..(1)

فيرى الشاعر أن الانتفاضه أخرجت قضيه فلسطين من العدم إلى الوجود وجعلت الإنسان العربى والمسلم يعود مرفوع الرأس، يعيش فى عالم الأحياء وصاحب رؤيه واضحه بأن يوم النصر لاح فى أفق سماء فلسطين، وتهيّأت القدس لتلبس ثيابها القشب، ثياب التحرير.

وأمّا الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد فى قصيدته (الله أكبر - فى الثمانينيات) فإنه يستبشر بأخبار الانتفاضه وثوره الحجاره على يد الفتيه الشجعان ويمجّدهم ويحيّيهم، فهو يرى فيهم بارقه أمل إذ لعل الخطأ الذى ارتكبه الآباء والأجداد يغسله الأبناء والأحفاد فيقول:

ماذا أقول لكم؟ فى القدس أخبار كأنها فى عيون القوم أقدار

فى القدس نار على الأعداء نازله وفى أيادى بنات الرّام(2) أحجار

وفى مخيم أطفال لهم هِمَمٌ شمَّاء قعساء فيها النور والنار

1- (1) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: 385/4 و 386.

2- (2) الرّام: ضاحيه من ضواحى القدس.

حَشْوُ البنادق لم يُرهب بنى وطنى ولا القنابل صدَّت من لهم ثار

شبوا على الطوق، ردوا الظلم وانتفضوا فهم على الظلم والعدوان ثوار(1)

وعندما اندلعت ثوره حجاره الغضب أشاد هارون هاشم رشيد فى قصيده (سفينه العوده - 1988) بثوّارها، ووجد فيها مشعلاً من مشاعل الأمل لتحرير الأرض المحتله وبارقه نصر على العدو المدجج بالدروع والأسلحه الفتَّاكه، بعدما شاهد رعب وتراجع الصهاينه أمام حجاره الأطفال الذين كسروا شوكه العدو بشجاعتهم وإصرارهم على المواصله حتى النصر الموعود.

بوركْتِ غزّه، يوم أشعلتِ اللظَى لهباً، تموجُ بهِ الديارُ وتنشرُ

بوركْتِ قاذفَةَ الحجارهِ هكذا تَثِبُ الشعوبُ، وهكذا تتحرَّرُ

حجرٌ إلى حجرٍ وألفُ قذيفهٍ ترتدُّ خاسِرةً بِهِ تتقهقرُ

تُمسِى الحشودُ الدارعاتُ أمامه ورقاً، يمزَّقُ خاسراً ويكسَّرُ

فإذا الجنود بكلِّ ماقد دجَّجُوا يتراجعون أمامَ طفلٍ يَزأرُ

فى القدسِ فى نابلس يهدرُ صوتها ويموجُ عاصفةً تمورُ وتنذرُ(2)

فلقد بدّدت حجاره الغضب أوهام عصابه الإرهاب الصهيونى وجيشهم المسمّى بالجيش الذى لا يقهر، وزادت الشعب الفلسطينى الصامد عزماً وإصراراً على مواصله الطريق.

2. الشجاعه وحجاره الغضب فى التسعينيات

تستمر ثوره الحجر ويحل عقد التسعينيات، تتفجر حجاره الغضب فى كل ربوع القدس وفلسطين لتصبح انتفاضه شعبيه عارمه، ولم تقتصر على الحجر فقط بل أخذ أبناء القدس، أصحاب الثأر السلاح لتكون لهم فى جنوب لبنان

1- (1) كمال رشيد، القد س فى العيون: ص 45.
2- (2) هارون هاشم رشيد، ثوره الحجر: ص 63 و 64.

أسوه حسنه، هذا ماأشار إليه الشاعر اللبنانى عفيف النابلسى فى أبياته التى نظمها بمناسبه يوم القدس العالمى - 1990 م إذ يقول مخاطباً القدس:

مُدّى ذراعک للجنوب وتمدّدى فوقَ السُّهوبِ

فخذى الحجارةَ وارجمى عند الشروق أو الغروبِ

وخذى المقالع والزنودَ السمرَ مِنْ أهل الحروبِ

وخذى الرصاصَ وقطّعى كلّ المسالكِ والدروبِ

وخذى السيوفَ وجزرّى ياقدسُ فى باغٍ غصيبِ(1)

فيرى الشاعر أن استمرار الانتفاضه والثوره المسلحه هو الطريق الوحيد لتحرير القدس من الجلاّدين. وأيضاً من زاويه ثوره حجاره الغضب.

3. عام 2000 م وحجر الغضب

وينظّم الشاعر السورى خضر الحمصى قصيدته (إلى أبطال الحجاره - 2000) والتى يبدأها قائلاً:

صبُّوا الحجارةَ، واقْذفوْهم بالحِمَمْ فالمجدُ مجدُكُمُ، وأَعْظِمْ بالقَسَمْ

فخذى الحجارةَ وارجمى عند الشروق أو الغروبِ

ثم يقول:

سَنَرُدُّ للنصرِ المُؤمَّلِ عِزَّهُ وَسَيُزْهِرُ الليمونُ من بَعْدِ العَدَم

حطِّينُ دَقَّتْ والمآذِنُ كبَّرتْ وتراجع الطُّغيانُ والظُّلْمُ انَهَزَم

والمسجد الأقصى على شُرفاتِهِ رَفَّتْ رُؤى الأعلامِ والنَّصرُ ارتسَمَ(2)

روح الإصرار على الثوره والتحدى والمقاومه اقترنت بالأمل القوى عند الحمصى فهو يرى أعلام النصر ترفرف على شرفات الأقصى، ولهذا إن كان

1- (1) عفيف النابلسى، نفحات عامليه: ص 14 و 15.
2- (2) خضر الحمصى، ديوانه الليل والطريق: ص 137.

من دلاله فإنما هى ثقه هذا الشاعر بالنصر كسائر الشعراء الذين تغنّوا بقصائدهم لثوره حجاره الغضب المنطلقه من أكف أطفال فلسطين الأشاوس هادفه إلى تحرير الأرض والإنسان من أغلال الاحتلال الصهيونى.

جدول أهم قصائد الشجاعه وحجاره الغضب حسب الترتيب الزمانى

القدس ودور الشباب العربى والمسلم

اشاره

أمر لا جدال بشأنه أن الشباب الفلسطينى والشباب العربى والمسلم شكّل قفزه كبيره فى التاريخ النضالى لقضيه القدس وتحريرها، وكل من يطّلع على دور الشباب وكفاحهم المستمر يؤمن بأنهم درع الأمه وحصنها وحماه الثغور وأوطانها على مرّ الأزمنه والعصور ويستمد من روحهم الوثّابه والمتأججه، الصمود والكفاح، والمقاومه، والبطوله.

وهاهم شبيبه فلسطين يسطِّرون أروع ملاحم النضال والفداء ويقدِّمون الشهيد تلو الشهيد دفاعاً عن كرامه الأمه كلّها، من خلال مقاومتهم ومواقفهم

ص:118

ضد الاحتلال وآله العدوان العسكريه الصهيونيه، ولقد انبعث نور الرجاء والأمل من أعينهم، هم شباب الانتفاضه التى أذهلت العالم بأسره طول الأعوام المنصرمه على الرغم من شراسه العدو وغطرسته وعلى الرغم من مشاريع العدو التآمريه الهادفه لتصفيه الشعب الفلسطينى بأجمعه. هاهو المستقبل يرنو إلى سواعد الفتيه التى آمنت بربّها وإصرارها القوى على مواصله الكفاح والمقاومه حتى دحر الاحتلال وكنس المستوطنات العنصريه الصهيونيه، ومن هذا المنطلق بادر شعراء القدس لتسجيل أروع القصائد الفذه للإشاده بدور الشباب العربى والمسلم والشّد على أيديهم والأخذ بنهجهم الثورى، إذ هم يدافعون بكل فخر واعتزاز عن شرف الأمه وكرامتها، إنّها لمقاومه وكفاح حتى النصر وتحرير القدس.

القدس وشباب الثمانينيات

مما تجدر الإشاره إليه قبل عرض ودراسه النصوص الشعريه فى عقد الثمانينيات من هذا الموضوع، أننا لم نحصل على قصائد تركّز على دور الشباب فى شعر القدس مابين فترتى الأربعينيات والثمانينيات سوى بعض القصائد التى لم يكن للشباب فيها دور مقصود بالذات وإنّما كان ذكر الشباب فيها ذكراً عابراً أمثال قصيده (نشيد الجهاد - 1948 م) للشاعر عبد الله يوركى حلاق(1) وقصيده (بعد خمس سنوات - 1953 م) للشاعر محيى الدين الحاج عيسى،(2) وقصيده (ياسائلى - 1977 م) للشاعر جميل علوش،(3) فحاول الشاعر توعيه الشباب الفلسطينى واستنهاضهم وإثاره الحماس فى نفوسهم تجاه مايحاك ضدهم تحت عناوين برّاقه وجذّابه لكنها تحمل فى طياتها السم القاتل.

ص:119

1- (1) عبد الله يوركى الحلاق، حصاد الذكريات: ص 55.
2- (2) محيى الدين الحاج عيسى، من فلسطين وإليها: ص 60-65.
3- (3) جميل علوش، صوت الشعر: ص 102-103.

لذا شمّرت هذه الفتيه التی آمنت بربها فزادها هدیً عن سواعدها لتهبّ هَبَّةً واحده متسابقةً إلی تلبیه الواجب، مدافعةً عن أهلها وناموسها ووطنها وقدسها فانطلقت إلی اتّباع الحق وطلب العلی وخوض المعرکه لاستئصال الصهاینه وقلع جذورهم من قلب فلسطین والقدس مدینه السلام.

هکذا سجّل لنا شعر القدس دور الشباب العربی والمسلم تجاه القدس الشریف، فالشعراء مابین داعٍ للشباب للتحلّی بالأخلاق الحمیده والارتفاع إلی مستوی المسؤولیه، ومستبشر بفجر انتفاضتهم وبزوغ نور النصر والحریه ببرکه سواعدهم وعلوّ همتهم وخالص نیتهم، وبین متشائم لما أصابهم من انصهار فی الثقافه الغربیه.

جدول أهم قصائد شعر القدس ودور الشباب العربی والمسلم حسب الترتیب الزمانی

القدس والمرأه العربیه والمسلمه

اشاره

الاهتمام بالمرأه والنهوض بدورها فی قضیه فلسطین، ماهو إلاّ تعزیزٌ لمساهمتها فی انتصار الأمّه علی عدوها وتحریر قدسها، وذلک إما من خلال

مشاركتها بشكل مباشر كحمل السلاح جنباً إلى جنب مع الرجل والدفاع عن الأرض والكرامه الإنسانيه، أو غير مباشر كإرضاع لبن حب المقاومه والشهاده لأطفال العروبه والإسلام ورعايه الأبطال والثوار، بل وفى جميع المجالات، وتحمّل المسؤوليه الكبيره الملقاه على عاتقها فى تربيه جيل واع ومثقف ليكون عنصراً فعّالاً فى الدفاع عن وطنه وعزته وكرامته، كما كانت المرأه فى التاريخ المنصرم، إذ ضربت أصدق الأمثله وأروعها فى هذا الشأن من زوجه فرعون، إلى خديجه الكبرى عليها السلام، إلى فاطمه الزهراء عليها السلام، إلى زينب عليها السلام بطله كربلاء، ومروراً بجنوب لبنان وفلسطين، الأمهات الشامخات اللواتى قارعن ويقارعن الاحتلال ويلعبن دوراً مهماً فى الذّب عن الأرض والعرض، يشددن أزر الرجال ويلهبن حماستهم، وهذا لم يخفَ على الدنيا بأسرها حينما تشاهد المرأه العربيه والمسلمه كيف تزيّن ولدها، تعطيه السلاح ثم تزفه نحو الشهاده، ترفع يدها إلى السماء طالبه من الله أن يرزق فلذه كبدها الشهاده فى سبيل الله والوطن، وما أحوجنا اليوم إلى روح زينب عليها السلام والخنساء وهذا النمط من النساء فى مواجهه الاحتلال والإرهاب العنصرى الذى استهدف الإنسانيه كلّها تحت الشعارات المزيفه والخداعه، من هذا المنطلق حاولنا أن نسلّط الضوء بقدر استطاعتنا على هذا الموضوع.

1. المرأه فى السبعينيات

لم أعثر من خلال تتبعى لنصوص شعر القدس فى سوريه ولبنان وفلسطين على هذا الأمر إلاّ فى عقود مابين السبعينيات والتسعينيات، وإن دلّ هذا على شىء فإنّما يدل على أنّ المرأه لاتزال بعيده عن أذهان بعض شعراء القدس، عن مكانتها ودورها الفعّال فى تربيه الجيل النضالى، ولكن البعض الآخر ركّز

على هذا الدور الرئيس والمهم، ومن هؤلاء الشعراء تغنّى الشاعر السورى عبد الله يوركى حلاق فى نشيده (نشيد مناضله - 1970 م):

أنا بنتٌ عربيَّةْ قد حملتُ البندقيّهْ

وعلى كفِّىَ روحى ذَلَّ مَنْ خافَ المنيهْ

أنا مِنْ صلْبِ العروبهْ من فلسطين الحَبيبهْ

كيف يصفو لىَ عيشٌ وأراضينا سليبَهْ

إنَّ لى فى القدس دارا وعلى صهيونَ ثارا

لا يُعيدُ الحقَّ إلاَّ مدفعٌ يمطِرُ نارا

ليس دربُ النصر سهْلا فابذلوا الأرواح بذلا

قَدَمُ الثّوارِ غالٍ وتُرابُ القُدسِ أغلى(1)

فدور المرأه حسب ما يراه الشاعر - حلاق - لا يقل عن دور الرجل، إذ أنها تحمل السلاح وتدافع عن وطنها المحتل، ولا شك أن من الصعب أن ترى أخاها، أو أباها، أو زوجها، أو هم جميعاً صرعى، فيقيناً دمهم غالٍ ولكن تراب القدس أغلى، فهى لا يهدأ لها بال مادام وطنها فى قيد الاحتلال.

2. الثمانينيات ودور المرأه

كلّما مرّت الأيّام ومضت السنون تجلّى دور المرأه أكثر وأكبر، وعلى هذا الأساس تنطلق كلمه كمال عبد الرحيم رشيد فى قصيدته (الحبيبه - فى الثمانينيات) يمجّد المرأه العربيه فيها مشيراً إلى بطولاتها وتضحياتها عَبْرَ التاريخ فهى لها أسوه فى أسماء والخنساء حين يقول:

ونساء الأقصى نساء فداءٍ كُلُّ أنثى فى أرضنا الخنساء

1- (1) عبد الله يوركى حلاق، عصير الحرمان: ص 36.

هی أم الرجال أم الأمانی والتفانی وأختها أسماء

أرضعتهم لِبانَ عِزٍّ ومجد وتباری الآباء والأبناء

أيُّهم يحرس الحبيبه يوفی بحقوق وللحقوق وفاء(1)

وللشاعر هارون هاشم رشيد قصيده (ورده على جبين القدس - 1988 م) رسم لنا فيها صوره الزوجه التی تقدم زوجها قرباناً للقدس فی سبيل تحريرها، كيف تودّعه وهو حبيبها إنه لموقف منبعث من إيمان صادق بالقضيه وبالسبيل الوحيد المؤدی إلى التحرير والحريّه، سبيل الشهاده والصبر على الفراق حتی ولو كان زوجاً حبيباً.

هو فی طريق القدس،.. وهی عروسُهُ عِنْدَ «النُّصيرات» المحاصرِ تَرقُدُ

مازالَ فی أحشائها من نبضه أملٌ، من الحزنِ الكبير سيُولدُ

ماذا تُری قالت له، لمّا مضی وبأی قلبٍ ودَّعتْ تَتَجَلَّدُ

هی مِثْلُ، كُلِّ الباسلاتِ نسائنا يَعرفنَ أن طريقَنا لا تُوصدُ

يعرفنَ أن الموتَ مِنْ غاياتِنا نرضی بلوعتِه، ولا نُسْتَعْبَدُ(2)

فالعروس الفلسطينيه مَثَلُها كَمَثل سائر النساء الصامدات والمضحّيات اللواتی قدَّمنَ أولادهن وأزواجهن وإخوانهن فی سبيل الله وفی سبيل بزوغ فجر الحرّيه وإثبات الذات الفلسطينيه.

فأمنيه شاعر القدس هی تربيه الأولاد على حب الشهاده والثوره، والجهاد، وزرع بغض الصهاينه فی قلوبهم وإبعادهم عن الخنوع والذّل بركاناً على الإرهاب الصهيونی وأعوانهم المتآمرين ضد القدس وفلسطين، فهذا هو دور المرأه الفعّال ليس إلا.

1- (1) كمال عبد الرحيم رشيد، القدس فی العيون: ص 47.
2- (2) هارون هاشم رشيد، ورده على جبين القدس: ص 27.

جدول أهم قصائد «القدس والمرأه العربيه والمرأه المسلمه» حسب الترتيب الزمانى

ص:124

2. الدواعی والاتجاهات الإسلامیه

مدخل

لقد کان موقف الإسلام واضحاً من قضیه الشعر والشعراء، إذ اتخذ منه وسیله لخدمه مبادئه وقیمه الإسلامیه، حیث کان لهذا الدین الجدید شعراء یدافعون عنه، أمثال حسان بن ثابت وغیره، وبقی للشعر هذا الدور المؤثر إلی ساعتنا هذه فی وتیره تشتد حیناً وتضعف أخری.

أمّا فی العصر الحدیث فقد شهد المسلمون بشکل عام تبلوراً لصوره الإسلام الحقیقیه التی تراکم علیها شیءٌ من الغبار والضباب، وذلک بجهود روّاد الاتجاه الإسلامی(1) الجبّاره، ومن ضمنهم شعراء هذا التیّار(2) الواسع الذین

ص:125

1- (1) مرّت الیقظه الإسلامیه فی العصر الحدیث بمراحل مختلفه وشائکه ابتداءً من السید جمال الدین الأسد ابادی المعروف بالأفغانی، وعبد الرحمن الکواکبی فی الشام وأحمد یاسین فی فلسطین وثوره الإمام الخمینی فی إیران التی لعبت دوراً کبیراً فی توعیه المسلمین بل أتباع الدیانات السماویه الأخری ضد المؤامرات الاستعماریه المحاکه ضدهم، ولذا نری فی عصرنا الحاضر توجّه کل الاتجاهات: الإسلامیه، والوطنیه، نحو التقارب والوحده للوقوف أمام الشر المتربص بهم، وهذا یبشر بالخیر والنصر.

2- (2) أمثال: أبو سلمی، عبدالرحیم محمود، هارون هاشم رشید، حسن البحیری، بدوی الجبل و..

دعوا الأمه أن تعود إلى إسلامها الذى مَنَّ الله تعالى به عليها، حيث انطلق الشاعر من تصور إسلامى وبدواعٍ ودوافع إسلاميه إلى قضيه فلسطين وقدسها، والمشكلات التى عصفت بالوطن الإسلامى والعربى. ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأن قضيه القدس وفلسطين هى قضيه إسلاميه فى المقام الأول قبل أن تكون عربيه، وأرض فلسطين حق لجميع المسلمين وليست لقوم أو قطر أو حزب خاص، وتحريرها لا يمكن إلاّ عن طريق الإسلام، إذ الإسلام هو القادر على إلحاق الهزيمه بالعدو وإعاده القدس السليبه للأمه لما فيه من قيم ترفض الاستكانه والهيمنه للعدو.

وحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يلفتوا انتباه المسلمين جميعاً إلى ماضيهم المجيد والزّاهر وتراثهم الإسلامى الزاخر، يدعوهم إلى التمسک والاعتزاز بعقائدهم ودينهم القويم، فالشعورُ الإسلاميُّ هو أقوى البواعث والدوافع للتضحيه من أجل التحرير، علاوه على هذا فإن الدين الإسلامى الحنيف هو دين الإخاء والديمقراطيه والحريه، ويجسّد الوطنيه(1) بكل صدق ويحترم الديانات(2) ولا يفرق بين نبى وآخر(3) مما يجعل الأمه، أمه إسلاميه متماسكه مع بعضها البعض، وهذا هو الذى دعا شعراء هذا الاتجاه أن يبادروا لنظم شعرٍ تبلورت فيه أهداف شريفه ساميه ومحاور مقصوده، أهمها: اليقظه الإسلاميه، والثوره والجهاد، والصمود والمقاومه، والشهيد والشهاده، ويرون هذا هو

1- (1) الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: حب الوطن من الإيمان.
2- (2) (إِنّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ کَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً) [النساء: 163].
3- (3) (قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [البقره: 136].

المنهج السديد لإحراز النصر واسترجاع الأرض المحتله وعلى رأسها القدس الشريف، ولذا سوف نسعى ونحاول بقدر ما نستطيع فى هذا الفصل، التوقف عند كل محور منها وإلقاء الضوء على شعر القدس فيها ومدى مساهمته فى دعم القضيه من خلال تلك المحاور وكيف انتهى لها وانتصرت له وفجّرت قرائح أهله، وكيف جعل كل واحد منهما الآخر حيّاً وفعّالاً.

القدس واليقظه الإسلاميه

لقد كان أهم أسباب التراخى والتراجع الذى عاشته الأمه الإسلاميه، والذى كان أسدل بظلاله عليها عقوداً طويله من الزمن، هو فصل الجيل عن تراثه المجيد والحيلوله دون معرفه حقيقه ذلک التراث ومافيه من قيم إنسانيه وروحيّه، إسلاميه عاليه المضامين، وبات من الواضح أن هذه المؤامره لم يكن للاستعمار الأجنبى وحده الذى نسج خيوطها بل شاركه فى ذلک عالماً أو جاهلاً بعض أبناء الأمه، ولذا «تغيرت عقائد الإسلام الحرّه النقيه فى نفوس الكثره من المسلمين كما يتغيّر الشراب الخالص فى الإناء القذر!

انحلّت الأخلاق فلا تتماسک فى قول ولا فعل، وتقطعت القلوب فلا تتواصل فى دين ولا وطن» (1) وهيمنت أخطار هددت مستقبل الأمه بأسرها وكادت تمحو معالمها وقيمها وتراثها وتجعلها فى متاحف التاريخ، وذلک بعد طمس قواعد الإسلام الفكريّه وأُسس بنيانه الاجتماعيه والأخلاقيه والسياسيه والاقتصاديه، التى ظهرت كالشمس فى رابعه النهار لاسيما فى القرن التاسع عشر للميلاد، ولكن لم يمض شطر من الليل وإذا «بيقظه الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البُعد، تناصرهم فى القرب وتحالفهم على الأحداث لأشعه من تباشير الصباح قبلها الليل المظلم وبعدها النهار

1- (1) أحمد حسن الزيات، وحى الرساله: 99/4.

المشرق»(1) فشهد عالمنا الإسلامى والعربى فى العصر الحديث جمله من التحولات بعد ما استشعر خطوره مايدبُّ حوله فانطلق ليدافع عن كيانه، ووجوده، وذاته، داعياً للعوده إلى تراثه وروح إسلامه الأصليه، وفى ظل هذه اليقظه نشأ كثير من الشباب أو تأثروا بها فنظروا للإسلام نظره لعلها تختلف عن النظره السابقه، وهذا ماحدث عند حزب الله فى لبنان وحماس والجهاد في فلسطين وبعض البلاد الإسلاميه الأخرى، حيث رأت الإسلام سِلماً لمن أراد السلام ومقاومه لمن سولت له نفسه التطاول والعدوان.

هكذا نمت وترعرعت اليقظه الإسلاميه وخرجت الأمه عن طوق غفلتها، وأخذت تستعيد حياتها، تنظر بعين اليقظه والالتفات لما يُحاک ضدها.

ملامح اليقظه الإسلاميه فى القدس

كانت المشاعر الإسلاميه قبل ظهور المجلس الإسلامى الشرعى الأعلى برئاسه الحاج أمين الحسينى عام «1917» قويه جداً إلاّ أنها فرديه غير منظمه ولم تكن ذات منهج واضح، ولكن مع ذلک تفجرت عنها ثوره موسم موسى النبى فى القدس «أبريل 1920» وثوره يافا «أيار 1921» وبعدها انتفاضه البراق «آب 1929» ثم ظهرت هيئات شعبيه منظمه أبرزها جمعيه الشبان المسلمين التى كان لها دورٌ فى الحفاظ على مبادئ الإسلام وبثّ الوعى الإسلامى، وهكذا ظهرت الحركات الإسلاميه واحده بعد الأخرى، أنشطها حركه عز الدين القسام عام (1925-1935) التى عُرفت بمنظمه الجهاد المقدس، وأخذت اليقظه الإسلاميه تتسع نقطتها وتشارک فى معارک تحرير القدس مثل معركه باب الخليل والقسطل، والحى القديم فى القدس، والقطمون»،(2) وفى

1- (1) المصدر: ص 101.
2- (2) عارف العارف، النكبه: 326/1.

عام (1957) نشأت حركه الفتح ولها جذورها الإسلاميه، وبرز الوعى الإسلامى والوطنى وتجلّى أكثر، بعد كارثه حزيران (1967) حين تراجع التيار القومى شيئاً ما خصوصاً فى فلسطين وعند ذاک أصبح الاتجاه الإسلامى من أقوى الاتجاهات على الساحه الفلسطينيه. وفى عام (1980) برزت الظاهره الإسلاميه بعد إنشاء حركه الجهاد الإسلامى برئاسه الشهيد فتحى الشقاقى «إذ جاءت لتعبّر عن الإسلام كمنطق، والجهاد كوسيله، وفلسطين كهدف للتحرير»(1) واكتملت اليقظه الإسلاميه عندما ظهرت بشكل رسمى حركه المقاومه الإسلاميه «حماس» معتبره الإسلام منهجاً منه تستمد أفكارها ومنه تسترشد خطاها،(2) وهكذا انتشر الوعى الإسلامى حتى أصبحت الانتفاضه أحد الخيارات لحسم قضيه القدس، ولم يغب شعر القدس فى هذه المراحل «لأن الشعراء فى كل أمه هم عنوان حياتها ومقياس رقيها، ومتى صرفوا مواهبهم فى خدمه الأمه وتخليد مجدها، أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعدها»(3) ومن منطلق الإحساس بالمسؤوليه حمل بعض شعراء شعر القدس فى سوريه ولبنان وفلسطين نداء اليقظه الإسلاميه ليحققوا آمال شعوبهم وطموحها، ومن هنا جاء صوت الشاعر السورى بدوى الجبل فى قصيدته (من وحى الهزيمه - أواخر الستينيات) وهو واحد من الأصوات المنكوبه هول ما رأى وعظيم ما جرى، عن زلزال النكسه الذى هزّ المشاعر ومزّق الخواطر، فبدأ القصيده بتحليل الأسباب التى أدّت إلى هزيمه العرب والمسلمين ونكستهم المذلّه، حيث حمّل الشاعر المسؤوليه بالدرجه الأولى لبعض القاده الذين تخاذلوا

1- (1) مجله الوسط، 30 كانون الثانى، لندن، 1995.
2- (2) المكتب الإعلامى، سلسله بيانات الحركه: ص 6.
3- (3) علاء الدين وحيد، شعراء اليقظه الإسلاميه فى بدايه القرن العشرين: ص 87، نقلاً عن على الغاياتى، وطنيتى: ص 20.

فأماتوا بذلک جیوشهم وشعورهم حین یقول:

جَبُنَ القادَةُ الکبارُ وفرُّوا وبکی للفرارِ جَیْشٌ جَسورُ(1)

وهو الأمر الذی عرّضهم لنقد الشعراء اللاذع، وبسبب مواقفهم البعیده عن الحکمه والحنکه، یقول شاعرنا بدوی الجبل مخاطباً أبطال المعرکه آنذاک:

هدَّکَ الذعرُ لا الحدیدُ ولا النارُ وعِبءٌ علی الوغی المذعورُ(2)

وفی نظر الشاعر فإن هذا التخاذل هو الذی أدّی إلی ضیاع قدسنا الإسلامی، وقد نال کرامه الإنسان المسلم ما نالها من خزی وعار. قصیدته هذه تشبه قصیده نزار قبانی «هوامش علی دفتر النکسه» إلاّ أنّها أقل حدّه وذات طابع دینی وإسلامی أکثر، حین نری أن الشاعر بدوی بعد ما بیّن بعض أسباب الهزیمه توجه للمسلمین لینعی لهم ضیاع القدس، ولذا بدأ «بهل» التساؤلیه ثم استعمل «أین» کذلک بهدف ایقاظ المسلمین لتدارک الأمر، مذکراً إیّاهم بماضیها العربی والإسلامی وتلاوه القرآن فیها إذ یقول:

هل دَرَت عدنُ أن مَسْجِدَها الأق - - صی مکانٌ من أهلِهِ مهجورُ

أینَ مسری البُراقِ، والقدسُ والمهدُ وبیتٌ مقدّسٌ معمورُ؟

لم یُرَتَّلْ قرآنُ أحمَدَ فیه ویُزارُ المبکی ویُتلی الزبورُ

طُویَ المصحفُ الکریمُ، وراحتْ تتشاکی آیاتُهُ والسطورُ(3)

بعد التساؤلات التی طرحها الشاعر أخبر المسلمین بما آل إلیه قدسهم، استحضر تاریخ القدس وما کانت علیه، فعمد إلی بیان الواقع الذلیل الذی حاق بالمقدسات الإسلامیه، فقد ضیّع الفتح الإسلامی وما قُدّم فی سبیله من تضحیات جسام، فالإسلام حریٌّ بعد تلک النکسه أن یناح علیه وأن یبکی،

1- (1) بدوی الجبل، الدیوان: ص 193.
2- (2) المصدر: ص 192.
3- (3) المصدر: ص 195.

ولِمَ لا تلبس مكه السواد حداداً على ما آلت إليه الأمور من ذلّه وانعدام كرامه، وفى كل هذا تقريع للأمه وللذين ورّطوها بهذه الورطه البغيضه.

يالذُلِّ الإسلامِ لا الجمعهُ الزه - - راءُ نُعْمى، ولا الأذانُ جهيرُ

كلُّ دنيا للمسلمين مَنَاحاتٌ وويْلٌ لأهْلِها وثُبورُ

لبست مكَّهُ السوادَ، وأبكت مشهَدَالمرتضى ودُكَّ الطورُ(1)

وهكذا يستمر الشاعر فى لومه وتقريعه ليعممه على كل مَنْ آمن بالله ربّاً فيرى الضياع شاملاً وعاماً والمصيبةَ طامه كبرى شملت المسلمين والمسيحيين على حدٍّ سواء، فهو يرى الصهيونيه لا تفرّق بين مسلم وغيره لأنّهما سواء فى هذا المصاف، وفى هذا الأسرز والأسيرُ يتشاطر الأسير غصص الأسْر ويشدُ كلُّ منهما أزر الآخر، لقد راح الشاعر يستنهض القيم السماويه التى يؤمن بها كلّ منهما والتى ترفض لهما أن يغفلا عن نصره القدس وتقديم العون لها، ومن هذه القيم الغيره على الأوطان والمقدسات، قائلاً:

أين آى القرآن تتلى على الجمع و أينَ التهليلُ والتكبيرُ

أينَ آىُ الإنجيلِ؟ فاحَ من الإنجيل عطرٌ وضوَّأَ الكونَ نورُ

أينَ «روما»؟ وجَلَّ حَبْرٌ بروما مهدُ عيسى يشكو ويشكو البخورُ

النصارى والمسلمون أسارَى وحبيبٌ إلى الأسيرِ الأسيرُ

صَلَبَ الرُوحَ مرّتينِ الطواغيتُ! جِراحٌ كما يضوعُ العبيرُ

يالَذُلِّ الإسلامِ والقُدسُ نهبٌ هُتِكَتْ أرضُهُ فأينَ الغيورُ(2)

ثم يرى الشاعر بأن محنةَ القدس لا تعالج بالتأوّه والندب والعويل، بل لابد من معالجه الفكر وما تحويه صدور المسلمين وإصلاحها.

1- (1) المصدر: ص 195.

2- (2) المصدر: ص 196.

لاتُشَقُّ الجيوبُ فى محنْهِ القدسِ ولكنَّها تُشَقُّ الصُدورُ(1)

ومن الحلول التى يقدمها بدوى الجبل بعد هزيمه عام (1967 م) لكى لا تتكرر المأساه، هوأن يكون للشعوب دور فى القضايا المصيريه إذ هذا بحد ذاته يُقلل من طمع الطامعين فى القدس وفلسطين، فيقول مخاطباً حكّام الدول الإسلاميه آنذاک:

إرجعوا للشُّعوبِ يا حاکميها لَنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ

صارحُوها.. فقد تبدّلَتِ الدنيا وجدَّتْ بعدالأمورِ أُمورُ(2)

لقد حاول الشاعر من خلال قصيدته الطويله هذه - 155 بيتاً - وباستخدامه أسلوب الإنشاء وکثره استعمال صيغه الاستفهام «أين» ونبره الحزن والتوجُّع أن يلفت الانتباه إلى أبعاد القضيه المتعدده.

بُليت البشريه فى تاريخها الممتد المتمادى بعده نکبات، بالتتار والمغول تاره وبالصهيونيه تاره أُخرى، حيث لم يرحم كلُّ منها بشراً بل ولا شجراً، ولم يقف عند أى حدود، يسارعون فى إباده الحرث والنسل، متجاهلين المعالم الحضاريه والدينيه، کما فعل العدو الصهيونى عندما أحرق المسجد الأقصى عام (1969)، لذلک نجد الشاعر الفلسطينى کمال عبد الرحيم رشيد يشير إلى فداحه ذلک الخطب فى قصيدته (1969) متعجباً من جرأه الصهاينه على الله وعلى عباده ومقدساتهم، محاولاً إيقاظ المسلمين والمتدينين، واستفزاز شعورهم الدينى ضد المعتدين، الذين بادروا إلى تدمير وحرق المقدسات الإسلاميه والمسيحيه بل الإنسانيه قائلاً:

جلّ المصابُ وزادت الآلامُ وعدت على أرض الهدى الأقوامُ

يا ثالث الحرمين حرقُک نکبهٌ فيها يزيدُ الجرحُ والإيلام(3)

1- (1) المصدر: ص 197.
2- (2) المصدر: ص 206.
3- (3) کمال عبد الرحيم رشيد، ديوان شدو الغرباء: ص 32.

ثم يقول فى القصيده نفسها:

أسفى على الأقصى وقد عبثت به نارُ العدو وقد علاه قتامُ

أسفى على الإسلام تترف جرحُه والمسلمون عن الجهاد ينامُ

لم يغضبوا لله غضبه مؤمنٍ رأوا العدو بأرضهم وتعاموا

ما قيمه الدمع الهتونِ أصوغهُ شعراً وشعبى للهوان يسامُ؟

فى كل أرضٍ من ديارِ محمدٍ ذلٌّ يرادُ وفرقهٌ وخِصامُ(1)

تعكس أبيات الشاعر هذه حالته النفسيّه، وألمه الشديد للوضع القائم فى القدس والنيران الملتهبه فيه وفى قلبه، فالشاعر أعطى صوره واضحه، لا مغالاه فيها لوضع المسلمين والتقاعس الذى حل بهم، فالقصيده مع بساطتها وسهوله مفرداتها عميقه وذات معنى كبير لما فيها من تصوير لأثر نكبه حريق المسجد الأقصى، وما تحمل من نداء لإيقاظ الوجدان الإسلامى وتجنب البكاء والعويل لأنه لا يُجدى.

ولمّا أعلن المؤتمر الإسلامى فى قمته بأن هذا العام هو عام القدس، نظم هارون هاشم رشيد قصيدته الساخره (هذا العام) وهو يتهكّم ويهزأ بالمؤتمرين، إذ يرى الشاعر أن استمرار احتلال القدس هو نتيجه لتقاعس الأمه الإسلاميه عن القيام بواجبها ووظيفتها الإسلاميه والإنسانيه والاكتفاء بالمؤتمرات التى لا تتعدّى الإدانه والبيانات الجوفاء أحياناً، وسرعان ما تنسى القدس، ولعلّ هذه الحاله المزريه للمسلمين وبعض قادتهم هى التى جرّأت الصهاينه على الاستمرار بالتمادى فى الأذيّه والعدوان، يقول هارون هاشم رشيد:

وقيل عام القدس

هذا العام..

اتخذ القرار فى اجتماعه

1- (1) المصدر: ص 34.

مؤتمر الإسلام

وصفّق الحُجّاب والخُدّام

وعاد كل واحد،

لقصرِهِ ونام

وتركت مدينه القدس

تغوص فى الظلام

تغرق فى القتام

تدوسها سنابک

الغزاه بالأقدام

وتستبى تاريخها

وتزرع الألغام

وتنشر الدمار فى أنحائها

والموت والحطام

وقيل عام القدس

هذا العام(1)

ثم يلتفت هارون إلى الجانب الصهيونى الذى يغتنم الفرص للفتک بالشعب الفلسطينى والّذى يكشف عن نواياه المبيته للعرب والمسلمين حين عمد إلى إعلان القدس عاصمته الأبدّيه فى نفس العام إمعاناً فى غطرسته التى لا رادع لها من عربٍ ولا من مسلمين يقول:

والجانب الآخر،

من عدتنا الظلام

1- (1) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 18 و 19.

هذا العام

قد هدّم البيوت

شرّد النساء

طارد الأيتام

مدّ على سماء القدس

أحقر الأعلام

وقال:

هذه عاصمتى

على مدى الأيّام.(1)

ثم يعيد النظر للأمه الإسلاميه ويوجه لها اللوم والعتاب قائلاً:

والأمه التى تجيد

فى صلاتها، السجود والقيام

الأمه التى فضلها

الله على الأنام

ودان دينها الحنيف

الفصل والختام

مغرقه فى صمتها

مشدوده اللجام

تكلّست قلوبها،

تحجّرت، أصابها الفصام(2)

فيرى الشاعر أن التمسک بروح الإسلام هو الدواء لعلاج الألم.

ص:135

1- (1) المصدر: ص 19 و 20.

2- (2) المصدر: ص 22.

جدول أهم قصائد محور القدس واليقظه الإسلاميه حسب الترتيب الزمانی

القدس والوحده الإسلاميه

ربّما تختلف أساليب التآمر باختلاف الزمان والمكان، لكن يبقى الهدف واحداً وهو الهيمنه على الأمه وممتلكاتها، ففى الستينيات والسبعينيات كانت إراده الاستعمار هى القضاء على القوميات، التى وقفت ضد التحديات، لكن مرّت الأيام والسنون وتطوّر التآمر ليصبح الهدف القضاء على الإسلام، وذلک من أجل استمرار الاحتلال وجعل إسرائيل تقوى وتنمو وتكون لها الهيمنه المطلقه، وهذا لا يمكن إلاّ عبر سياسه بث التفرقه والاختلاف بين الشعوب والدول ومختلف الطوائف الدينيه والعرقيه، وكان الأثر لهذه المحاوله - فرق تسد - مالا يخفى، إذ من بديهيات الإسلام أن يكون المسلمون أمه واحده فإنه لا كرامه ولا عزه للأمه الإسلاميه إلاّ بالوحده، ولا قوّه للإسلام إلا بوجودها،

ص:136

ولا يمكن أن تعود الأمه إلى ماضيها المجيد إلاّ إذا أخذت بالأسباب التى ترعرع عليها ذلک الماضى، وأبرزها وحده الصف والكلمه وإذا كنّا قد غفلنا فى الماضى فعلينا بالوحده فى الحاضر، ولكن على خلاف المتوقع غفل جلّ شعراء القدس لا سيما شعراء الشام عن نداء الإسلام فى هذا المجال، فلم نعثر على شعر يركز أو يشير لموضوع الوحده الإسلاميه ودورها المحورى فى تحرير القدس، مع ما لها من آفاق واسعه وآثار واضحه، ومازالت لم تفسّر أحلام الوحده الإسلاميه حتى على صعيد الكلام، وكل ما هناک جسّد شعراء القدس الوحده العربيه فى مسيره التحرير، وهذا ما ندرسه فى الفصل الثالث من هذا الباب، لكن ممّا يجدر التنويه إليه أن بعض الشعراء أشار إلى الوحده الدينيه، وذلک لأن الخطر الصهيونى يهدد الديانات السماويه برمتّها، وبإمكان الثوره الوحدويه أن تفيق أمام هذا الخطر لأنه من خلال الوحده يستطيع المظلوم مواصله الثوره ضد العدو وتحقيق النصر عليه، ونلاحظ أيضاً أن اتحاد الشعوب أصبح سلاحاً بيد الإنسان التحررى، كما تبلور هذا الوعى الوحدوى لدى الشاعر عبد الله يوركى الحلاق فى قصيدته، لأن المسلمين والمسيحيين وغيرهم تجمعهم الأديان السماويه والتراث الروحى المشترک:

فى القّدسِ شعبٌ أعزَل لكنّما امتازَت بسالتُه الجهاتِ الأربعا

إنَّ الحجارةَ بين أيديه غدت مثل السّهامِ، وكم تحدّى مدفعا

إيمانُهُ بالنصرِ مقترنٌ فلم يخشَ الرصاصَ، ولا المهاجمُ رُوِّعا

مَن قالَ إنَّ القدسَ أغلق بابها إنا سنفتحهُ وندخلُهُ معا

القدسُ يُرجِعُها اتحادُ شعوبِنا فلتتحد منّا القلوبُ لترجِعا

وهناک فى مهدِ المسيح سنلتقى وأمام هيكلهِ نصلّى خُشّعا(1)

1- (1) عبد الله يوركى الحلاق، ديوانه الأسديات: ص 152 و 153.

نأمُلُ أن تبرز قضيه الوحده الإسلاميه فی شعر القدس من التزام الشعراء بقضايا أمتهم الإسلاميه، فالشاعر الملتزم أكثر الناس قدره على توحيد الصف العربی والإسلامی، وهذه دعوه لتحرير الأرض والإنسان من الصهيونيه العالميه.

جدول أهم قصائد محور الوحده العربيه والإسلاميه حسب الترتيب الزمانی

القدس - الثوره والجهاد

اشتعلت الثورات وتعددت المواقف الثوريه والجهاديه منذ رفع وعد بلفور النقاب عن وجه الصهيونيه ونواياها الدنيئه تجاه فلسطين وقدسها الشريف، حيث وعد اليهود بإقامه وطن قومی لهم، وذلک على جماجم الشعب الفلسطينی وأرضه، ومن منطلق الدفاع عن الوطن والذات،(1) صمم الإنسان الفلسطينی وبكل ما يمتلک(2) - مادّياً ومعنوّياً - أن يقف بوجه المخططات الراميه لإبادته وغصب أرضه، ابتداءً من ثورته موسم النبی موسى عليه السلام فی القدس (4-10 نيسان 1920 م)(3) ومروراً بثوره يافا (1-15 من أيار 1921 م)(4) وثوره البراق (15-30 من آب 1929)(5) وثوره عز الدين القسام

ص:138

1- (1) (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: 39].

2- (2) (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّكُمْ...) [الأنفال: 60].

3- (3) حدثت أثناء احتفالات المسلمين بهذا الموسم الدينی عندما لوّث أحد الصهاينه علماً إسلامياً فتحوّل الاحتفال إلى ثوره عارمه ضد الاحتلال البريطانی والغزو الصهيونی.

4- (4) حدثت عندما قام الصهاينه بالاستفزاز ضد العرب والمسلمين.

5- (5) اندلعت دفاعاً عن الحائط الغربی للمسجد الأقصى الذی حاول الصهاينه امتلاكه بعدما أطلقوا عليه اسم حائط المبكى.

التى أعلن فيها الجهاد ضد المحتلين فى (تشرين الثانى 1935)[1] وهكذا استمرت الثورات إلى انتفاضه عام 1987 م.[2]

ومن الواضح أن الشعر لم يقف موقف المتفرّج مكتوف الأيدى تجاه الأحداث فكان اللّسان المعبّر عنها وعدسه التصوير الرّاصده لها حيث رافق الثوره ومدّها بالقوه والحيويّه، وشدّ على أيدى المجاهدين والثوار، رافضاً الاحتلال والاستيطان الأجنبى لأرضه العربيه والإسلاميه، مؤكداً على منهج الكفاح والنضال، حينما «تعانقت شخصيه المقاتل والشاعر بسبب اعتماد نفسيه كل منهما على شدّه الحساسيه، وسرعه الانتقال، وصدق الإقدام، وعمق التنبؤ بالظروف المستقبليه، ولهذا حاز الشاعر منذ القديم على منزله عاليه بين قومه، فكان كالنبى أو كالفارس لما يقدمه لقومه من خدمات اجتماعيه جماليه، أوقات الحرب والسلم. وفى عصرنا الحديث نظر المجتمع إلى الأدباء نظرته إلى الثوار المناضلين فرأى أنّ الكلمه الواعيه هى جزء من العمليه الثوريه»[3] التى تُرجمت فى أرض الواقع عندما برزت أسماء فى شعر القدس لم تكتف فى رصد الحدث فقط، بل رفضت العدوان الصهيونى بالكلمه وحمل السلاح معاً متحدّيه السجون، والاعتقالات، والموت مصرّةً على الثوره والجهاد، أمثال عبد الكريم الكرمى، حسن البحيرى، محمود درويش، محمود مفلح، هارون هاشم رشيد، برهان الدين العبوشى، وعبد الرحيم محمود الذى لمس بُعد الحقد الصهيونى داعياً لنبذ التخاذل، والضعف، وتحمّل المشاق فى سبيل رفع الظلم والمحنه وعدم الاكتفاء بإلقاء الخطب التى تتهدد وتتوعّد من دون حركه على الأرض تصدّق الكلمه الراعده. فهو صوره لضمير شعبه بكل

1- (1) من أسبابها ازدياد الهجره والاستيطان اليهودى وتهريب السلاح لهم.
2- (2) اندلعت حينما استشهد أربعه فلسطينيين عند حاجز «إيرز» بشاحنه صهيونيه.
3- (3) عبد الرضا الطعان، مفهوم الثوره: ص 68.

صنوفه، الذى آمن بالثوره والجهاد والحريه قائلاً:

ودماؤنا الحمراء للحريه العليا روافدْ

إنّ اسمنا العمال لا نلهو بلغو عندنا مقاصدْ

نقضى على حد الأسنه لا النمارق والوسائدْ

ونقابل الظلم الفرى بهمّه تفرى الجلامد

ونذيب فى نار الجهاد وحرها عنا الصفائدْ

لسنا كمن يهذى على الأعواد بالخطب الرواعدْ(1)

قد هيَّأ المستعمر البريطانى مقدمات تشكيل الدوله اليهوديه بإعلانه الانسحاب من فلسطين بذريعه عدم القدره على إدارتها، لينقل الملفّ إلى عصبه الأمم المتحده فى ليكسكسس، لتقر قرار التقسيم فى «29 تشرين الثانى 1947 م» الذى نص على تأسيس كيان صهيونى فى فلسطين، ولتكون القدس حسب هذا القرار منطقه دوليه،(2) وهو يدل دلاله واضحه جدّاً على النيه الاستعماريه المبيّته، كان هذا الإعلان باعث وعى لدى الشاعر الثورى إذ أدرک حسن البحيرى حجم المؤامره على أمته العربيه والإسلاميه، ولذا أخذ بالوعيد بثوره ليس لها مثيل قائلاً فى قصيدته «مولد ثوره»:

يا «صَخرةَ الأقصى» ومعراجَ الهدى أغْرَتْ بأهليكِ الخطوبُ سفيهها

قُولى «لِصهْيَوْنِيَّهٍ» مأفونُهٍ سَحَبَتْ عل ذيلِ التَّغَطْرُس تيهَها:

اليوم قد وُلِدَتْ بأرضى ثورهٌ ماأبصرَتْ عَينُالزَّمان شبيهَهَا(3)

قرار التقسيم يلزم اليهود باحترام الأديان السماويه وحفظ الأماكن المقدسه ورعايه حرمتها، إلا أنَّ الصهاينه - كما هو ديدنهم - يرون أنهم فوق

1- (1) عبد الرحيم محمود، الديوان: ص 18.
2- (2) الموسوعه الفلسطينيه: 27/5.

3- (3) حسن البحيرى، لفلسطين أغنى: ص 62.

كل المعاهدات والقوانين الإلهيه والدوليه، ولذا نراهم يبادرون لانتهاک المقدسات الإسلاميه والمسيحيه، فإحراق المسجد الأقصى فى (21 من آب عام 1969) يُظهر الحقد الصهيونى فى نفوسهم، فهذه الصهيونيه وهذه أفعالها الإجراميه، تشيع الموت والخراب، ولا ترحم الحجر ولا الشجر ولا البشر، ومن هنا يأتى صوت شاعرنا اللبنانى نجيب جمال الدين، وهو أحد الأصوات المتعجبه لجرأه الصهيونيه ولما حلّ بأقصانا، فلم يجد ما يطفئ نار قلبه المتأججه إلاّ بأن يستحضر تاريخ المسلمين ويوجه الخطاب لبطل القدس صلاح الدين فى قصيدته (منبرک أحترق - 1969 م) قائلاً:

انْهَضْ صلاحَ الدينِ

انْهَضْ يا أبا الثّارات

منبرک أحترقْ

وادعُ الرجالَ إلى الفلاحِ

إلى السلاحِ

فما سِواه المنطلقْ

ودع السيوف تقول،

للدرَقَ: الحديد

خِسئتَ يا دَرَقَ الوَرقْ

وعلى جوانِبِ قُدسِنا

وتلاها

عِزَريلُ يُدركُهُ القلق..

يَحْتارُ

مِن أىِّ المنابع يستقى

فيكادُ يعروهُ الزَّهَقْ

ص:141

وإذا متاريسُ الرِّجالِ تناثرت

جعلوا المتاريسَ

المُؤَقْ

ماتوا..

أليس سواک فی الأيّام سيفٌ

ردَّ للناس العَتَقْ؟(1)

الألم والحزن يعصران قلب الشاعر ونيران المصيبه تحرق مشاعره، حين يرى تقاعس الأمه الإسلاميه بشكل مخزٍ، فالأمه ضلّت الطريق حينما عجزت عن إنقاذ قدسها، اليوم أقصاها تعلوه ألسنه النيران، والأمه تتفرّج من دون حراكٍ، وهذا حال من استبدل الذی هو أدنی بالذی هو خير، فقاده المسلمين استبدلوا الجهاد بالأوراقِ والبيانات، وكأنّ الشاعر يشير إلی كلام الإمام علی عليه السلام: «فَمَنْ تركَهُ - الجهاد - رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ الله ثَوبَ الْذلِّ، وشَمَلَهُ الْبَلاءُ..»(2) فالشاعر يری أنّ الأسباب التی أدت إلی هتک المقدسات وتدنيس بيوت الله تكمن فی ابتعاد الأمه الإسلاميه عن قيمها، ومبادئها، والتخاذل عن الدفاع والذّب عن الوطن، والذود عن الحياض.

ألفاظ القصيده تكشف عن رؤی الشاعر الداخليه ومشاعره الجيّاشه المتأججّه، فهو تاره يستخدم ألفاظاً قويه وصلبه عنيفه - درق - حديد - سيوف - حريق بأنه لا يری خلاصاً لأمته إلاّ عن طريق الثوره والقوه، والحق، إذ ما أُخذ بالقوه لا يستردّ إلاّ بها، فوجه النقد اللاذع والسخريه من تقاعس أمته وذلک حين يستخدم ألفاظاً أمثال - ماتوا - أليس سواک.. تارةً أُخرى.

ثم وجّه الشاعر خطابه لصلاح الدين وأفعمه بالدليل للإقناع والتأثير، ولاذ

1- (1) نجيب جمال الدين، الكتابه علی أعمده الشمس: ص 235.

2- (2) الإمام علی عليه السلام، شرح نهج البلاغه: 74/2. خطبه 27.

بالقبور من باب «إيّاک أعْنی واسمعی یا جاره»، ولذا نراه عمد إلی الاستفهام الإنکاری - ألیس سواک - حتی یستفز الأحیاء ویوقظ الأمه. وقریب من هذا المضمون قصیده الشاعر حسن البحیری (منائر الهدی - 1976 م) إذ یقول:

أیُّ رَکبٍ فی مَنْهَجِ الحَقِّ سائرْ

مَشرِقِ المَجدِ.. مسْتنیرِ المآثِرْ

من ذَرَی «مَؤْتَهَ» الطهُورِ إلی «القُد

سِ» تجلَّی به وِضَاءُ المَفَاخر

نَثَرَتْ عِزّهً وزَهْوَ جلالٍ

سِدْرُهُ المُنتهَی عَلَیْهِ الأزاهِرْ

وحداهُ الروُّحُ الأمینُ بآیا

تِ جهادٍ مُنزَّهات الشَّعائرْ(1)

فقد قام الشاعر فی (20 شباط 1976) بزیاره الأضرحه لأمراء(2) سریه مؤته الذین أمرهم رسول الإسلام بصیانه الإسلام وإعزازه فأخذ الشاعر یستعید الماضیَ المجید ویستعرض مفاخر أمته ذات التاریخ العریق والتراث المجید ویقارنها مع الحاضر البائس المتعثّر، نکبه، ونکسه، وقتل، وتشرید، وإباده، فیستسلم للیأس إذ یری أُفق الأمه الإسلامیه لا یبشّر بالخیر، ولکنّه سرعان ما یتذکر الآیه الشریفه (... إِنَّهُ لا یَیْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْکافِرُونَ)3 فیتفاءَل بالنّصر بعد دفع الثمن قائلاً:

یاثَرَی «القُدسِ» لن یَقِرَّ بکَ البَا

1- (1) حسن البحیری، لفلسطین أغنی: ص 47 و 48.

2- (2) أمراء السریه هم: زید بن حارثه، جعفر بن أبی طالب، عبد الله بن رواحه، وهم مدفونون فی مدینه الکرک، قریه مؤته.

غِی ولن تَقْشَعِرَّ منکَ الدَّوائر

قد بَذَلْنا لکَ النّفوسَ رِخاصاً

وفدیناکَ ثائراً بَعدَ ثائر

وسنَمْضی إلیکَ واللیلُ داجٍ

وسنَمْضی إلیکَ والصُّبحُ سافِر(1)

نص القصیده یترجم لنا عن نفس الشاعر الجیّاشه تجاه القدس وشعوره الإسلامی والوطنی النبیل، فعمد الشاعر إلی استعمال بعض المفردات اللفظیه - قد بذلنا - وسنمضی - لیدلّ علی مواصله نهج الثوره مع مافیه من صعوبات، إذ یری النصر حلیفه بعد بذل النفوس والتضحیه، وتحدّی المخاطر، ودرء خیوط المؤامرات، وخوض المغامره فی سبیل تحریر القدس. أیضاً عمد الشاعر لأداه النداء فی خطابه «یاثری القدس» لإشعارنا بمأساه نفسه وحنینه العمیق إلی وطنه وما تعانیه القدس المکبله، إذ کان «الشعر الثوری هو الشعر الذی یتخذ من الکلمه الصادقه الموحیه قوه ثوریه تساند السلاح فی مواجهه أعداء الأمه وأعداء الشعب داخل البلاد وخارجها، وفی أوقات الحرب وأوقات السلم، وهو الشعر الذی یبنی الإنسان الواعی لوجوده الإنسانی فی خضم الحیاه»(2) حینما یعیش نکباته، ونکساته، وفظائعه وانهیاراته، فی خیر أمه أخرجت للناس،(3) من هنا یأتی صوت هارون هاشم رشید یندب الأمه العربیه والإسلامیه لعلاج قضیتهم المصیریه عن طریق الثوره والجهاد فی قصیدته (الأقصی - 1980) قائلاً:

المسجد الأقصی أبیح یقولها شعب یقاتل، لا یمل ویهجم

هو ثالث الحرمین فی باحاته حشد البغاهُ جموعهم، وتقدموا

1- (1) حسن البحیری، لفلسطین أغنی: ص 53.
2- (2) عکو بکری، الثوره وقضایاها فی الشعر العربی المعاصر فی سوریه: ص 21.
3- (3) (کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ...) [آل عمران: 110].

داسوا طهارته، وشجّوا كبرهُ وتجرءوا، وتجبروا، وتحكموا

غلوا الأذان به، وشدوا قيده وغلوا على محرابه وتسنموا

وهو الأسير يظلُ رجع ندائه يدعو ألا غوث يجىء، ويقدم

هل تسمعون تقول فيه حجاره هل تسمعون، تقولها.. تستفهم

هل تسمعون، وهل رأيتم أهلنا فى القدس عُزلا بالحجاره أقدموا(1)

صوره صاغها الشاعر لقدسنا وأقصاها فى ألمٍ صادق وتوجّع واضح لما تعانيه من وطأه الاحتلال الغاشم، رسمت صورهً ثوره الحجاره وهى السّلاح البسيط المتوفر لدى شعب فلسطين وأطفاله وما يحملون من شجاعه على صغر أعمارهم، حاول الشاعر فى قصيدته هذه، تقريع واستنهاض المسلمين لكى يلبّوا صرخه القدس المستغيثه، وهم يواجهون عدوهم الشرس بالصدور والنحور والأيدى الخاليه إلاّ من حجاره اتخذوها سلاحاً يواجهون به العدو المدجّج بالسلاح الفتاک.

نلاحظ أنّ الشاعر عمد إلى تكرار «هل» الاستفهاميه لعلّه إشعاراً منه بيأسه شيئاً ما، ولكن يبدو أن خيوط الأمل عنده مازالت متصله، إذ يعود ليرفع صوته عالياً مرّةً ثانيه ليستنجد بأمته العربيه والإسلاميه لأخذ الثأر والانتقام من العدو، فأهل القدس قد أعدّوا واستعدوا وقدموا ويقدمون التضحيات فداءً للأقصى، والتكاتف الاستعمارى أكبر من إمكاناتهم المتواضعه لذا فهم بحاجه إلى تكاتف إخوانهم العرب والمسلمين للوقوف فى وجه الأعداء. ثم يصوّر حاله الشعب فى مواجهه هذا العدو الغاشم، ويصوّر صموده وتصدّيه وجهاده الذى لا يعرف التراخى قائلاً:

ياأهلنا فى كل أَرض إنّه الأقصى ألا هبّوا إليه أقدموا

أهلوكمُ حملوا الأمانه أشرعوا رأى الجهاد مثابرين ويمّموا

1- (1) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 85 و 86.

أهلوكمُ فی القدس وقع خطاهم لا خائف فیهم ولا متبرّم

النار فی أثوابهم، وعیونهم بالمسجد الأقصی تهیم وتحلم

الموت مفروش علی طرقاتهم والراجمات القاصفات تدمدم

مرفوعه رایاتهم لا تنطوی أبداً ولیست تستذل وتهزم

أحبابنا فی سجنهم، وإسارهم ضربوا لنا المثل العظیم وقدموا

فعسی لعل هدیرهم ونذیرهم یصحو علیه السادرون النوّم

وعسی أذان الصارخین یجیؤنا لیثیر فینا، مایهزّ، ویضرم

وعسی إلی الأقصی تهبّ جموعنا وعسی لعل.. وربما نتعلم(1)

نضال الشعب الفلسطینی المتواصل یتبدل إلی ثوره وانتفاضه عارمه ابتداءً من حاجز «أیزر» فی عام (1987) وتظهر أکثر عزماً حینما قام أرییل شارون بزیاره استفزازیه للمسجد الأقصی فی (2000/9/28 م) حیث ارتفع نداء القدس عالیاً، وهو الذی تغنّی له الشاعر مطالباً بالثوره والجهاد.

قطعاً الشاعر یدرک مأساه الحرب وما تحمل من کوابیس، وویلات، وقتل، وتدمیر، علاوه علی هذا فإنّ طبیعه الإنسان السلیم الذات مهما کانت دیانته وانتماؤه، لا یحب الحرب ولا یرغب بها، ولعلّ دعوه الشاعر أن ینضم المسلمون إلی نداء الجهاد ضد الصهاینه، یعود إلی معرفته لماهیه العدو وفلسفه وجوده - أن یکون خنجراً فی جسد الأمه وقاعده انطلاق استعماریه - ولا یخفی أن الشاعر هارون هاشم رشید فی مقطوعته هذه، عندما کرر «عسی» أربع مرات وأردفها بالأدوات «لعلّ» و «ربّما»، یشعر بآماله الکبیره بأمّته العربیه والإسلامیه علّها تسمع صوته، وتساعده بأنواع السبل المتاحه لدیها، إذ یصعب علیه أن یسمع صوت «اذهب أنت وربک فقاتلا.. إنّا هاهنا قاعدون»

1- (1) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص 90 و 91.

وربّما كرر الشاعر (عسى) بناءً على جمودها ليدل على الجمود المخزى لعالمنا الإسلامى، وعالمنا الإنسانى فى الوقت الحاضر.

جدول أهم قصائد محور القدس - الثوره والجهاد حسب الترتيب الزمانى

القدس - الصمود والمقاومه

منذ عَقْد المؤتمر الصهيونى الأول بزعامه هرتزل عام (1897 م) توجّس العرب والمسلمون عامه، والأدباء والشعراء خاصه خيفه ممّا خلْف الستار، ولعلّ الشاعر النشاشيبى كان أوّل من نظم قصيده تناولت التهديد الصهيونى لفلسطين تحت عنوان «فلسطين والاستعمار الجديد»(1) فى «تشرين الأول 1910» يقول:

إنّ الاستعمار قد جاز المدى دون أن يعدوه عن سير عداء

إنّ هذا الداء قد أمسى عياءً فتلافوه سريعاً بالدواء

إنها أوطانكم فاستيقظوا لاتبيعوها لقوم دخلاء(2)

ص:147

1- (1) الموسوعه الفلسطينيه: 8/5 و 9.
2- (2) المصدر: ص 9.

ولذا أخذت المقاومه تظهر ملامحها فى الوطن العربى والإسلامى فى فلسطين، وبدأت تشتدُّ بعد وعد بلفور عام (1917 م) فتنوَّعت صورها فيما بعدُ، فكل إنسان فى مجاله يحاول أن يقدم أقصى ما عنده، وما يستطيع أن يقوم به من أجل خدمه قضيه بلده وبالتالى تعددت صور المقاومه، فالفنّان قد وقف ريشته خدمةً لقضيته والشاعر قصائِدهُ والأديب قِصَصَه وهكذا... وكل هذه الصور من المقاومه لا تقل أهميتها أبداً عن رصاصه المقاوم فى ساحه المعركه لأنَّ المعركه لا تكون دائماً فى ساحه القتال، وبالتأكيد يمكن القول بأن استعمال الشعر وسيله إعلام وتثقيف ونقد ذاتى، ويرجع الفضل فى إطلاق هذه التسميه - شعر المقاومه - إلى ما جاء من هذا الموضوع فى شعر سميح القاسم كقوله فى قصيده (خطاب من سوق البطاله):

ربما أخمد.. عريانا.. جائع..

يا عدو الشمس.. لكن.. لن أساوم

وإلى آخر نبضٍ فى عروقى..

سأقاوم.. !!(1)

فبرز شعر المقاومه فجر الثوره ضد الاحتلال ثم ظهرت حركه شعريه أصليه تعبّر عن النكبه ومرارتها فى سبيل استرداد الحق المغتصب، لذا ألّفت حركه شعر المقاومه برهه تاريخيه فى حركه الشعر الحديث، وقد جاءت على أثر - النكبه - ونكسه الخامس من حزيران (1967) فقد نهضت المقاومه إثر الهزيمه لتلقّى الصدمه العنيفه التى أحدثها الغزو فى النفوس، وهكذا أصبحت طريق تمهيد لظهور صوت جديد جسّده شعراء المقاومه، حاملين نغمه حزن شفافه تعبّر عن الروح الثوريه المقاومه(2) والصمود الشامخ ناظره

1- (1) سميح القاسم، الأعمال الكامله: 91/1.
2- (2) الموسوعه الفلسطينيه: 270/4.

إلى الآفاق المستقبليه لأمه الإسلام نظره آمالٍ وترقّبٍ لنصر الله تعالى بعد صمود وصبر وتضحيه ومقاومه، كما يصوّر هذا المشهد الشاعر محمود مفلح فى قصيدته (نشيد للقدس) قائلاً:

ويعود للأقصى «بلال» يملأ الآفاق سحرا والمؤمنون الصادقون.. يرتلون.. الفتح.. شكراً

صبراً على ليل الطغاه فإن بعد العسر يسرا

فجنود ربک يا أخى.. حق لمن أولاه نصرا..(1)

تبقى قضيه القدس هى الشغل الشاغل لدى الشعراء كما هى عند الشاعر محمود مفلح إذ يشعر بألمها ويسمع أنينها، ويرى فى الوقت نفسه، الواقع الإسلامى المرير والذى يسدُّ نوافذ الخلاص، ولذلک نراه لا يجدُ ملجأً إلاّ الصبر وحمل النفس على الأمل والتفاؤل والثقه بجنود الله الصابرين، فلهذا نلاحظ أن الشاعر هنا حَرَصَ على توظيف أكبر مصدر فى تراثنا العربى والإسلامى ودستورنا السامى، أى: القرآن الكريم، فى مثل هذه الأبيات لما فيها من معانٍ تلائم الموضوع الذى يعالجه الشاعر فقوله: «المؤمنون الصادقون» إشاره لقوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ...)2 قوله: إن بعد العسر يسراً، إشاره لقوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)،(2) وقوله لمن أولاه نصرا... لعله إشاره لقوله تعالى:

ص:149

1- (1) محمود مفلح، المرايا: ص 60.
2- (3) الانشراح: 5 و 6.

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ)1 فقد جاءت لتحث الأمه الإسلاميه على المقاومه والصمود متوكلين على الله تعالى، وهذه صوره أمل وتفاؤل عند الشاعر.

من أبرز الأحداث الفلسطينيه التى قام بها الصهاينه هى مجزره مخيّمى صبرا وشاتيلا فى جنوب لبنان (16 أيلول 1982 م) والتى راح ضحيتها نحو سبعه آلاف من الفلسطينيين، وهذا الحقد الصهيونى فجّر المشاعر الإسلاميه والعربيه لاسيما عند شعراء القدس كما نرى ردّه الفعل عند هارون هاشم رشيد وهو يحرّضُ الشعوب الإسلاميه على استمرار الثوره والصمود والمقاومه فى قصيدته (ياوحدنا):

ماذا أقولُ لكم وأخبرُكم واليوم لا لهوٌ ولا لَعِبُ

حربٌ تُهدّدُنا، تُهدّدُكم وتطالكم والدَّورُ يقتربُ

ماذا أقولُ لكم لأمتِكُم ماذا يقولُ أحبّه عَتَبُوا

إنا نقولُ بأن ثورتَنا لو دُمّرت وأصابها العطَبُ

من بعدِها سَتُداسُ أمّتكُم من بعدِها لن يُذكَرَ العربُ(1)

نبره الألم واضحه فى شعر هارون ودعوه صريحه لمقاومه الاحتلال، ودعوته هذه لم تكن فى إطار الضيق للشعب الفلسطينى وحده، بل للعالم العربى والإسلامى كله، إذ يرى أنه إن لم يوقف العدو عند حدوده، فستكون البليه عامه وطامه، وتساءل الشاعر أكثر من مره - ماذا أقول - تساؤلاتُهُ هذه تكشف عن ما يتردّد فى أعماقه من خوف على مستقبل أمته، وهكذا يبرز مفهوم المقاومه والصمود، معبراً عن الدعوه الدائمه لمواصله النضال، وعدم الركون إلى الخنوع

1- (2) هارون هاشم رشيد، الصمود والحزن: ص 21.

والاستسلام فالصمود سيصنع المجد حتماً، يقول الشاعر السورى جابر خير بک وهو يتابع بأحاسيسه مقاومه الشعب الفلسطينى والمقاتل المسلم فى قصيده:

يافارس الساح يامن زاده شرفاً أن يحفر القدس فى أحداقه وشما

من غيره وهب الأوطان مهجته وصافح الموت مزهواً ومحترما

فهو الذى جعل الجلى مطيّته وداس وجه عتاه الكفر واحترما

وهو الذى قال للتاريخ مبتسماً أنا هنا لن أملَّ البرد والخيما

أنا هنا حربهٌ فى صدر من ذبحوا أهلى وشعبى، وشقوا القلب والرحما(1)

وهكذا كان صوت فلسطين فى ضمير الإنسان العربى والمسلم، دعوه الصمود والمقاومه ورفض الاحتلال، أحسها الشاعر الفلسطينى واللبنانى كما أحسها الشاعر السورى لأنها قضيه تحرير واستقلال، قضيه نضال وكفاح ومقاومه قضيه الحق والعدل.. ولا يرضى بأدنى من إنجاز هذا. ومن هذا المنطلق انعكس الرفض لمعاهده (أوسلو 1994) فى شعر القدس، وذلک لأن قاطبه الشعراء كغيرهم اعتبرها معاهده استسلام وتنازل بل تخاذل عن أدنى حقوق الشعب الفلسطينى المضطهد، لهذا نرى الأصوات الشعريه قد علت وركزت على الصمود والمقاومه تعالج القضيه شعرياً، ومن هنا جاءت قصيده الشاعر على عقله عرسان (أورسلام - 1996) الرافضه للسلام المزيف، فى مقطع منها يقول: أنا وخطاى نقول:

سلاماً أور سلاماً،

لم نُهزَم ياأور سلاماً،

لم نُهزَم ياقدس الفاروق، وقدس صلاح الدين، وقدس

يبوس الأول،

ص:151

1- (1) جابر خير بک، شوارد النغم: ص 158-159.

لم.. لن،

لن.. لم،

لم نُهزَم،

فى الأرحام حداءٌ،

أكبر من هروله الذلِّ،

وأكبر من كلِّ المأزومين المهزومين المأجورين،

فى الأرحام رجاءٌ أكبر،

نورٌ أكبر،

حلم أكبر.

لا سلم بهذى الأرض وأنا مقهورٌ ياأور،

لا سلم بهذى الأرض وسيفُ القرصان يحزُّ وريدَ القلبِ،

ويفرى كلَّ جذورِ الحبِ،

ويمسخُ كلَّ نداء الربِّ،

ويقتلُ.. يقتلُ.. يقتلُ،

لا سلم بهذى الأرضِ على أنقاضِ السلمِ الحق،

سلمٌ فيها.. يوم يسود العُربُ،

يسود العدلُ،

ويفنى الرعبُ الصهيونىُّ،

ويفرحُ قلبى،

سلامٌ فيها يوم يسود الحق.(1)

من الواضح أن الشاعر يطالب بسلام الحق، سلام العدل. واستعماله للأدوات - لم - لن - يدل على عمق اعتقاده بالمقاومه والصمود، عقيده راسخه

ص:152

1- (1) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص 320.

ممتده فی جذور الأرض وشرايين أبناء الأمه الإسلاميه، يستبشر بالمستقبل القريب، وبين صراع اليأس والأمل، فالأمل هو المنتصر.

القدس - الشهاده والشهيد

إن كلمه الشهيد تحيط بها هاله من القدسيه، والعلو والسمو، وإنما تطلق كلمه الشهيد على ذلک الفرد الذی ضحّی بحياته فی سبيل هدف مقدَّس، أو الذی قضی وهو سائر على طريق المسيره المقدّسه، والشهيد يكتسب حاله الخلود، ويخلق جواً من الصفاء والطُّهر فی المجتمع المحيط به، ولا بُدَّ للهدف من أن يكون مقدّساً وعظيماً، والذی يضحّی بحياته من أجل أهداف غير ساميه، أو يقتل فی سبيلها، فإنَّه لن ينال حاله القُدسيّه، واحترام التقديس فی عيون البشر.(1) فمن يضع فكره وآثاره العلميّه فی خدمه البشريه، فإنه يُعطى لفكره مفهوم الخلود، وهكذا من يُرَبّی

1- (1) هناک فرق بين الهدف المقدس، وبين الهدف الكبير، فأمثال «الاسكندر» و «نابليون» و «هولاكو» و «هيتلر» كانوا يأملون بتحقيق أهداف كبرى، لكنهم لم تكن لديهم أهداف مقدسه. فمثلوا دور الأبطال وكبار حبّ الجاه والسلطه، ولم يمثلوا رمزاً للأحرار وطلاب الحقيقه.

ابنه أو يُربى الآخرين، فإنه يُعطى الخلود لأعماله، وإن كلّ واحد من هؤلاء يُضحى بكل مايملك عن عشق ووفاء للمبدأ السامى، فيُعطى لدمه قيمه الأبديه والخلود، وهذا هو الفرق بين الشهيد وغيره،(1) والهدف المنشود لدى الشهيد هو نصره الحقيقه وإعاده الحق إلى أهله، ولذلک تراه يُضحى بالمصلحه الشخصيه وبكل ما يملک حتى نفسه الطاهره، فى سبيل انتصار الحقيقه والوصول إلى الحق والعدل فى سبيل الله والأمه والوطن والإسلام؛ ولذا أصبح مفهوم الموت عند الشهيد هو الحياه بذاتها بل يكاد يفوقها وذلک لتحقيق الحياه السعيده السرمديه فى الآخره أو الحياه الحقيقيه فى الدنيا، وهذا ما يؤكده سيد الشهداء الإمام الحسين بن على عليه السلام فى طريقه إلى أرض المعركه حينما أنشد أبيات أخى الأوس قائلاً:

سأمضى فما فى الموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مغرما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أُذمم، وإن مت لم أُلم كفى بک ذلاً أن تعيش وترغما(2)

لقد سجل الشعر فى سوريه لبنان وفلسطين أرض الشهاده والشهداء، قضيه القدس، تسجيلاً صادقاً وعميقاً تجاوز فيه الخطابه إلى غور أعماق الإنسانيه فى الاستشهاد والفداء والتعبير عن الالتزام بالقضيه وإحقاق الحق عن طريق الشهاده، فالشهاده هى الحياه،(3) ولهذا برز مفهوم الشهاده والموت فى سبيل الله والحرّيه والتحرر كأعلى قيمه ثوريه فى طريق المناضلين والمجاهدين فى شعرهم فكانت القصيده عندهم رصاصه بوجه الصهيونيه وقد تفاعل الشاعر فى تحرير القدس مرتبطاً بأمنيته بالاستشهاد كما نلاحظ

1- (1) مرتضى مطهرى، الملحمه الحسينيه: 3/27-29.
2- (2) تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى: ص 217.
3- (3) (وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169].

ذلک فی قصیده الشاعر نزار قبانی (طریق واحد):

إلی فلسطین خذونی مَعكُم، یا أیُّها الرجال

أُریدُ أن أعیشَ أو أموتَ كالرجالْ

أُریدُ أن أنبتَ فی ترابها.. زیتونةً أو حَقلَ برتُقَال

أو زهرَةً شَذِیَّه..

قولوا لمن یسأل عن قضیتی..

بارُودتی.. صارت هی القضیّه..

أصبح عندی الآن بُندُقیَّه

أصبحتُ فی قائمه الثُوَّارْ

أَفتَرِشُ الأشواكَ والغُبار

وألبسُ المنیَّهْ..

مشیئهُ الأقدار لا تردُّنی

أنا الذی أُغَیِّرُ الأقدارْ..

یا أیُّها الثُوارْ..

فی القدسِ، فی الخلیلِ، فی بیسانَ، فی الأغوارْ

فی بیت لَحمٍ..

حیثُ كنتُم أَیُّها الأحرارْ..

تقدَّموا.. تقدَّموا..(1)

نكسه حزیران عام (1967) قد ألهبت حماس قبانی وأجّجتها، كأنه ینتظر الفرصه الذهبیه لحمل السلاح والتوجه إلی القدس السلیب، الحدث یدعو

إلى الخطابه أكثر منه إلى التأمل الهادئ، فالموقف مصيرى إمّا حياه كالرجال الأحرار وإمّا ممات كالأبطال والمناضلين الذين كرعوا كؤوس الموت فى

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 329/3 و 330.

سبيل الله تعالى وصافحوا أيدى الردى فى ساحات القتال، فالشاعر يستمد عاطفته الإنسانيه من جذورها الإسلاميه ويسلط أنوار الحقيقه على السبل المثلى التى يجب على الأمه أن تسلكها للتحرر وسعياً وراء ما ضاع من عزتها ومجدها، ويرى نزار قبانى أن هذا هو النهج السديد لإحراز النصر وتخليص الأرض، فالشهاده أعلى مرحله من مراحل النضال التحريرى، والشهداء هم روّاد الحرّيه الذين يقطعون غياهب الليل الداجى بدمائهم، ويوقظون النيام من سباتهم، ويبشرون بالخلاص من قيود الاحتلال.

وعندما استشهد القائد خليل الوزير أبو جهاد يوم (16 نيسان 1988) نظم الشاعر هارون هاشم رشيد قصيدته (لن نقبل العزاء) قائلاً:

نَحْنُ لن نَقْبَلَهُ فيک العَزَاءَ قَبْلَ أنْ نَبْلُغَ بالثأر، الرّجاءَ

أنْتَ مَنْ علَّمَنا، لَقَّنَتَا ثورةَ النَّصر التزاماً وانْتِمَاءَ

أنْتَ مَنْ عَلّمنا، كيفَ إذا فَجَرَ الباغى، دَعياً وأساءَ

نُرجِعُ الضربةَ، كرّاتٍ ولا نَتَراخى فى المُلمَّاتِ انحناءِ

أنتَ كَم مِنْ مرَّهٍ لَقّنتَهم رائعَ الدَّرسِ، وفَجَّرتَ الفَضَاءَ

أنتَ يا سيفاً، تَنَاسَى غِمْدَه مشرَعاً، يَسْتَبِقُ الموتَ اجتِراءَ(1)

ثم يواصل الشاعر فى المقطع السادس من قصيدته قائلاً:

أيُّها الراقِدُ فى الشّام وفى «الرَّملهِ البَيضاء» يَرتادُ الفَضَاءَ

روحُک الطاهرُ رَفرافٌ على وطنٍ، يَنتَظرُ الفَجرَ المَضاءَ

روحُک الطاهرُ فى القُدْسِ على قُبَّهِ الأقصى يُنادى البُسَلاءَ

يُوقِظُ الكامِنُ مِنْ غَضبَتِها يُشعِلُ الثورةَ، يُهدِى البُسطاءَ(2)

ص:156

1- (1) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه (قصائد للشهداء): ص 77-79.

2- (2) المصدر: ص 79 و 80.

يقدّم لنا الشاعر هارون صوره لنفس هذا الشهيد المضحّى بنفسه، الذى لم يتخاذل أمام غطرسه العدو، ولم يُؤْثر الحياه والسلامه، وإنما هبّ مدافعاً عن عرضه وأرضه، فالشاعر لا يذرف الدموع على الشهيد لأنه حىّ يرزق فى جنّات العُلى، التى طالما كان يحلم بها، وهى الغايه التى يجاهد المقاتلون للوصول إليها، فيصبح الشهيد نبراساً ومناراً يُهتدى به، معبّراً كل التعبير عن المجاهدين الأحرار، ومجسّماً لآمال سائر الشهداء الأبرار الذين يصوغون بدمائهم الزكيه سطور أعظم قضيه للإنسانيه واستمرار حياتها، ولتكون كلمه الحق هى العليا، فيرى الشاعر أن الشهداء هم أساتذه الثوار والأحرار يعلّمونهم كيف يكون الموت حياه لا موت فيها، وذلک لأن الأمّه التى لا يكثر فيها المستشهدون دفاعاً عن كيانها وعقيدتها وحفظ هويتها وحريتها، هى أمّه مرشحه للزوال والموت، يتخطفها الأعداء من كل حدب، ويطمع بها ذئاب البشريه بل كل قوى وضعيف. ومتى ما أصبحت أرواح الشهداء تطوف حول قبه الأقصى وقدسها فالأمل بالحياه كبير ونسيج عنكبوت الصهاينه لا محاله زائل. وفى هذا المضمون أيضاً جاءت قصيده الشاعر كمال رشيد التى قال فيها:

ياحبيبَ الله قد نلتَ الذى كنتَ ترجو وجنانَ الخلد نلتا

رأيت دربَ النصر وعراً شائكاً دمُک الطاهرُ فى الأرض سكبتا

أنت فينا قبسٌ يرشدنا وإذا اخترت مثالاً كنت أنتا

وإذا القدس غدت قنديلنا فلقد أصبحت للقنديل زيتا(1)

فالشهاده أعطت القدس بُعداً عقائدياً وثقافياً عميق الجذور تتجمع فيه الأرواح لتصبح ذلک الزيت الطاهر ليُضىء طريق القدس نحو التحرير.

أخذ الشعراء يعبرون عن معان الشهاده ويقدمون التحيه والتقدير لشهداء القدس وفلسطين، فالشعر «الفلسطينى أشبه بشعر المناسبات، ولكن ليس على

1- (1) كمال رشيد، القدس فى العيون: ص 57.

طريقه الشعر العربى القديم، فالمناسبات التى يسجلها الشعر هنا مناسبات الدم والبطوله والتآمر ومئات الأحداث التى تتّخلل مسيره الثوره، ذلك أن الشعر بتماسه اليومى والحار مع الأحداث على تنوعها يكاد يصبح تعليقاً مباشراً على هذه الأحداث، يسجلها ويحدد موقفه منها ورؤيته لها».(1)

فيقدم الشاعر صوره مشرقه فى غياهب الدجى مبدّدةً سحب الخوف والضياع، ومنيره مصابيح الأمل والتحرير. وهذا ما نلاحظه عند الشاعر «على عقله عرسان» فى قصيدته (ياراغبُ قمْ - الثمانينيات):

ياراغبُ قم.

ياراغبُ قم.

واهتفْ بالركبِ وقل لَهُمُ،

بسحر بيان جهادِهِمُ:

«للقدسِ طريقٌ من أرنون..»

تكسوها أوراقُ الطيُّون،

يشعّ بها فجرٌ فتَّانٌ أو مفتون..

يصنعه اليوم جنوبيون جهاديون..

جهاديون جنوبيون..

للقدس طريقٌ من «أرنون»

للقدس طريقٌ من «أرنون»

مشاعلها نورُ النورينْ،

وزينتُها فخرُ الدّارين:

جحافل أحفاد الحسنين..(2)

ص:158

1- (1) نزيه أبو نضال، الشعر الفلسطينى المقاتل: ص 95.
2- (2) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص 373.

بعد اجتياح العدو الصهيونى للجنوب اللبنانى فى «السادس من حزيران 1982 م» واجهت الأمه العربيه والإسلاميه حلقه جديده من التآمر على وجودها ووحده أراضيها وذلک لنهب خيراتها والتسلط عليها عن طريق التجزئه والاحتلال، وبعد ماتلقى العدو الضربات تلو الضربات على يد المقاومه اللبنانيه راح يبحث عن وسيله عسكريه جديده تؤمّن له أمنياته الغاشمه فتشبث وكما هو ديدنه باغتيال رموز المقاومين ظناً منه إزاله هذه العقبه أمام نواياه التوسعيه فبادر لاغتيال الشيخ راغب حرب فى عام (1985 م).

وقد هز مصرع الشهيد شاعر الأمه الإسلاميه فكان لموته رنه ألم وأسى تجاوزت حدود لبنان فحدثت ردود فعل على الصعيد الشعرى كان أبرزها موقف الشاعر السورى «عرسان» حيث ينادى الشهيد بأن يسير بركب المجاهدين فإنّ طريق القدس يمر من بحر تلک الدماء الزكيه التى سكبت فى سبيل الله تعالى، وأن سبيل الشهاده الذى سلكه أبناء الجنوب سوف ينته إلى التحرير وستنتج تلک الدماء براكين مبدؤها الجهاد والنصر على العدو. ثم بيّن الشاعر بأن هذه الدماء الثائره متصله بكربلاء لأن كربلاء لا تختص بمكان أو زمان وشهاده الحسين عليه السلام هى المقاومه الواعيه الزكيه على طريق الهدف المقدس ولا أقدس من الدفاع عن الذات والوطن.

لِلقدس طريق من «أرنون»

تكسوها أوراق الطيّون

للقدس طريق من أرنون

والزحف بداه جنوبيون

غداً تلقاه: شاميّون.. عروبيون،

لِلقدس طريق من «أرنون»(1)

ص:159

1- (1) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص 374.

وهكذا تفاءل الشاعر بتحرير القدس، وساهم فى تعبئه الأمه الإسلاميه لمواصله نهج الشهاده، لأن الشهيد حينما يقف بوجه العدوّ، فإما أن يصرعه وإمّا أن يُصرع، لكن عمل الشهيد لا ينحصر فى هذا الموقف! فلو كان عمله منحصراً بهذا لذهب دمه هدراً حينما يخرُّ صريعاً فى ساحه المعركه. وهذا ما لا يحدث، فدم الشهيد لايذهب هدراً.. دم الشهيد لا يُراق على الأرض. كل قطره من دم الشهيد تتحوّل إلى آلاف القطرات.. بل إلى بحر من الدماء يدخل جسد المجتمع.(1) ولذا واصل الشاعر قائلاً:

تشقُّ طريقَ القدس قلوبٌ، بعد قلوبٍ، بعد عيون..

أسراب جراحٍ تهطلُ فوق الناس ضياءً..

تهمى نصراً.. تنقذ طفلاً.. تصنع أمناً.

كبِّر فى الناس

ينتعشون.. وينتشرون بكل الأرض

وقل لهم..

لمجد القدس صهيل قلوب الناس اليوم،

ومجدُ القدس هزيمةُ وكرِ الشّرِّ: بنى صهيون.

جنوبيون مشوا فى الدرب إلى العلياء، جنوبيون..

أرواحٌ تنسج صبح النصر،

بلون العندم والزيتون،

جنوبيون.. جنوبيون،

ضياء اليائس والمحزون..(2)

ص:160

1- (1) مرتضى مطهرى، الشهيد يتحدث عن الشهيد: ص 30.

2- (2) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص 377.

الشعر الثورى الذى يعيش فى معترک الحیاه ووسط هموم الناس وصراعاتهم لا يلبث أن يصبح شهاده على العصر، والشهاده هنا لا تعنى نقل الأحداث وتسجيلها على طريقه التصوير الفوتوغرافى، بل تعنى أن تنقل الأحداث من خلال فهم حركتها الحقيقيه، ذلک أن کل حدث مرتبط بجمله متشابكه من المؤثرات والعلاقات التاريخيه والمعاصره، ومن هنا فإن شهاده الشعر الثورى، تمتلک دائماً إلى جانب القدره على نقل الصوره بسیاقها الظاهرى إلى جوهر الحدث.(1) فعبّر الشاعر بقصيدته هذه عن عمق إيمانه بالنصر الذى سوف تسجله دماء الشهداء وتنقذ الأمه بعد أن أضاءت طريقها وأزاحت جبل اليأس من أمامها، فإن كل قطره من دماء الشهداء حينما تراق على الأرض وتسقى أديمها تفجّر مشاعر البشر وأفكارهم، ووجدانهم غضباً عاصفاً وأمواجاً مطاطه تنصبّ فوق رؤوس من سوّلت لهم أنفسهم الاعتداء على الآخرين، وتورق الحياه خضراء بلون الزيتون.

جدول أهم قصائد القدس محور «الشهاده والشهيد» حسب الترتيب الزمانى

1- (1) نزيه أبو نضال، الشعر الفلسطينى المقاتل: ص 90.

لقد كانت هذه المحاور الخمسه فى الفصل الثانى - الدواعى والاتجاهات الإسلاميه - هى أهم ما دار حول شعر القدس فى الفتره (1948-2000 م) وقد تبيّن لنا أولاً:

أن المحاور حسب كميّه القصائد الوارده فيها هى كالترتيب التالى:

القدس - الشهاده والشهيد.

القدس - الصمود والمقاومه.

القدس - واليقظه الإسلاميه.

القدس - الثوره والجهاد.

القدس والوحده الإسلاميه.

وفى معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقه القويه بين شاعر القدس والواقع الذى صوّره فى تلك المحاور التى كانت نابعه من أعماق النفس الإنسانيه والأحاسيس الوجدانيه فى كلمات تشعر بالمشاعر الحماسيه المتأججه والمتفجّره. فقد انطلقوا بدورهم فى تعبئه الأمه العربيه والإسلاميه للوقوف فى وجه العدوان ومقاومه الاحتلال حتى الشهاده فى سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجه واضحه حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها. إلا أن قاطبه أولئک الشعراء غفلوا عن محور

القدس والوحده الإسلاميه - مع ما فيه من الأهميه الخطيره إذ أنَّ القدس تتعلق بالمسلمين جميعاً، لكنّهم لم يغفلوا عن موضوع الوحده العربيه والذى سنعرض له فى الفصل الآتى.

ثانياً: قد تفاوتت القصائد - فى هذه المحاور - فيما بينها شكلاً واقتربت مضموناً - وهى تعرض لنا صوره القدس - ولا يبدو المكان فى هذه القصائد ظل ساكناً وإنّما كانت الحركه فيه تدبّ وتبعث الحياه فى القصيده؛ إذ استطاعت أن تجعل منه قضيه للإنسان الفلسطينى بل للإنسان العربى والمسلم، «ويكون المكان أحد العوامل التى تقوم عليها الأحداث، وهو لا ينعزل عن عناصر السرد الأخرى، وإنما هو يتضمنها بالضروره، ويؤثر فيها وتؤثر فيه، ولذلك لا يصلح المكان وحده لأى عمل فنّى، كما أن الشخصيات لا تعيش ضمن فراغ، ومن هنا يتداخل هذا العنصر والعناصر الفنيّه الأخرى فى علاقات مختلفه لتشكيل العمل الفنى، سواء أكان روايه أم مسرحيه أم قصيده، ويكون المكان عنصراً ضرورياً، بل هو من أهم العناصر الفنيه لما يتركه من بصمات واضحه فى الشخوص والأحداث.(1) فلذا جعل القدس والشعر الذى اشتمل عليها معنىً وقيمه خاصه.

ثالثاً: كانت الصفه الغالبه فى قصائد القدس فى هذه المحاور هى الخطابه المباشره.

رابعاً: إن شعر القدس فى هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنّما كان فعلاً مقاوماً لبعضها محرضاً للبعض الآخر، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (1948) حتى (2000 م) وكانوا حريصين على متابعه يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقه كالشاعر هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، على عقله عرسان، نزار قبانى و....

1- (1) خليل الموسى، جريده تشرين: 27 كانون الثانى، 2005، العدد 9157، ص 8.

3. الدواعى والاتجاهات السياسيه

القدس والضمير السياسى

إن التجربةَّ الفلسطينيه الحديثه لا ترحم، ولا تترک ناحیه من نواحی الحیاه دون التدخل فی أعمق أعماقها، ولیس هناک من یفلت من قبضاتها، فالکاتب أو الشاعر الذی یفکر فی التوجه توجهاً منفصلاً عن السیاسه فهو یتنکر للواقع والتجربه، إذ وجد الشعراء الفلسطینیون وغیرهم بعد عام (1948 م) أنهم لم یکونوا ورثه لتاریخ شعری عربی طویل وحسب، بل وجدوا أنفسهم کذلک ورثه لوضع سیاسی جدید ومعقد، شعروا أنه لا فکاک لهم منه.

وقد مال الشعر قبل عقد الخمسینیات إلی الاستجابه العفویه للأحداث، فخضع لمتطلبات المعنی فی القصیده(1) عندما رفض الشعراء قاطبه رفضاً باتاً مقوله الفن للفن ودافعوا بقوه عن مقوله الفن للحیاه وللقضایا القومیه والوطنیه ومن هنا جاء رد إلیاس قنصل قائلاً:

قالوا لنا خلوا السیاسه أنها أفعی یرافقها غرابٌ ناعبُ

ص:165

1- (1) سلمی خضراء الجیوسی، موسوعه الأدب الفلسطینی المعاصر: 32/1-37.

غنّوا على وتر الجمال فلحنه تهفو إليه عواطف ورغائب

وتغزّلوا بنساء موطنكم ففى تلك الديار من السّماء مواهب

كيف التغنّى بالجمال وقيدنا رَكِبتْه من صدأ الزمان مصائب؟

فإذا أردتم أن يكون نشيدنا عذباً عليه من السّلام سواكب

فاسعوا إلى استقلالكم وتَرشّفوا قطر العُلى وإلى الفخار تواثبوا !(1)

يقول إلياس قنصل فى مقدمه ديوانه «السهام» لا حريه للشعر مع عبوديه الوطن وعليه «فإن من تقيدت بلاده ليس حراً وهو بعض منها. من لم يكن حراً فلن تتفتق نفسه عن شعر حر. فسعينا لاستقلال بلادنا سعياً لحريه شعرنا، وأن الأدب من أسلحه الكفاح فى الأمه.(2)

ويثير الشعر السياسى عند نزار قبانى، التزامه فى الموقف، والالتزام فى الموقف يستتبع إدراک قيم إنسانيه واجتماعيه؛ بها يتجاوز المرء موقعه لتغييره إلى ما هو خير.

ولا يتوافر الوعى بهذه القيم إلا إذا اشترک بهذا الوعى مع طبقته أو أمّته؛ أو فئته؛ فيكون ثائراً فى جهوده الإنسانيه المتآزره مع جهود نظرائه. أما إذا انطوى على نفسه، وقصد تحقيق غايته الذاتيه التى لا يشترک فيها مع بنى قيمه أو طبقته، فإنه يكون متمرداً.

وهناک فرق بين الثوره المشروعه والتمرّد الذى هو غير إنسانى، ويتنافى مع القيم الإنسانيه(3) فبعدما فجّرت نكسه حزيران (1967 م) مشاعر نزار قبانى السياسيه قال معلقاً على قصيدته «هوامش على دفتر النكسه»: «لا قيمه لفن لا يحدث ارتجاجاً فى قشره الكره الأرضيه.. ولا قيمه لقصيده لا تشعل الحرائق فى الوجدان العام.. فى المرحله التاريخيه التى نعيشها، لا قيمه لشعر يحترف

ص:166

1- (1) إلياس قنصل، ديوانه «السهام»: ص 48-49.
2- (2) . المصدر: ص 10.
3- (3) محمد غنيمى هلال، الأدب المفارق: ص 407.

التبخير والتستر والتقيه.. لم يبق بعد حزيران للشاعر سوى حصان واحد يمتطيه هو الغضب.. ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب وأين ينتهى؟ صعب علىّ كثيراً أن أرسم حدود غضبى فطالما أن هناك سنتمتراً واحداً من أرضى تحتله إسرائيل، وتذلّه وتقيم عليه مستعمراتها، فإن غضبى بحر لا ساحل له، أنا لا أستطيع أن أتحدث على طريقه عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطامَ لنا صبىّ تخّر له الجبابر ساجدينا

إن الأطفال فى عصر عمرو بن كلثوم كانوا بخير، وكان لهم وطن وقبيله. أما أطفال القدس، وحيفا ويافا، ونابلس، والناصره، فلا زالوا يبحثون عن وطن»،(1) فالتحول - بعد الخامس من حزيران (1967 م) - ليست بمعجزه نزلت على نزار بل ردّ فعل ضميره السياسى الحىّ الذى أمطر العالم بقصائده السياسيه واضعاً يده على داء أمّته بعدما حدّد موقفه من مسائل عصره، وهكذا استمر نزار حتى وافاه الأجل فى عام (1998 م) أليس هو القائل فى قصيده «إفادهٌ فى محكمه الشعر» والتى ألقاها فى المهرجان الشعرى التاسع ببغداد فى نيسان عام (1969 م):

مالنا.. مالنا.. نلومُ حُزَيْرا نَ وفى الإثم كلُّنا شُرَكاءُ

مَنْ هُمُ الأبرياءُ؟؟ نحنُ جميعاً حامِلُو عارِهِ.. ولا استثناءُ

وَحْدَويُّونَ!! والبلادُ شَظَايا كلُّ جزءٍ من لحمها أَجزاءُ

ماركِسِيُّونَ!! والجماهيرُ تَشْقَى فلماذا لا يشبعُ الفقراءُ

قُرَشيُّونَ!! لو رأَتهُمْ قُرَيشٌ لاستجارتْ مِنْ رملها البَيْداءُ

لا يَمينٌ يُجِيرُنا أو يسارٌ تحتَ حدِّ السِّكّين نحنُ سَوَاءُ

لو قرأنا التاريخَ.. ماضاعتِ القُدسُ وضاعتْ من قبلها (الحَمْراءُ)(2)

ص:167

1- (1) نزار قبانى، الأعمال الكامله: 404/3.
2- (2) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 402/3-404.

«ليس الشاعر واعظاً يعظ بالبينه ولا حكيماً يعلّم بالعبر ولا عالماً يخلص إلى المادى والمجرّدات والتعاميم وليس مقلّداً يعرّف ويصف، وإنما هو راءٍ - كما يقول رامبو - يشاهد الحقيقه ويتّصل بها ويحلُّ فيها ويمثلها بالرؤى والرموز والاستعارات والأطياف التى تحدس فى خياله وانفعاله المدهشين.

فالحقيقه الشعريه هى حقيقه انفعاليّه دون شک، ولكنّها لا تصدر عن الانفعال المهووس، الفاقد البصيره، وإنما هو انفعال عاقل، رزين، يستمدُّ من العقل جدّيته ومن العاطفه يقينها وحرارتها وحياتها وحيويتها». (1) وما أبيات نزار قبانى إلاّ توضيحاً لصوره عاشتها أمته وحقيقه عكستها رؤيته، فقد جعلت الشاعر يلمس بحسه وبصيرته وضميره أبعاد الهزيمه وعمقها، فألقى أعباءها على الجميع، فالناس فى الإثم شركاء وكل حسب حاله. ثم بيّن الشاعر التذبذب عند أمته وأنظمتها آنذاک، وزيف الظاهر والشعارات المغريه ويصرّح بأن التشبث بالشرق والغرب لايسمن ولا يغنى من جوع وهذه الاتكاليه هى أحد أسباب الهزيمه والتخلف. ثم يتابع ويذكر السبب لهزيمه حزيران وهو الانفصال عن التاريخ والقيم الإنسانيه والتراث العربى والإسلامى. إذ لو فهمنا التاريخ لما ضاعت القدس ومن قبلها الأندلس. ثم يواصل نزار قصيدته قائلاً فى مقطع ثان:

يا فلسطينُ.. لا تزالينَ عَطشى وعلى النفط نامت الصَحْراءُ

العباءاتُ كلُّها من حريرٍ.. والليالى رخيصةٌ حمراءُ..

يا فلسطينُ.. لا تُنادى عليهمْ قد تساوى الأمواتُ والأحياءُ

قَتَلَ النفطُ مابهم من سجايا ولقد يقتُلُ الثرىَّ الثراءُ (2)

ص:168

1- (1) إيليا الحاوى، نزار قبانى شاعر قضيه والتزام: 6/2.
2- (2) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 405/3.

يرى الشاعر أنه «ليس من وظيفه الشعر أن يتحوَّل إلى ذئب.. ولكن حين يدخل رمح إسرائيل إلي هذا المدى من كبريائنا.. وحين يسافر فى أنسجتنا وأعصابنا، ولا أحد يسأله إلى أين.. يصبح الشعر هجمه انتحاريه.. على الطريقه اليابانيه تدمر الأرض والسماء جميعاً». (1) ومن هذا المنطلق يصب نزار، جام غضب ضميره السياسى ويوجه هجومه الشديد وهجاءه اللاذع إلى أولئک الأحياء الأموات الذين أضاعوا الثروات ولم يستخدموها بالشكل المناسب لتحرير القدس الضائعه، إذ انشغلوا بأنفسهم وأمات النفط ما بهم من سجايا عربيه وإسلاميه أصيله، وهذا الهجوم ليس أوّل وآخر هجوم للشاعر نزار قبانى يعالج من خلاله آلام أمته وجراحاتها فى قصائده السياسيه والوطنيه والتى تضمنها الجزء الثالث من أعماله الكامله مثل: خبز وحشيش وقمر؛ رساله جندى فى السويس - جميله بوحيرد الحب والبترول - هوامش على دفتر النكسه - الممثلون - الاستجواب - فتح - شعراء الأرض المحتله - القدس - منشورات فدائيه - عرس الخيول الفلسطينيه - دعوه اصطياف من حزيران - حوار مع أعرابى أضاع فرسه - الحاكم والعصفور - الخطاب - حوار مع ملک الفول - إلى الجندى العربى المجهول - تعريف غير كلاسيكى للوطن - خطاب إلى شخص شهر حزيران - جمال عبد الناصر - الهرم الرابع - من مفكره عاشق دمشقى - ملاحظات فى زمن الحب والحرب - إفاده فى محكمه الشعر - يا ست الدنيا يا بيروت - أنا ياصديقه متعب بعروبتى - حوار ثورى مع طه حسين - أريد بندقيه - السيمفونيهُ الجنوبيه وغيرها.

وهكذا تدفّق شعر الضمير السياسى، بجمال تعبيره وطلاوه ورشاقه لفظه عند القبانى، فتراه يُغرّد كالبلبل حيناً ويجرح كالسيف حيناً آخر، «قد أخرج المعجم السياسى من غربته وأزال عنه وحشته فألانَ الصله بينه وبين الذوق

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 432/7، (من تعليقاته على «هوامش دفتر النكسه»).

العربی. کأنه بدّل التصور الذی استوطن فی الذهنیّه العربیه والإسلامیه حیال السیاسیه إلی ألفه حمیمه، والذی زاد توفیقه أنه یستخدم قاموس الفعل السیاسی لهجاء السیاسه والسیاسیین»(1) بکلّ جرأه وشجاعه فیضع أصابعه علی الداء وفی حینها یصف الدواء کما نلاحظ فی رسالته لجمال عبد الناصر قائلاً: «أودعتها - هوامش علی دفتر النکسه - خلاصه ألمی وتمزقی، وکشفت فیها عن مناطق الوجع فی جسد أمتی العربیه، لاقتناعی أن ما انتهینا إلیه لا یعالج بالتواری والهروب، وإنما بالمواجهه الکامله لعیوبنا وسیئاتنا. وإذا کانت صرختی حاده وجارحه، وأنا أعترف سلفاً بأنها کذلک، فلأن الصرخه تکون بحجم الطعنه، ولأن النزیف یکون بمساحه الجرح».(2)

ولقد جاءت «القدس» فی معظم قصائد شاعرنا نزار، وهذا إن دل علی شیء فإنما یدل علو منزله القدس ومکانتها وما تحمل من رموز فی قلبه وعقله، موکلاً تحریرها للأجیال القادمه. وهکذا نجد الضمیر السیاسی حیّاً عند الشاعر بدوی الجبل یحرّک القدس ویهتف بتحریرها فعند ما هدد «أحد الملوک فی یوم من الأیّام بأنه سیحتل حوران، فهو یرید أن یکون ملکاً علی سوریه أیضاً.. انفعل البدوی وألقی قصیده من الإذاعه السوریه، یقال أن ذلک الملک قد ضرب الرادیو فحطمه عندما سمع البدوی یقرأ هذین البیتین:

یهدد بالسلاح ویدّعیه وما ملک الجنود ولا السلاحا

بطاح القدس دنّسها مغیر فهل حمیت کتائبه البطاحا؟!(3)

أشار البدوی فی هذین البیتین إلی الفکر البائد الذی یتمتع به بعض قاده الأمّه فیری البدوی أن حالهم حال الإنسان الأحول، فهم بدل أن یهبوا

1- (1) نزار قبانی، شاعر لکل الأجیال: ص 62.
2- (2) نزار قبانی، الأعمال الکامله: 435/7.
3- (3) جریده تشرین: 1، شباط، 2005، العدد (9162)، ص 8.

لاستخلاص القدس من الاحتلال تسوّل لهم أنفسهم بالاعتداء على جيرانهم وإخوتهم ! وفی قصیده «سرحان یشرب القهوه فی الکفاتیریا - السبعینیات» سخر محمود درویش من أولئک الذین حولوا القدس إلی عرش السلطه محاولین خدمه شعوبهم بإظهار الولاء لقضیه القدس، موجها نقده اللاذع أیضاً للذین یتاجرون بها علی المنابر حتی أصبح الحدیث عنها تملّه الآذان ویکتئب منه الإنسان لأنه لم یقترن بالعمل الصادق. قائلاً:

وما القدس والمدن الضائعه

سوی ناقه تمتطیها البداوه

إلی السلطه الجائعه.

وما القدس والمدن الضائعه

سوی منبر للخطابه.

ومستودع للکآبه.

وما القدس إلاّ زجاجه خمر وصندوق تبغ..

.. ولکنها وطنی

من الصعب أن تعزلوا

عصیر الفواکه عن کریات دمی..

ولکنها وطنی.(1)

فالقدس هی الدم الذی یجری فی عروق الشاعر وهی الهواء الذی یستنشق منه، محال عزلها یوماً ما کما أن عزل عصیر الفواکه عن کریات الدم محال، فیرسم صورتین للقدس، صوره لموتی الضمائر والمتاجرین بها، وصوره صادقه لدی أصحاب الضمائر الحیّه الذین آلوا علی أنفسهم رسمها فی قلوبهم. وقریب من هذا المضمون قصیده هارون هاشم رشید (فی الزّمَن

1- (1) محمود درويش، الديوان: 456/1 و 457.

المُهان - السبعينيات) لكن يظهر أنها أشد قسوه إذ هى تؤنّب الضمير السياسى لدى الجميع، حينما يطاف يومياً حول القدس وبمختلف الوسائل، لكنها تبقى مكبله فى السلاسل تئنُّ من وطأه الاحتلال الصهيونى فيقول:

القدس فى هذا الزمان

فى زمن الطرشان.. والعميان

فى زمن المُهان

القدس، صارت منتدى،

وملتقى، ومهرجان..

القدس صارت مطعماً، ومشرباً

وملصقاً على الجدران..

القدس فى كل مكان

فى صف الصباح، والمساء

فى موجز النشره، فى تفصيلها،

فى أول الأنباء

القدس فى العنوان

فى خطبه الجمعه،

فى محادثات القمم الشمّاء

القدس دائماً فى البال،

فى الضمير؛ فى الأذهان

تبقى مكانها،

مکتومه الصدر،

لا تجاوز اللسان.(1)

ص:172

1- (1) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص 24 و 25.

إن اللغه الشعريه عند الشاعر هارون تمتاز بالوضوح وبالحده والشده والعنف أحياناً إلاّ أنه يمتلك ضميراً حياً وواعياً فهو يناضل بأحاسيسه ومشاعره من أجل قضيته، فالقدس لن تغب عن ذهن الشاعر ولا عن ضميره ولو للحظه واحده، ولكنه يرى أن الجماهير بعيده عن التأثير الحقيقى بالأحداث السياسيه، ولذا أصبحت القدس لقلقه لسان فقط. وعلى الرغم مما نلاحظ فى قصيدته من اليأس والتقريع المباشر إلاّ أن القدس عنده مازالت تحرّک الزمان وتؤثر فيه فهى تتصدر كل شىء لتهز الضمائر الخامده ولتدين صمت هذا العالم الذى بات وكأنما تخلّى عن ضميره السياسى والإنسانى، إذ لا يسمع ولا يفقه الصوت الضارع لفلسطين والقدس وهو يصرخ صباحاً ومساءً لنجدته واستغاثته من قيد الاحتلال.

وهكذا نجد نزار قبانى فى قصيده (القدس - أواخر الستينيات) يبكى على أعتاب القدس، المدينه المكبله ويتساءل نزار عن ما سيعيد السنابل والغصون وضحكه الشفاه والعيون..

بكيتُ.. حتى انتهت الدُمُوعْ

صلَّيتُ.. حتى ذابت الشُمُوعْ

ركعتُ.. حتى ملنى الْرُكوعْ

سألتُ عن مُحَمَّد..

فيک، وعن يَسُوعْ

يا قدس. يا مدينه تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

يا قُدْسُ.. يا مدينتى

يا قُدْسُ.. يا حبيبتى

غداً.. غداً.. سيُزْهِرُ الليمونْ

وتفرحُ السنابلُ والغُصُونْ

وتضحک العُيُونْ.(1)

فالشاعر يستنجد بالضمائر الإسلاميه والمسيحيه لنصره القدس وتحريرها من الاحتلال الصهيونى.

جدول أهم قصائد محور «القدس والضمير السياسى العالمى» حسب الترتيب الزمانى

ص:174

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 161/3.

لقد كانت الوحده العربيه فی كثير من الأحيان تعنى «الوحده الإسلاميه» لا غير لكن بعض تصرفات الحكم العثمانی (1917 م - 1516 ه) البعيده عن المنطق والحكمه، جعل حركه الوحده العربيه تتبلور بشكلها القومی العربی ويراد منها الوحده السياسيه للبلاد العربيه والأمه العربيه آنذاک ومن خلالها يستطيع أبناؤها مواصله الطريق وعلی مختلف الأصعده لاسيما طريق النضال والكفاح لحل القضيه الفلسطينيه وتحرير قدسها من دنس العدو الغاصب.

فالوحده العربيه والإسلاميه أمل العرب والمسلمين فی عصرنا الحاضر، إليها تتوق النفوس، وتهفو الأرواح، لاسيما وأن الظروف العامه تدعو العرب والمسلمين إلی التمسک بفكره الوحده والعمل علی تحقيقها بكل ما أُوتوا من قوه وعزم وإيمان.

لقد مضت علی الأمه العربيه والإسلاميه أيام مظلمه حقّاً، لاقَت فيها من صنوف التفرقه ما أضعفها ونكّل بها وجعل بلادها وأرضهم مطمعاً للغزاه الصهاينه. ولكن الأمل يدفعهم إلی الخلاص من هذه الفُرقه بأی ثمن لينتهوا إلی تحقيق الوحده التی تجمع بينهم وتوحدهم وتؤلف بين قلوبهم وتفرض إرادتهم، المشتركه ووجودهم،(1) ولاشک أن هذا قد حصل فی القرون الثلاثه الأولی وذلک أيام الدوله الإسلاميه والعربيه وصدر الإسلام حيث توحدت الرايات تحت رايه الإسلام.

1- (1) نور الدين حاطوم، نحو الوحده العربيه: ص 43.

وتبرز حقيقه الوحده من خلال الكفاح ضد الاحتلال والاستعمار الغربى، فقد أكدت الظروف التى مر بها الوطن العربى والإسلامى بعد الحرب العالميه الثانيه لاسيما فى فلسطين أهميه الوحده وضرورتها فلهذا قد وجدَ شعراء القدس أنفسهم أمام أحداث كبيره أبرزها زرع الكيان الصهيونى فى قلب الأمه واحتلال قدسها، لذا تحول البعض إلى دعاه قوميين منادين بالوحده العربيه، فالتجزئه لم تعد مجرد حدود سياسه تفصل وطناً عن آخر فحسب إنّما صارت جزءاً من مشروع استعمارى هادف لابتلاع الشعوب وثرواتها.

ومن هنا نجد أن الشعراء ركّزوا على هذا الجانب الأهم، حيث يرون بعض أسباب الهزائم التى منيت الأمه بها كان منشؤها تلك المشاريع والخطط الخبيثه التى سببت التمزق والفرقه وقطعت جسد الأمه إلى أشلاء مبعثره وأوطان متناحره أدّت إلى ضياع القدس بكل بساطه.

لاشك أن القضيه حينما تكون على هذا المستوى من الخطوره، كما هو الشأن بالنسبه إلى قضيه القدس، فإن المسؤوليه تكون على عاتق الجميع وعليهم تحملها ولا يجوز لأىّ واحد أن يفرّط بها ويتخلف عن تحمل مسؤوليته منها.

ومن هنا جاءت تساؤلات الشاعر المتتاليه فالأمه قد أعرضت عن الوحده وقبول المسؤوليه وراحت تركض خلف السراب لتزداد عطشاً، حين واجهت سفينتها العواصف المهلكه مما جعل صوت الشاعر يعلو بالنحيب وقلبه يقطّعه الأسى حين يرى شعبه انسحب من تحت أرجله البساط، وتوالت هزائمه ونكساته فنظر بعمق ثم تحسّر قائلاً: ما أكثر العبر وقله المعتبر، فالصهاينه - مع ذلّتهم وتفرّقهم وتشتّتهم - أخذوا بأسباب القدره والقوه وتوحدوا مع الباطل فى كل شؤونهم، وأصحاب الحق يُبكى لهم ! مع وضوح الحق ومسلكه وكثره منارات الهدى فيه.

ص:176

ولذا نرى كيف يستبشر الشاعر حسن البحيرى فى القصيده (أفراح الوحده - 1958) عندما أعلنت الوحده بين «مصر» و «سوريه» فى شباط عام (1958) فراح يعزف ألحان الفرح وهلل له حيث أن أمله وأمل أمته العربيه والإسلاميه قد لاح بالأفق ومن خلاله سوف تعود القدس إلى حضن أهلها قائلاً:

وَطَنٌ حُرٌ روينْا أرضَهُ بدَمٍ يَقْطُرُ منْ كُلِّ جنانِ

ورَفَعْنا فى ذُراهُ رايةً تتهادَى فوقَ هاماتِ العَنَانِ

نحنُ فيه أمَّةٌ واحدةٌ لم تُفَرَّقْ بفؤادٍ أو لِسانِ

وعلى جرحٍ عَميقٍ فى الأسى ليسَ للطّبِّ بدُنياهُ يَدانِ

هاجَ قلبُ المَسْجِدِ الأقصَى هوىً أنطَقَ الجُرحَ بآياتِ البَيَانِ(1)

برزت الحاجه الملحه إلى مفهوم الوحده العربيه وكما سبقت الإشاره إليه - فى بدايه هذا المحور - إثر تفكك البلاد العربيه أثناء الاحتلال الغربى واقتسام الدوله العثمانيه والتى تركت بصماتها آنذاک على نفسيّه المواطن العربى، واشتدت المقاومه للحفاظ على الهويه القوميه العربيه لاسيما بعد زرع الغده السرطانيه - الكيان الصهيونى - فى قلب الأمه والتى أكدت على أن بلوره الوحده هو الرد الحازم والحل الوحيد للقضايا الراهنه لاسيما قضيه القدس، وكان من أبرز نتائج هذه الفكره فى أرض الواقع هو: وحده مصر وسوريه عام (1958 م) حتى أيلول عام (1961 م) وكذلک اتحاد جمهوريات كل من مصر وسوريه وليبيا عام (1981) واتحاد المغرب العربى عام (1989) ومجلس التعاون العربى عام (1989) واتحاد شطرى اليمن عام (1990) ومن هنا صّور البحيرى أن الوحده العربيه ستقضى على كل أشكال التخلف والتمزق والفرقه وتجعل للأمه قلباً ولساناً واحداً تنطلق من خلاله نحو القدس والمسجد

1- (1) حسن البحيرى، لفلسطين أغنى: ص 71-73.

الأقصى لتحقق الآمال والأحلام وتعيد البسمه الضائعه لأمتها وشعبها.

وفى هذا المضمون جاءت قصيده (فى عيد الوحده) للشاعر سليمان العيسى والتى ألقاها فى حلب احتفالاً بمولد الجمهوريه العربيه المتحده فى شباط من عام (1958):

وليالى الضَّياعِ، والقيدِ، زولى نحن باقون وَحْدةً لن تزولا

وحدةً.. تُلْهِمُ الكواكبَ مسرا ها وتمشى فى القفرِ ظلاً ظليلاً

وحدةً.. فى السماء والأرضِ منها لَهَبٌ يغسِلُ الأذى والدخيلا(1)

فالشاعر يعبّر عن إحساسه الصادق تجاه الوحده العربيه فيرى نفسه لابساً ثيابه القشب، راقصاً فى عيد ميلاد الجمهوريه العربيه المتحده، إذ زمان الضياع والتشتت لم يَعُد يذكر! ثم يواصل قصيدته قائلاً فى مقطع ثانٍ منها:

أينَ أهلى على الذُّرى الشمِّ فى لبنانَ؟.. تحلو فى العيد كأسُ التلاقى

أينَ أهلى.. فى القُدْسِ، فوق الضِّفافِ الخُضْرِ، ضَجَّت فى صدرِهم أشواقى

لَكَأَنى أجُّر خلفى حطاماً من عقالٍ فى زَنْدها ووَثَاقِ

العراق الحبيبُ.. طال دُجاه أنا أدْرَى بصاعقاتِ العراقِ

أينَ أهلى.. فالعيدُ فى كل صدرٍ زَغْرداتٌ تضى ءُ فى الآفاق(2)

فنضال الأمه يتوقف على وحده كلمتها وصفها، لأن التمزق موت والوحده حياه، وتحرير القدس لا يتم إلّا عبر الحياه إذ هى التى تحمل فى طياتها التضامن والجهاد، ومن أجلها ضحّى الكثير بأنفسهم وأموالهم للوصول إلى أهدافهم الساميه، فندبَ سليمان العيسى العرب فى لبنان وبغداد وغيرهم معلناً تضامنه معهم يطرب للوحده حين لاحت فى الآفاق والأنفس.

1- (1) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: 433/1.
2- (2) المصدر: 434-435.

وراحت الشاعره هند هارون فی قصیده (من وحی الوحده - 1959 م) ومن هذا المنطلق تصورّ لنا بأن الوحده الکبری ستکون کالمظله والخیمه تضم تحت جناحها أمتها العربیه والإسلامیه وستکون المنطلق لتحریر القدس وعوده أهلها قائله:

الوحده الکبری.. تبارک من یهلل للعروبه.. !!

وتضم تحت جناحها.. أبناء أُمّتنا الحبیبه..

سیعود شعبُ القدس.. جباراً.. إلی الأرض السلیبه

سیعود.. رغم الغاصبین.. إلی مرابعه الخصیبه !!(1)

وهکذا تغنّی شعراء القدس فی عقد الخمسینیات والستینیات مستبشرین بالوحده العربیه متفائلین باستخلاص القدس من براثن الاحتلال، ولکن یا تری هل تحققت آمالهم وأمنیاتهم؟ وبأی نسبه وماهی الأسباب؟ هل الأسباب أنفسهم؟ أم أن الجمیع مشترک فی ذلک؟ ولمَ لم یستمر شعراء القدس بعد الستینیات بالطرب للوحده والتغنّی لها؟ هل خابت آمالهم؟ وهل سیبقی حلم الوحده الذی طال انتظاره غیر قابل للتحقق وغیر قابل للتفسیر؟ أری من المناسب أن نحیل الإجابه لمستقبل القدس وتاریخها المستقبلی إذْ الشعر سکت عن ذلک حیث تتّبعنا مظان شعر القدس فلم نحصل علی شیء ولکن خارج إطار الشعر کتبت عشرات بل مئات الکتب والمقالات وعقدت الندوات والمؤتمرات بما لایقل عن ذلک، لدراسه هذا الموضوع - الوحده - أمثال: نحو الوحده العربیه لصابر فلحوط، والوحده العربیه لعلی بدور، والوحده العربیه لعبد العزیز الدوری والوحده العربیه لناصیف غالب ونحو الوحده العربیه لنور الدین خاطوم و.. ونوقشت المعوقات والتبعات وقدمت الحلول والمقترحات.. ونحن نأمل أن تتوحد الأمه الإسلامیه بما فیها العربیه

1- (1) هند هارون، سارقه المعبد: ص 82.

ومن خلال هذه الوحده يبزغ الفجر حين نرى رايه النصر ترفرف فی ربوع القدس وفلسطين، إذ الوحده الإسلاميه والتی دعا إليها الإمام الخمينی (قدس الله سره) هی الدواء لكل داء.

جدول أهم قصائد محور «القدس والوحده الإسلاميه» حسب الترتيب الزمانی

القدس وقضيه السّلام

إن السّلام من القيم الساميه المتفق عليها عند البشريه جمعاء، لاسيما عند الشعوب الإسلاميه حيث يرددون تحيه السّلام صباحاً ومساءً، وذلک تطبيقاً لتعاليم دينهم ومنهج إسلامهم - السّلام عليكم.. عليكم السّلام - وهل يتصور للدين الحنيف غير هذا؟ بل أكثر من ذلک إذ أمر الله عز وجل المسلمين أن يجنحوا للسلم حتی مع خصمهم، أليس هو القائل وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ(1) وهذا حسب الأسس والقواعد المنطقيه العقليه لدى جميع الأمم والأقوام «إلاّ اليهود الصهاينه يصرون على أن تكون لهم مفاهيمهم الخاصه لجميع القيم بما فيها السّلام، فوراء شعارات السّلام التی يرفعونها يخفون حقيقه نفوسهم الميالة نحو الحرب والعدوان، وهذا طبع متأصل فيهم، وعاده متحكمه فی شخصيتهم، تظهر فی أعمالهم وتصرفاتهم وتعبر عن

1- (1) الأنفال: 61.

مفهومهم للسلام كخيار تكتيكى، على عكس ما هو عند غيرهم». (1)

هاهو القرآن الكريم يخبرنا عن بعض أفعالهم على طول التاريخ ويحذّرنا من مكائدهم المتواليه (أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ)2 وفى آيه أخرى قوله سبحانه: (أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)3 وفى العصر الحديث وتحديداً توقيع معاهده كامب ديفيد فى تاريخ (1978/9/18) التى تعتبر أول معاهده سلام تخص قضيه القدس ومروراً بمعاهده مدريد (1991) وأوسلو (1993) تبلور تاريخ الصهيونيه وأصبح أكثر وضوحاً، ولذا تبددت أوهام السّلام حينما رأى الجميع أن إسرائيل غير راغبه فى السّلام العادل، وما تريده من معزوفه السّلام هو أن لا يكون سلام لأنها تدرک جيداً بأن معنى السّلام هو إخلاء سبيل القدس وإرجاع الحق إلى أهله وهذا خلاف فلسفه وجودها فى قلب الوطن العربى والإسلامى فلسطين؛ حيث إن الكيان الصهيونى فرض على الأمه فرضاً بقوه الاستعمار والخطط المدروسه مسبقاً، ولذا حينما يدور الكلام حول قضيه السّلام ترى الصهاينه لايريدون السّلام بالمعنى الحقيقى له ويضعون دائماً خيار الاستسلام أو الموت للشعب الفلسطينى، ولا شک أن هذا أخطر من الاحتلال على الشعب والأرض والعرض.

ثم «ما قيمه السّلام إذا كان المطلوب منا أن نتنازل عن حقوقنا فى وطننا ليظل شعبنا مطروداً من أرضه وأرض آبائه وأجداده ويعيش مشرّداً بلا وطن يُؤويه وبلد يحميه؟ وما قيمه السّلام إذا كانت إسرائيل تصادر المزيد من

1- (1) محمد على عمر الفراء، السّلام الخادع: ص 349.

الأراضى الفلسطينيه وتقيم عليها مستعمرات جديده أو توسع القائم منها؟». (1)

ونجد الكثير - مع الأسف الشديد - قد صدّق هذه الخدعه - السّلام - بشىء من السذاجه، وآمنوا بأنه من الواجب عليهم فعلاً أن يسلّموا بأن إسرائيل حقيقه واقعه لا يمكن أن تزول، نسجوا من صلب مأساتهم أحلام المستقبل القائم على تحقيق السلام، وراحوا يترقبون ساعه إحلال هذا السلام.. كلّ ظنهم كان أن السّلام سيحلُّ بين ليله وضحاها، (2) ونسوا العزه الإنسانيه والإسلاميه والعربيه وكأنه لم يمر عليهم قول المتنبى حين يقول:

عشْ عزيزاً أوْ مُتْ وأَنْتَ كريمٌ بين طَعْن القَنَا وخفق البنود (3)

بل راح البعض أبعد من هذا حين أخذ يتغنى لإسرائيل وشغفها لشعوب العالم الثالث ونيتها الخالصه لهم !، علّق آمال انتعاش البلاد والأوطان العربيه وازدهارها إلى مابعد السلام !!، إذ سوف يصب ميزان الكيان الصهيونى - عفواً إسرائيل الشقيقه - بالمعونات المختلفه وتتدفق التكنولوجيا الحديثه لبلاده، لتصبح جنه الدنيا وأمنيتها.

ولكن تاريخ السّلام العربى - الإسرائيلى قد أثبت خلاف هذا التصور «فقد كشفت الوثائق أن تاريخ العلاقات الاقتصاديه بين مصر وإسرائيل - أيام الرئيس السادات - هو تاريخ نشر مخدرات ونشر الإيدز، ونشر الفساد الإدارى، وأغذيه فاسده، أو مجرثمه، أو مؤديه إلى العقم أو مهيجه جنسياً، أو مثبطه جنسياً.. وهلم جرّا، وأمّا المكاسب التى حققتها موريتانيا فهى دفن النفايات النوويه الإسرائيليه فى أراضيها». (4) وكما قيل مَنْ جَرَّبَ المُجَرَّبَ

1- (1) محمد على عمر الفراء، السّلام الخادع: ص 355 و 356.
2- (2) عزت السيد أحمد، انهيار أسطوره السلام: ص 8.
3- (3) أبو الطيب المتنبى، الديوان: 45/2.
4- (4) عزت السيد أحمد، انهيار إسطوره السلام: ص 187 و 188.

حَلَّتْ به النَّدامةُ إذن لَم هذه الهروله نحو شرب السم القاتل؟ لم هذا التسابق نحو الفناء المحتّم !؟.

مضت السنون وتصرّمت الأيام على بدء مفاوضات السّلام منذ عام (1978 م) من دون الحصول على أىّ شىءٍ يستحق الذكر !، اللهم إلاّ عدم استخدام لفظ الكيان الصهيونى والعدو الصهيونى عند الحديث عن إسرائيل، واستخدام لفظ حائط المبكى بدلاً من حائط البراق، واستخدام لفظ قتيل بدلاً عن شهيد حينما يسقط الفلسطينى برصاص الاحتلال وهو مضرّج بدمه، واستخدام المستوطنات بدلاً من المستعمرات، والاعتراف بإسرائيل دوله يمكن العيش إلى جانبها لدى البعض !!!

هذا أدمى قلوب شعراء القدس وفجّر قرائحهم شعراً لونه أشد اسوداداً من غياهب الدجى، يسوده الألم والحزن، مما جعل القدس صامده شامخه، ولكنها تئنّ وتصرخ لما تعانيه من وطأه الاحتلال، واستغرابها من آخر الزمان، وفوضى المواقف، كيف اتفق أهل الباطل على باطلهم وتفرّق أهل الحق عن حقهم، بل عن أرضهم، ولا أقول هذا جزافاً ولا مبالغه إلاّ بعدما تتبعت مظان شعر هذا المحور - القدس وأوهام السلام - فلم أعثر على شاعر من شعراء القدس قد تفاءل لقضيه السّلام على الروايه الصهيونيه، ولا بارقه أمل لمستقبل واضح المعالم يسوده العدل والمساواه وهكذا جثم على قضيه القدس عهد جديد وهو مأساه الضياع.

ولهذا المصاب يفجع شاعر القدس ويمزقه الجزع والأسى معبّراً كل التعبير عن ضياع شعبه ووطنه وقدسه، وهذا ما نجده عند الشاعر السورى زكى قنصل وذلک حينما خُدع العرب فى عام (1948 م) بالحديث عن الهدنه والسّلام وكان إنقاذ الكيان الصهيونى بعدما أوشک على الانهيار فى بدايه الحرب، وبالفعل كانت نتيجه خدعه السّلام نكبه الجيوش العربيه وضياع فلسطين والقدس الجديده، يقول قنصل فى قصيدته (خرافه السلام - 1955 م):

لَهْفى على القُدْس انطوت أعلامُه وَكَبَتْ بأشبال النضال خيُولُ

يمشى الأصيلُ ابنُ الأصيل مُطَأطئاً فيه ويَشْمَخُ واغلٌ مَرْذُولُ

الهُدنهُ النكراءُ أصْلُ بلائنا فى عُنق عاقدها الدَّمُ المَطْلولُ

لولا حبائلُها لحطَّم سَيْفُنا وَكْرَ الرذيله وانتهت إسريلُ

لَيْتَ الذين استبشروا بَسرابها زلَّتْ بهم قَدَمٌ وضلَّ دليلُ

مليونُ لاجٍ فى العراء تَشَرَّدُوا لم يَخْتَلجْ لَهوانهم مَسْؤُولُ

يا خائفينَ على السّلام أَلاَ اخجلُوا ودعوا السّلام خُرافهٌ وفُضولُ (1)

سلّط الشاعر الضوء فى هذه الأبيات على خدعه السّلام آنذاک حين روّجها حماه الصهيونيه واستسلم لها البسطاء، وهى لم تكن إلاّ خرافه باطله، إذ كيف الحديث عن السّلام وأكثر من مليون لاجئ فلسطينى تحت العراء يقلّبهم حر الصيف وبرد الشتاء، فالشاعر يرى أسباب الهزيمه هى الهدنه وخدعه السلام.

ومن هنا يمكن الاستنباط أنّه متى أصبح الكيان الغاصب فى مأزقٍ من أمره كثر الحديث حول السلام! ولم تمض فتره طويله على مقوله السّلام أيام النكبه حتى فسَّر قاده السّلام السّلام وذلک فى عدوانهم الثلاثى على مصر عام (1956 م) وعلى رأسهم الكيان الصهيونى، فواصل الشاعر زكى قنصل حديثه عن السّلام فى قصيده (كنانه الله - 1956) كاشفاً القناع عنه، قائلاً:

أينَ السّلام أين الهاتفون له بل أينَ زَمْرٌ وزُمَّار وسُعْدانُ؟

ما فى الكنانه للطُغيان مُرْتَبعٌ إلاَّ إذا احتل عرشَ الحق شيطانُ

تلک الوعودُ التى انقادت لها انفضحت فبان تحت إهاب الشاه سَرْحانُ

أبحْتُمُ القدسَ للشذاذ فاقتسمتْ عارَ الجريمه إصلال وذؤبانُ (2)

1- (1) زكى قنصل، الأعمال الشعريه الكامله: 43/1 و 44.
2- (2) زكى قنصل، الأعمال الشعريه الكامله: ص 55 و 56.

عكست أبيات الشاعر حدّه الرفض، وكشفت الانفعاليه فى قرارات السّلام المتخذه. وهذا الأمر واضح فى قصيده قنصل هذه وهجومه على دعاه السّلام الكاذب حيث تساءل عن السّلام وأصحابه أكثر من مره، وقد اتسمت القصيده بمباشره الصياغه إذ جاءت ألفاظها سهله الفهم تكاد تقرب من لغه الشارع.

الكل يعلم أن القاعده التي تقوم عليها الصهيونيه، هى قاعده العنف، القتل، الإرهاب.. ولهذا فإننا نرى أنه لا يوجد فى القاموس الصهيونى سلامٌ بالمعنى الحقيقى والمفهوم عند أرباب العقول، لذا تجد إسرائيل تعربد فى شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه تاره، وتبكى للسلام مع أقمارها تاره أُخرى، وقد أربكت مواقفها هذه البعض وأرعبت البعض الأخر حيث سقط الكثير قبل الطلقه كما يقول المثل العربى «رغم أن حرب تشرين عام (1973) قد بددت كثيراً من هذه الأوهام، إلاّ أن فكر بعض القاده والزعماء بوعى أو بغير وعى مازال يدق على وتر حتميه التعامل مع إسرائيل على أساس أن التكافؤ العربى معها مستحيل، وأن مقومات استمرار التفوق لصالحها سوف تستمر إلى ما لا نهايه !؟».(1)

ولعله من هذا المنطلق جاءت معاهده كامب ديفيد للسلام عام (1978 م)، التى وقّعها الرئيس المصرى «أنور السادات» ورئيس الوزراء الإسرائيلى «مناحيم بيغن» ولقد كان لها الصدى الكبير على الساحه العربيه والإسلاميه لخرقها الإجماع العربى والإسلامى تجاه العدو الصهيونى، والأثر الأكبر على قضيه القدس بل القضيه الفلسطينيه والشرق الأوسط باعتبارها الحدث الأكبر تأثيراً، وقد عبر شعر القدس عن هذه الأحداث المروعه لأنها الأخطر على الشعب والوطن.

1- (1) موسى عطاء الله، نقاط على حروف السلام: ص 8.

ومن هنا جاءت قصيده الشاعر عبد الله يوركى حلاق «بنت الفرات - 1978 م» ولعلها أول قصائد هذا الصنف التى نقف عندها، إذ يقول:

يا مصر لمّى ما نثرتِ منَ المُنى الوردُ أمسى فى يديک قَتادا

لا تسألى الأعداءَ سلماً أنّهُمْ مكروا وزادوا خسَّةً وعنادا

ذرّوا الأمانى والوعودَ وأخلَفوا فكأنّهم ريح تذرُّ رمادا

أو ما عددتِ، وفيکِ فطنةُ حاذقٍ للقدس کم ذهبَ الرَّسولُ وعادا

يا مصر هل ينسى الشقيقُ شقيقَهُ؟ كلاَّ، ولو طال العتابَ وزادا(1)

فأبيات الشاعر جاءت عتابيه من شقيق إلى شقيقه، يقدّم له النصائح المخلصه ويكشف التمويه المتلبس به عدوه، وما يكنّ له من شراسه وخسّه وعناد وخلف وعد، كأنّ الشاعر يشير للآيه الكريمه كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(2) التى تؤكّد بعض خصال الصهاينه الذاتيه، فالشاعر انتزع هذه الطباع الخطيره وصوّر السّلام الخادع الذى يتصف به. ففى هذه الأبيات من الشفقه والأنين مالا يخفى، ولعلّ هذا النوع من الشعر وما فيه من همس أوقع أثراً من شعر الصخب والصياح حيث يستمد الشاعر يوركى حلاق عاطفته الإنسانيه من إطلالته العميقه على ثقافه أمّته وأصله العربى والإسلامى.

ولذا يرى كثير من شعراء القدس أن معاهده كامب ديفيد للسّلام كانت بمثابه شرب السم للعرب والمسلمين لما فيها من الخطوره والضياع، وفى هذا المضمار جاءت أبيات قصيده الشاعر اللبنانى جمال الدين (بَسْمَةُ اللَّوْز - 1979 م) قائلاً فيها:

لو لاکَ هل «کمب داودٍ»،

1- (1) عبد الله يوركى حلاق، عصير الحرمان: ص 262.
2- (2) البقره: 100.

سوى طَبَقٍ حَاموا عَلَى شَهْده الْمَسموم

واحْتَشدوا..

يَا رَمْلَ سيناءَ

هل تدرى بما اتخذوا من القرارات

أو تدرى بما عقدوا

مَشَوا إلى القُدْس

ساروا فى جَنَازَتهم

والنَّعشُ لو نَظَرُوا مَنْ فيه ما وَفَدوا

فيه الضَّحَايَا عَلَى الكُثْبان نائمَةٌ

فيه الرَّمادُ

وفيه طَيْفُ مَن رَمَدُوا

مَشَوا إلى القُدس؟

لَيْسَ الشَّتْمُ من شيمَى

لَكنْ أَراهُمْ عَلى شَتْم الوفا اجْتَهدوا

شَدُّوا لَدَى الزَّحْف مَطَّاطاً عَلَى رُكَبٍ

وفى الرَّقاب مناديلَ الخَزَا عَقَدُوا.(1)

كامب ديفيد عند نجيب جمال الدين هى أساس المصائب التى التصقت بالوطن العربى والإسلامى بل الإباده الجماعيه للعرب والمسلمين، لهذا تصاعدت نقمه الشاعر على الذين زحفوا لأوهام السّلام - على الروايه الصهيونيه - مسرعين فأضاعوا حيثيتهم وكرامتهم وحيثيه وكرامه الأمه برمّتها، لاسيما أبناء القدس وفلسطين، الأمر الذى دفعه للتأنيب والتقريع

بمطرقه من الفولاذ والحديد، فالصوره التى يقدمها شاعرنا نجيب تحمل الحزن والألم وتظهر وجدانه المعذب،

ص:187

1- (1) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن: ص 143-158.

تبيّن عمق المأساه التى قصمت ظهر كل إنسان حرّ ذى تاريخ عميق، فالتوجّع المكرر فى القصيده نابع من واقع شده الألم حيث يسارع الإنسان لقتل نفسه ويشيّعها للدفن وهو يظنُّ أنه يُحسن صنعاً، نعم هكذا ضاعت القدس !!

لم تكن أوّل قصيده تشاءم فيها الشاعر نجيب لقضيه السّلام وكشف الأقنعه عن وجوه الصهاينه المختبئه خلف سور السّلام - هذا اللفظ المحبب لدى الجميع - ففى قصيده (الرَّحلَتَان - أواخر السبعينيات) يواصل الحديث عن تداعيات معاهده كامب ديفيد قائلاً:

فَدَارَةُ السلم.. أدرى

سُوْرُهَا لَهَبٌ كَجَنَّهِ الله

إنْ تُعْبَرْ.. فَباللَّهَب

من يُبْغِضُ السّلْمَ؟

لَكنْ.. وَيْحَ طالبه

إنْ راحَ يَحْملُ مَعْنى ذِلّهِ الطَّلّب

فإن تَكُنْ..

رحْلَهٌ للْقُدْس قَدْ جلَبَتْ خزْياً عَلَى القَدْم

يبقى آخرَ الحقْب.(1)

لقد حمل الشاعر «نجيب» جراحات القدس العميقه فى قلبه وفى وجدانه، فعندما يقول المخرج السويدى «بياهو المكست»: «الفلسطينيون لهم حقوق، ككل حقوق الشعوب، وإذا لم تنجز هذه الحقوق، أعتقد أنه لن يكون هناك نوع من السّلام لأن من المضحك القبول بتوزيعهم فى (21) دوله عربيه كأنك تقول للسويديين: «اذهبوا وعيشوا فى ألمانيا»(2) فكيف بابن الوطن لا يصرخ

1- (1) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص 95 و 96.
2- (2) منيه سماره، فلسطين فى ذاكره العالم: ص 78.

وهو الذى يرى ضياع أرضه بما فيها القدس الشريف، فالشاعر استلهم التشبيه من الآيه الكريمه (... فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ)1 فالوطن جنّه وخلف سور السّلام الذى يؤدّى إلى فقدان الجنه التى هى الأرض والوطن، لهم جهنّم ونارها، وخزى الدنيا عارها، اللهم إلاّ أن يحقق السّلام العدلَ والسّلام المشروع إذ ليس هناک من يبغض السّلام بهذا المعنى. ولقد استمرت إدانه ومهاجمه السّلام عند شعراء القدس، بعد معاهدات مدريد عام (1991 م) أوسلو عام (1993 م) ووادى - عربه عام (1994 م) وطابا عام (1995 م) و «وادى بلانيتش» عام (1998 م) وشرم الشيخ عام (1998 م) ومن هنا جاءت قصيده الشاعر «هارون هاشم رشيد» (هذا سلامهم - 1994).

وَطَنٌ تكونُ القدسُ عاصمةً لَه يَعْلو به صوتُ الأذان ويَصْعَدُ

«الله أكبر»، لا سواها رفْدُنا فى ظلّها، ولأجلها نَتَوَحَّدُ

هى للسَّلام الحَق، للْعَدْل الَّذى مافيه مُحْتَمل، ولا مُسْتَعْبدُ

عَرَبيَّةٌ، قَرَشيَّةٌ، مُضَريَّةٌ أعلامُها، تعلو السَّماء، وَتَخْلُدُ(1)

فالشاعر يرفض معاهدات السّلام ما لم تعيد الأرض والحريه لأهلها وتكون القدس هى العاصمه العربيه الإسلاميه ورايه فلسطين فوقها خفّاقه.

وفى هذا المضمون - بل أكثر بسطاً - قصيده الشاعر «على عقله عرسان» (أورسالم - 1996 م)(2) الذى عالج فيه قضيه السّلام بشكل مبسّط فأسهب الحديث حوله. وهلم جرّا، مادام السّلام العادل بعيداً عن القدس، فشعر الرفض مستمر لتبقى القدس رمزاً لحياه أهلها حتى يتحقق السّلام العادل فى مدينه السّلام.

1- (2) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه: ص 144.
2- (3) على عقله عرسان، الأعمال الشعريه: ص 299.

جدول أهم قصائد محور «القدس وقضيه السلام» حسب الترتيب الزمانى

القدس والانتفاضه المقدسه

إنّ معاناه الشعب الفلسطينى المضطهد منذ نكبته بقيام الدوله الصهيونيه ومنذ وعد بلفور عام (1917 م) الذى أعطى مالا يملك مَنْ لا يستحق، فتكأكأ شذاذ العالم - المسمّون أنفسهم باليهود - لتشييد دويلتهم على أنقاض أرض العرب والإسلام فلسطين الجريحه، فكانوا جرثومه سرطانيه بكل معنى الكلمه، ولم يحسن العالم الإسلامى والعربى معالجتها فى الوقت المناسب، فاستمرت الأمه تتخبط فى حروب يُرثى لها حيناً، وتشرذم عَبْر صراعات حيناً آخر، وهكذا حتى سقوطها فى فخ ما يسمى بعمليه السّلام فى الشرق الأوسط!

وأما الشعب الفلسطينى المنكوب فقد غسل يديه إلى أعلى من المرفق كما يقول المثل الإيرانى، ولم يعد أمامه أىّ سبيل لرفع المعاناه وبعد إخفاق اتفاقيات السّلام سوى الانتفاضات الشعبيه والمقاومه الإسلاميه والوطنيه،

ص:190

«فنهض الشعب الفلسطينى وبادر من جديد ومن فوق تراب وطنه المحتل، بانتفاضه ثوريه جديده، مستوعباً لكل دروس التجارب النضاليه السابقه وعِبَرها، عربياً وفلسطينياً، ومدركاً كل ما أفرزته تجارب الصراع ضد إسرائيل من وقائع، وما كشفته من حقائق.

لقد تمكنت الانتفاضه، منذ بداياتها عام (1987 م) بما حددته من أهداف واضحه، وبما أبدعته من أساليب نضاليه لتحقيق هذه الأهداف، من تأكيد قدرتها على الاستمرار والنمو كحقيقه ثوريه ميدانيه تستطيع فرض واقع جديد على سيره الصراع»(1) جاءت الانتفاضه على شكل فيضان من الفداء والتضحيه والاستبسال. فكان لها وقعها المدوّى فى كل مكان، وصورتها المشرقه المتميزه فى لوحه الغليان الشعبى المسلح بالصدور والزنود، والحجاره،(2) وأدرک الشعب الفلسطينى أنه ليس وحده فى مواجهه الاحتلال والصهيونيه ولذا هتف فى مسيرته الثوريه للتضامن الإسلامى والعربى: خيبر خيبر يايهود/ جيش محمد سوف يعود.

فى ظل هذه الظروف برز شعر القدس بشكل أقوى وأصلب من السابق ليؤدى دوره فى انتفاضه القدس، لقد ساهم الشاعر بل الأديب بالمعنى الأعم فى معركه الانتفاضه، ومن منطق الإحساس بالمسؤوليه إذ هو أقرب من غيره لضمير الشعب والأمه، فرصد أحداثها اليوميه من جانب، وأعطاها حيويه رامقه من جانب آخر.

لقد هبّ شعراء القدس - فى سوريه ولبنان وفلسطين - ولما عانوا من وطأه الاحتلال يضمّنون قصائدهم روح الجهاد، والمقاومه، والتحدى، وبعباره أشمل: روح الانتفاضه، فتغنّوا بها وبأهدافها وبوسائلها، شابحه أعينهم نحو

1- (1) الموسوعه الفلسطينيه: 977/6.
2- (2) طلعت سقيرق، الانتفاضه فى شعر الوطن المحتل: ص 21.

القدس، فالشاعر هارون هاشم رشيد يصور أبطال الحجاره فى قصيده (ثوره الحجاره - 1988 م) فيقول:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُکَ أيُّها الحَجَرُ فَقَدْ تَخَلَّت جُمُوعٌ أَحْجَمَتْ زُمرُ

عشْرونَ عاماً.. وإنّى فى انتظارهُموُ تجذرا فى ترابى يَشْمَخُ العُمرُ

والقدسُ صاخبهٌ، تعلو بصرختِها اللهُ أكبرُ: فيها هاتفاً عُمَرُ

وفى القيامه، و الأقصى.. مواكبنا لما تزلْ، بنداءِ الحقِّ تأتِمرُ

أسطورهُ المجدِ أطفالُ الحجاره فى هذا الزمان الذى يهوى وَيَنْکَسِرُ

أسطورهُ المجد، ما جَادَ الزمانُ بما جادت بِهِ طفلهٌ فى كفِّها حجرُ

وإنَّه النصرُ آتٍ تلک قولتنا فالليل، لابدّ هذا الليلُ ينحسِرُ

قد قالها، الشاعرُ الشّابى من زمن لابد.. لابد أن القيدَ ينكسرُ(1)

فيرى الشاعر هارون والذى سمّى أحد دواوينه الشعريه باسم «ثوره الحجاره» أنّ أبواب تحرير القدس مغلقه إلاّ باب الانتفاضه، فإنه مفتوح على مصراعيه، فبعد أن لم ير جدوىً لحلّ قضيته على يد أنظمه أمته الإسلاميه والعربيه، يبتهج لانتفاضه شعبه وأبطالها، لاسيما أطفال الحجاره الصغار سنّاً، الكبار فكراً ونضالاً. فصوّر الشاعر «ملامح الطفل الفلسطينى بأنها معجزه، حين انبثقت بشكل مثير ومدهش لتكون صوره الصور بدون منازع. فمن الطبيعى أن تحتل الانتفاضه مكانه خاصه فى وجدان شعراء أبناء تراب فلسطين، إذ الظلم الذى تجرعه الشعب الفلسطينى جعل شاعر القدس يتغنى لحجر يقذفه أبابيل القدس ليحرق قيود الاحتلال، ويحطّم أبّهه الجيش الذى لا يقهر، فيتركه كعصف مأكول، فيصوِّر الشاعر الانتفاضه التى اتخذت من العقيده والقرآن منهجاً لها، إعصاراً عصف بالصهيونيه وجذورها فهو ماض إلى أن

1- (1) هارون هاشم رشيد، ثوره الحجاره: ص 4-10.

يجرف العدو المحتل ويعيد الأرض وقدسها إلي أهلها، وذلک لما فی الحجر من رموز ودروس للمقاومه والنّضال، فالجرح أخذ يلتئم وهذا مما يزغرد له. ففی مثل هذه الظروف المبتهجه للحياه والحريه والتحدی، تفجّر شعر القدس ليقذف الکلمه لتکون من سجّيل ويضمها إلی جانب الحجاره ممجّداً فتيانها الغاضبين علی الاحتلال الصهيونی. هذا ما نشاهده فی قصيده هارون هاشم رشيد (ورده علی جبين القدس - 1988 م) قائلاً فی بعض أبياتها:

وَقَفَ الفَتی، والقدسُ ملء عيونِهِ تبدو القبابُ مشوقةً والمسجدُ

«الله أکبرُ» ثمَ أتبعها الفتی بالانتقامِ مزلزلاً يتوعدُ

سَلِمتْ يدٌ عرفت طريقَ مَسَارها وتحکّمتْ فيهِ فَلانَ المِقْوَدُ

مِنْ حَالِقٍ، ألقی بهمِ لحَضيْضِهِمْ للموتِ يطوی جمعهمْ، ويُبَدّدُ

حجرٌ إلی حجرٍ، وتمضی ثورهٌ شعواء عارِمَةً تَضِجُّ وتُرعِدُ

الانتفاضَه منذُ شبَّ لهيبُها هيهات تهدأ نارُها أو تُخمدُ

هو فعلهم يرتدُّ مشئوماً لهم، وبِمثلِ ما کالوا تَکيلُ ونوردُ(1)

فالشاعر (هارون هاشم) معجب کل الإعجاب وفی الوقت نفسه متفائل لثوره هؤلاء الفتيان، فالانتفاضه عنده ما هی إلاّ ردّه فعل علی الظلم الذی حل بالشعب الفلسطينی علی يد الصهيونيه الحاقده، فهی الآله التی تستطيع أن تطوی بساط الاحتلال إذ «أن التوحدّ مع الأرض عشقاً وعطاءً وشعوراً، أعطی الانتفاضه کل هذه القدره علی التحدی والمواجهه والوقوف فی وجه الاحتلال.

فالانتفاضه هی کل هذا المخزون الهائل من الإمدادات اللانهائيه فی الأرض والطبيعه وجغرافيه المکان، فی کل جريان الدم والشهاده والخصب.

1- (1) هارون هاشم رشيد، ديوانه (ورده علی جبين القدس): ص 38-42.

الانتفاضه كانت كلّ هذا وسواه فى نهوضها شموخاً قوه وتصميماً وإراده». (1)

يشتدُّ إعجاب الشاعر هارون هاشم رشيد وتفاؤله بالمستقبل بعد الثمار التى جنتها الانتفاضه فاندفع ليرسم صوره تعبر عن شدّه حبّه ومشاركته لمستقبل لاح بالأفق فجره، ففى قصيدته التى حملت اسم (قصيده الانتفاضه - 1988 م) يقول فى أبيات منها:

الانتفاضهُ، إعصارٌ، وعاصفهٌ وَهبّهٌ، أشعلتْ فى أرضِنَا اللَّهَبا

أتتْ، إلى الغَاصِبِ المُحتلِ توقظُهُ على هديرٍ، على أبوابِه اصْطَخَبَا

الانتفاضهُ، زلزالٌ، وملحمهٌ وثورهٌ تتحدى، الجيشَ، والغُرَبا

أتت كما الفجر، من أعماق داجيهٍ سوداءَ، تبتكرُ التَّصميمَ، والغضبا

يمتدُّ من غزهَ الشَّماء لاهبُها للقدس مُنْدفِعاً، ومُنْسربَا

وتعتلى فى جبال النَّارِ شُعْلتُها تعيدُ فيها زماناً رائعا حصِبا

لنا.. لنا الأرضُ، آمالٌ مقدّسهٌ على ثَراها نثرنَا الجُرحَ منسكَبا(2)

إن الفرح الذى يظهر فى قصائد شاعرنا «هارون» جاء نتيجه واقع فلسطين ورمز انتفاضتها القدس الشريف ليفرض هذا اللوّن من الشعر النضالى على الشاعر، فهو يستمد القوه من آماله ويقينه بالنصر العاجل، إذ الأرض المحتله انتفضت، فأصبحت لظى جهنّم يُلهب العدو المحتل، وتبثّ البهجه فى النفوس، وتُبدد سحب اليأس لتشرق شمس الضحى وينطوى ليل الدجى. فالمشاعر التى يحملها إلينا الشاعر تحمل روح الوطنيّه الخالصه وحبّ فلسطين والقدس. فالصوره التى يقدمها لنا «هارون» هى صوره تحمل عنوان الشموخ والثوره والإصرار وتحدى العدو رغم عمق الجراح، وتقديم

1- (1) طلعت سقيرق، الانتفاضه فى شعر الوطن المحتل: ص 29.
2- (2) هارون هاشم رشيد، ديوانه، ورده على جبين القدس: ص 119-120.

الشهداء، لأن حضن الموت الدافئ يحمل دلالات وأحاسيس تشعر باستمرار النهوض، ومن هنا نجد الشاعر نجيب جمال الدين فى قصيدته (غابوا مع الشمس - الثمانينيات) ينشد قائلاً:

غابوا مع الشمس..

ظَنَّ الوردُ قد ناموا

تنفّضَ الوردُ

منْ أوراقه قاموا. ليلُ الحسين:

على أجفانهم مزَقٌ

صبحُ المسيح

مساميرٌ وأورامُ

سُقراط موجُ دماءٍ

فى بحورهُم

ياالَلربانيين !

غطّاسٌ وعوَّامُ ويُرشفونَ لُهى الأحجار

من دَمهم

فاسلمْ دَوىُّ

لهى الأحجار أَلغامُ غابَ الجميعُ

سوى آثار صاعقَهٍ

تقولُ:

مرَّرتْ لهُمْ فى القُدس: غيفارا.. فيتنام.(1)

للشمس خصوصيه حصريه، وهى تغيب عن الأنظار ثم تعود ليبزغ الفجر مع شروقها، فالورد الذى يكتسب حياته منها، ولاسيما عبّاد الشمس دائماً

ص:195

1- (1) نجيب جمال الدين، الكتابه على أعمده الشمس: ص 125-136.

يخشى غروبها، لكن سرعان ما يبتهج عندما يرى الظلام يلملم أكنافه، فالشاعر نجيب يقدم لنا نفس الصوره لشهداء الحريه والمظلوميه والانتفاضه الفلسطينيه، فإنهم قد تختفى معالمهم، ولكن لم ولن يموتوا، فهاهو الحسين بن على عليه السلام وهاهُوَ المسيح بن مريم عليه السلام، هاهُوَ سقراط الحكيم، كلما مرَّت الأيام اشتدت مصابيحهم نوراً وازداد سبيلهم وضوحاً، وهكذا شهداء ثوره الحجر فنار انتفاضتهم قد تكون تحت الرماد لكنها سرعان ما يعلو لهيبها حتى تعود القدس إلى أهلها.

حينما هبَّت الانتفاضه الثانيه فى صباح يوم الخميس (2000/9/28 م) التى كانت شرارتها زياره شارون للمسجد الأقصى وعندما التهبت فلسطين وعلى رأسها القدس فى اليوم الثانى، الجمعه (2000/9/29 م) حفل الزمان بالآمال والتفاؤل وإلى يومنا هذا فانعكس فى شعر القدس لتبقى وما أكثر القصائد التى تكتنز هذا المضمون إذ عرض أكثر من شاعر لموضوع الانتفاضه، والحجر والحجاره..، فأُلّفت دواوين وأُنشدت مئات القصائد وكُتبت عشرات الكتب، وهذا أكبر دليل على التفاؤل بتحرير القدس عبر انتفاضه أشبالها، إن لم يثمر السلام.

ويمكننا فى نهايه بحثنا ودراستنا فى هذا الفصل أن نشير إلى بعض النتائج التى توصلنا إليها ومنها:

أولا : استمد شعر القدس السياسى فى الفتره الزمنيه ما بين عام (1948-2000 م) مادّته الشعريه، من أبرز الأحداث السياسيه والوطنيه والعسكريه، ومن مستجدات الظروف والانتفاضات العارمه فى القدس وفلسطين، فكانت القصائد التى تناولت القدس - فى الفقره الآنفه الذكر - تشبه قصائد الفصل الأول لاسيما المحور الأول والثانى والثالث منه إذ أنها نجحت فى تحريک الحدث فى القصيده وتحريک المكان الذى لم يظهر ساكناً أو جامداً من خلال تناولها

مدينه القدس وقضيه القدس كرمز بارز للوطن المحتل فلسطين العزيزه.

ثانياً: صوره الالتزام تبرز واضحه المعالم فى كل هذه المحاور لاسيما المحور الأخير - القدس وانتفاضه التحرير - إذ ظل قلب الشاعر معلّقاً بالقدس وفلسطين، فهو يرى فى الانتفاضه سبيلا من سُبُل التحرير والوصول إلى الحرّيه الضائعه.

ثالثاً: بادر شعراء القدس بالتحريض على الوحده العربيه، مؤكّدين على تحرير القدس من خلالها، قاذفين أعباء اللّوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان ذلک السبب الرئيس فى ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جلّ شعراء القدس - فى محور البحث - دعاه السّلام مؤكّدين أن تحرير القدس والأرض المحتله لا يكون إلاّ عبر نيران السلاح وسواعد الرجال حيث أصبح - حسب معتقدهم - السّلام أوهاماً ليس إلاّ، وذلک نتيجه إصرار العدو على الاحتلال، وتعنّته فى العمليه السلميه لأكثر من مرّه، والمفهوم من نصوص شعرهم أنهم ليسوا ضد السّلام العادل الذى يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأبى الله ورسوله والمؤمنون.. والأحرار ذلک.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمّساً وأكثرهم قصائد فى هذا الفصل - الدواعى والاتجاهات السياسيه - هو نزار قبانى، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسه حزيران (1967 م) لقضيه القدس، ثم يأتى بعده فى المرتبه الثانيه هارون هاشم رشيد.

سادساً: منذ أن بدء محمود درويش ونزار قبانى مسيرتهما فى الشعر السياسى، «أفسحت الحياه السياسيه الفلسطينيه المليئه بالأحداث، المجال للشعر السياسى الفلسطينى - بما فيه شعر القدس السياسى - لكى ينوّع بعض الشىء فى هذا الموضوع».(1) نرى شعراء القدس تفاعلوا مع الحدث وتواصلوا

1- (1) سلمى خضراء الجيوسى، الأدب الفلسطينى المعاصر: ص 86.

معه فرصدوا شعره السیاسی علی الصعید الوطنی والإقلیمی، والعالمی، إذ نراه تأثّر بشکل واضح بالثوره الإسلامیه فی إیران والهزیمه الصهیونیه فی جنوب لبنان، ونلمس هذا فی محور «القدس وانتفاضه التحریر» حیث أعطی القدس حیویّه وصموداً وتحرکاً أکثر من السابق.

سابعاً: ترتیب قصائد القدس فی هذا الفصل من ناحیه الکم هی کالتالی: 1. محور القدس والضمیر السیاسی - أربع عشره قصیده 2. محور القدس والسّلام - خمس عشره قصیده 3. محور القدس وانتفاضه التحریر - ثمان قصائد 4. محور القدس والوحده العربیه - ست قصائد.

جدول أهم قصائد محور «القدس والانتفاضه المقدسه» حسب الترتیب الزمانی

الباب الثانی: صوره القدس الجمالیه

اشاره

ص:199

1. الصوره الشعريه فی شعر القدس

وقفه مع الصوره

1. مفهوم الصوره الشعريه

الصوره بما تحمل من مواد متنوّعه ما هی إلا انعكاس لما يتأثر به الشاعر نتيجه ما يدور حوله من أمور بيئيه واجتماعيه وأدبيه وسياسيه وأحداث يوميه وغيرها، ثم تمتزج مع ذاته الشاعره وتختلج مع وجدانه وأحاسيسه لتكون الثمره إبراز مجموع هذه أو بعضها صوراً شعريه، فالصوره الشعريه هی مرآه لتلک التجارب التاريخيه والاجتماعيه والخياليّه والأسطوريه لأهداف مقصوده ومتنوعه.

ولمّا كان للصوره الدور الكبير فی إبراز المعنی وترسيخه فی الأذهان عمد إلی استخدامها الشعراء الذين خدموا قضيه القدس فی شعرهم، إذ وظّفوا هذه الأداه فی إيصال ما يجول فی مشاعرهم حول القدس السليبه، ومن المعلوم أنّ أی أداه لكی تؤدّی وظيفتها علی الوجه الأكمل والأتم لا بد أن تتوافر فيها مواصفات الجوده بأرقی درجاتها، وهذا لا شک فيه، لكن السؤال كيف استعان الشاعر بهذه الأداه لإحياء القدس، فهل أن الشعراء أجادوا فی اختيار الصور التی تبيّن ما حلّ بالقدس؟ وهل للقدس صوره جليه وخاصه فی شعر محور

ص:201

البحث؟ هذا ما تحاول دراسه هذا الفصل التوقف عنده بعض الشیء.

الکل یعلم بأنه «لیست الصوره شیئاً جدیداً فإن الشعر قائم علی الصوره منذ أن وجد وحتی الیوم، ولکن استخدام الصوره یختلف بین شاعر وآخر، کما أن الشعر الحدیث یختلف عن الشعر القدیم فی طریقه استخدامه للصور.(1)

وهنا لا بد من التنویه إلی معنی الصوره لغه واصطلاحاً وتحدید مناطقها فی البحث وذلک لتسهیل الموضوع.

أمّا لغه فقالوا فیها:

الصوره تعنی: الشکل، حقیقه الشیء وهیئته وصفته.(2)

الصوره هی: الهیئه والشکل المحسوس.(3)

الصوره هی: الجسم.(4)

الصوره هی: التمثال.(5)

الصوره هی: الشبح والمثال الشبیه بالتخیل فی المرآه وما تمیز به الشیء مطلقاً سواء کان فی الخارج أو فی الذهن.(6)

الصوره هی: الوصف: صوّر الأمر، أی: وصفه وصفاً دقیقاً یکشف عن جزئیّاته.(7)

وفی القرآن الکریم جاءت الصوره بمعنی التجسیم یقول سبحانه (هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ)8 وکذلک

1- (1) إحسان عباس، فن الشعر: ص 23.
2- (2) لسان العرب، ماده «صَوَر».
3- (3) مقاییس اللغه، ماده «صَوَر».
4- (4) تهذیب اللغه، ماده «صَوَر».
5- (5) الصحاح، ماده «صَوَر».

6- (6) محيط المحيط، ماده «صَوَر».
7- (7) المحيط، ماده «صَوَر».

قوله تعالى (فِى أَىِّ صُورَهٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ)1 وبما أن اللغه هى إحدى طرق تفاهم البشر فهى أيضاً وسيله الشاعر الكبرى لتجسيم أفكاره وعواطفه وإبرازها بصياغته الخاصه ولغته الشعريه.

أمّا فى المصطلحات الأدبيه:

يظهر ومن خلال تتبع الموضوع أنّه لا يوجد تعريف شامل للصوره الشعريه، حيث «وسع مفهوم الصوره إلى حد أصبح يشمل كل الأدوات التعبيريه... فالصوره فى الشعر هى الشكل الفنى الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر فى سياق بيانى خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربه الشعريه الكامله فى القصيده، مستخدماً طاقات اللغه وإمكاناتها فى الدلاله والتراكيب والإيقاع والحقيقه والمجاز والترادف والتضاد والمقابله والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنى».(1)

إذن فالصوره لا تقف عند حدٍّ تختص فى إبرازه «حتى قيل إن الصوره الشعريه أصبحت تحمل لكل إنسان معنى مختلفاً كأنها تعنى كل شىء»(2) وإن دلَّ هذا على شىء فإنّما يدل على القيمه التعبيريه الخصبه للصوره التى أجاد الشاعر فى انتقائها وتوظيفها.

2. الصوره الشعريه فى النقد الحديث

كانت الصوره الشعريه دوماً موضوعاً مخصوصاً بالمدح والثناء، وما زالت محل اهتمام الأدباء والشعراء، إنها وحدها التى حظيت بمنزله أسمى من أن تتطلع وتصل إلى مكانتها الشامخه باقى الأدوات التعبيريه الأخرى، والعجب أن يكون هذا موضع اتفاق بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات

1- (2) عبد القادر القط، الاتجاه الوجدانى فى الشعر الأدبى المعاصر: ص 435.

2- (3) ريتا عوض، بنيه الشعر الجاهلى والصوره الشعريه لدى امرئ القيس: ص 31.

مختلفه،(1) ولهذا أمكن القول بأن الصوره كيان أطول من التاريخ، فإنّ زخم الدراسات الهائل والكتب النقديه التى ركّزت على الصوره بالذات واتخذتها عنواناً لها، لخير دليل على مكانتها الجماليه والفنيه، وذلك لأن أهميتها تكمن فى تقديم الفكره والرؤى والمعنى العميق من خلال الرمز والإيحاء بطريق غير مباشر بهدف التأثير الأعمق، ويؤكد هذا ما أشار إليه الناقد «أبو أصبع» إذ يقول: تكمن أهميه الصوره فى بُعدها عن الأداء المباشر، وتقديمها الفكره من خلال إيحاء وتركيز بهدف التأثير.(2) وتكون أشبه شىء بالكنايه أو الاستعاره أو التشبيه، فهى إضافه إلى بعدها الجمالى والفنى تربط المعنى وتركّزه بصوره ظريفه فى ذهن المتلقى، وأمّا سى دى لويس فهو يرى استعمال الصوره لا يتجاوز الخمسين سنه لكنّها حسب رأيه هى لب القصيده إذ يقول: «إن كلمه - الصوره - قد تم استخدامها خلال الخمسين سنه الماضيه أو نحو ذلك كقوه غامضه... ومع ذلك فإن الصوره ثابته فى كل القصائد، وكل قصيده هى بحد ذاتها صوره، فالاتجاهات تأتى وتذهب، والأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهرى يمكن أن يتغير بدون إدراك ولكنّ المجاز باق، كمبدأ للحياه فى القصيده وكمقياس رئيس لمجد الشاعر.(3) فالصوره عنده اللبنه الأساسيه فى القصيده وركيزه الشاعر فى شعره. ويرى ساسين عساف «أن الصوره قوه إدراك وقوه بناء. إدراك الحقائق، وبناء العالم الشعرى. والشاعر يدرك إمّا بالمحاكاه وإمّا بالرؤيا، وتتم عمليه البناء بتوضيح هذه الرؤيا وتجسيدها بالصوره»(4) الشعريه بطريقه من شأنها أن تثير إحساس الآخرين وتؤثر فيه إذا استطاعت أن تسترجع شيئاً غاب أثره المباشر

1- (1) الولى محمد، الصوره الشعريه فى الخطاب البلاغى والنقدى: ص 7.
2- (2) صالح أبو أصبع، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله: ص 32.
3- (3) سيسل دى لويس، الصوره الشعريه، ترجمه أحمد نصيف الجنابى وآخرون، ص 20.
4- (4) ساسين عساف، الصوره الشعريه ونماذج ابداع ابى نواس: ص 21.

عن الإنسان فهو لم يعد يدركه أو حتى يتخيله لولا الصوره. بينما يرى الدكتور مصطفى ناصف أن الصوره «تعبير عن نفسيه الشاعر... وهى تعينه على معنى أعمق من المعنى الظاهرى للقصيده». (1) وهكذا اضطربت المصطلحات والروى النقديه بالنسبه للصوره الشعريه وأهميتها ودورها فى الشعر «حتى غدت الصوره الشعريه محوراً خطير الأهميه فى الدراسات الأدبيه الحديثه، والحق أن تباين التعريفات أمر عادى فى حقول الدراسات الإنسانيه، والناقد الأدبى يتبيّن له بالممارسه أن الاتجاهات الشعريه لا يمكن إخضاعها لنظريه واحده ومحدّده ولا يمكن لنظريه كهذه أن توجد». (2)

فالصوره فى النقد الحديث اتسع معناها وشمل كل ما يؤثر فى أحاسيسنا وعواطفنا ولم يقتصر على ما تراه العين وتلمسه اليد كما كان قديماً، فالأسلوب الشعرى الحديث يستخدم أشكالاً من التعبير المتخيّل، لتوصيل الأفكار والعواطف، وذلک من خلال طريق التصوير، لا التعبير المباشر، فهى بناءً على هذا: «تركيب لغوى لتصوير معنى عقلى وعاطفى متخيّل لعلاقه بين شيئين يمكن تصويره بأساليب عده، إمّا عن طريق المشابهه أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل». (3) وعندى هى صياغه ما يرتسم فى نفسيه الشاعر من رؤى وأفكار وأحاسيس وعواطف، انفعالاً بشىء أو عمل ما، وذلک بواسطه ألفاظ وعبارات وتراكيب ورموز ومجازات واقعيه أو خياليه يراد من خلالها تعميق وترسيخ معنى معيّن.

على كلّ حال فإن كتب النقد والدراسات المتنوعه وبنظرياتها المختلفه تدور رحاها جميعاً حول دور الصوره صياغه وأثراً وأسلوباً.

1- (1) الصوره الأدبيه: ص 217.
2- (2) ريتا عوض، بنيه الشعر الجاهلى والصوره الشعريه لدى امرئ القيس: ص 39.
3- (3) صالح أبو أصبع، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله: ص 31.

1. المؤثرات القرآنیه

من المؤثرات المهمه فی صیاغه صور شعر القدس القرآن الکریم الذی وظّف الصوره توظیفاً مدهشاً أذعن له وأقرّ به نقّاد الأدب المنصفون. لقد تأثر شاعر القدس بالصوره القرآنیه فاتخذها مصدراً لرسم صوره القدس فی مختلف شعره، وذلک بحکم نشأه الشاعر الإسلامیه واتخاذه المنهج الدینی المعتدل أساساً لمختلف شؤون حیاته، إذ لابدّ للشاعر من وجود عوامل تربویه وثقافیه قد کوّنت شخصیته وفکره، وأسهمت فی رسم صوره الفنیه، وحینما یضم تلک المضامین الإلهیه بما تحمله من جمال ومعانٍ یصوغها من عواطفه وأحاسیسه، یؤجّج فی المتلقی المشاعر ویعدّه لدرک ما یرید، ویزداد تأثر المتلقی کلما کانت الصوره ناضجه تامه قد توفرت فیها عوامل الإثاره والبعث والتحریک، فاستخدام الشاعر آیه قرآنیه فی شعره، یمکن أن تغنیه عن کتابه أبیات، بل قصائد جمّه، وهذا ما نلاحظه فی أکثر من دیوان وفی أکثر من موطن لدی الشعراء الذین انشدوا شعراً فی القدس، کما نلاحظ التأثیر القرآنی فی الصوره الشعریه فی شعر القدس عند الشاعر نجیب جمال الدین، ولا غرابه فی ذلک إذا علمنا التزام الشاعر بقیمه القرآنیه والإسلامیه، فکان الأثر واضحاً کما نشاهده فی قوله:

وصِرْتُ أَصْرُخُ..

صَارَ الهَمُّ یَمضغُنی

والشَّکُّ یَبلَعُنی فی لُجَّهِ الصَّخَبِ

وَما بِبَالِکَ

قلْ لی: یاأبا لَهَبٍ

وَمَا سَمِعْتُ جَوَاباً مِنْ أبی لَهَبِ

تُرَی مُعَسْکَرُ دَاودٍ بِجُعْبَتِهِ؟

ص:206

أَم رِحْلَهُ القُدْسِ؟ أمْ حَمَّاله الحَطَب؟(1)

الصوره القرآنيه قد تنتقل إلى رمز نتيجه لشيوعها وتكرارها على الألسن، واستخدام الشاعر لتلك الآيه - حماله الحطب - رمز منح صورته الشعريه قوه تأثيريه كبيره؛ وذلک لأنّ الصوره الجيّده هى التى تستطيع إذابه الآيه المتّكأ عليها فى مناخها وإسقاطها مع الموقف والتجربه. حاول الشاعر أن يرسم لنا فى هذه السطور وبهذه الصور البسيطه والتى اخذت أبعاداً رمزيه، صوره مقاومه الحق والوقوف بوجه الأمه الإسلاميه ونبيها الأكرم صلى الله عليه و آله فعمد الشاعر إلى سوره «المسد» التى صوّرت لنا شدّه عداوه أبى لهب للدعوه النَبَويّه الفَتِيّه وزوجته أم جميل التى كانت تحمل الحطب وتحرقه فى طريق الرسول صلى الله عليه و آله.

ونرى الصور القرآنيه فى شعر القدس تبرز جليّه فى السطور التاليه من القصيده نفسها:

فَدَارَهُ السلم.. أدرى

سُورُهَا لَهَبٌ كَجَنَّهِ اللهِ

إنْ تُعْبَرْ.. فباللَّهَبِ

من يبغِضُ السِّلمَ؟

لَكِنْ.. وَيْحَ طالِبِهِ

إن راحَ يَحْمِلُ مَعْنى ذلَّهِ الطَّلَب(2)

وهذه الصور نلمحها فى قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَهُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ)3

1- (1) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص 94.
2- (2) المصدر: ص 95.

وکذلک قوله تعالی: (فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَی السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَکُمْ وَ لَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمالَکُمْ)1 - فالشاعر هنا وبالتصویر المباشر یستعین بالقرآن الکریم فیصوّر لنا السّلام بأنه لهب جهنم وذلّه لأنه خروج من جنّه الله تعالی. ففی هذا التصویر بیّن لنا الشاعر انزعاجه من السّلام فی معاهده کامب دیفید آنذاک.

ومن هذا القبیل قول الشاعر حسن البحیری فی قصیدته «منائرالهدی» قائلاً:

أیُّ رَکبٍ فی مَنْهَجِ الحَقِّ سائرْ

مُشرِقِ المَجدِ.. مستنیرِ المآثرْ

مِن ذَرَی «مُؤْتهَ» الطَّهوَرِ إلی «القُدس»

تجلّی به وِضَاءُ الَمفاخِرْ

نَثَرَتْ عِزّهً وزهْوَ جَلالٍ

سِدْرَهُ المُنتهی عَلَیْهِ الأزاهِرْ

وحدَاهُ الرُّوحُ الأمینُ بآیاتِ

جِهادٍ مُنَزَّهاتِ الشَّعائرْ(1)

الصوره التی یقدّمها الشاعر مستنده إلی القرآن الکریم، هی تلک الصوره التی تقدّم الحقائق التی وقعت أو سوف تقع فتجدها تؤثر فی مشاعر المتلقی بسهوله فائقه، فتصل إلی أعماقه؛ حیث «صاغ بها أفکاره، ومشاعره، ومعانیه، ورؤاه النفسیّه ویقدمها تقدیماً جدیداً یحمل خصوصیته الإبداعیه، وتفرّده الذاتی». (2) فحینما یشیر إلی ألفاظ الآیه «سدره المنتهی» المأخوذه من قوله تعالی (وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْری * عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهی)4 التی رسم لنا من خلالها

1- (2) لفلسطین أغنی: ص 47-48.

2- (3) هيفا عربيه، الصوره الفنيه فى الشعر العربى الحديث، الاحيائيه والرومانسيه والمعاصره، مخطوط، ص مقدمه.

صوره المعراج ومشهده، فالنبی محمد صلی الله علیه و آله بدأ رکبه بمعیّه جبرائیل علیه السلام من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصی ثم إلی السّماء، فمن هذه الصوره بادر الشاعر إلی رسم صوره رکب المجاهدین، فهم بدأوا رحلتهم من ذری «مؤته» وسوف تنتهی بالقدس وذلک تلبیه لدعوه الحق، فبهذه الألفاظ البسیطه واستلهاماً من أسلوب تداعی المعانی تجلَّت صوره القدس ورکْبُ عشّاقها سائرٌ إلیها.

وما أکثر المؤثّرات القرآنیه فی شعر القدس.

حیث لا نکاد نجد شاعراً لم یستعن بالقرآن الکریم، فنلاحظ الشاعر حسن البحیری کیف یوظّف القرآن المجید والتاریخ فی قصیدته (المسجد الأقصی) قائلاً:

أعندکم أنّنی فی لَیلِ غاشیهٍ رِیعَ القضاءُ لها واستَشْعَرَ القَدَرُ

وأنَّ «قُدْسی» ومِعراجی وأرضَهُما باتتْ بدهْمِ الرَّزایا السُّودِ تأتزِرُ

فکادتِ «القبلهُ الأولی» وصَخْرتُها عن «الخطیم» ورُکْنِ «البَیْتِ» تنبَتِرُ

وزلزلت أسسَ الإسلامِ نائبهٌ بَکتْ لها فی طروسِ المُصْحفِ السُّوَرُ !

ألم تَرَوْا أنَّ مِحرابی ومِنْبَرَهُ وآیتی بِدِثارِ الغَمِّ تدَّثِرُ(1)

فالشاعر استفاد من الکتاب الکریم لتدعیم صوره الشعریه التی أراد منها تنبیه بل تحریض الآخرین لما فیها من قوّه تأثیر بالدلاله المباشره أو بالتذکیر ولو بالإشاره إلی اسم المصحف الشریف، وقد کثرت هذه المؤثرات بعد نکسه حزیران عام (1967 م) إذ الصدمه ألجأت الشاعر إلی الباعِث والحافز الدینی، لذا نراه أحیاناً یستعین بالقرآن المجید والتاریخ والتراث معاً لیجد خلاص قدسه من براثن الاحتلال، ونلاحظ الأسلوب نفسه عند الشاعر عبد الله یورکی حلاق إذ یقول:

1- (1) لفلسطین أغنی: ص 86-87.

رَتَّلْتُ آىَ المُجدِ باسم محمَّدٍ فالمجدُ باسْمِ محمدٍ مقرونُ

ورأيتُ وحى اللهِ فى آياتِهِ وَعَرفْتُ قلبَ الصخرِ كيف يلينُ

الفارسُ العربى لم تجمح به فرسُ الجهادِ ولم تُخِفْهُ مَنونُ

نظرتْ إلينا القدسُ نظرةَ عاتبٍ وَنَعَتْ تخاذُلَ رَأينا اللطرونُ(1)

فاستفاد الشاعر من التأثير القرآنى فى القلوب وقرنه بإنجازات النبى الأكرم محمد صلى الله عليه و آله لعله أراد أن يقول إنّ الإنسان المسلم من الأحرى به أن يقتدى بالرسول الأعظم ويقرأ أوراق المجد مره أخرى، وليلين قلب الإنسان - عموماً - لما حل بالقدس وشعبه وبالإنسان الفلسطينى، فتداعى المعانى رسم للشاعر صوره مستاقه من القرآن وصاحبه، والأثر واضح.

وأما نزار قبانى فيعرّج فى قصيدته (هوامش على دفتر النكسه) نحو القرآن الكريم ليستعير من بعض ألفاظه ليصوغ صوره يجعل منها قاعده تدّل على القانون الإلهى فى خلقه وهى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ)2 قائلاً:

ولا تَلْعَنُوا السمَّاءْ

إذا تخلَّتْ عنكمُ

لا تَلْعَنُوا الظروفْ

فالله يؤتى النصرَ من يشاءْ

وليسَ حدَّاداً لديكُمْ..

يَصْنَعُ السُيُوفْ(2)

1- (1) أسديات: ص 71-72.
2- (3) الأعمال السياسيه: 80/3.

فالشاعر بهذه المؤثرات القرآنيه يستنكر عمل الذين يرفعون أيديهم نحو السّماء بدون عمل، لأنّ هذا خلاف الأصل القائل بأن الحركه من البشر والاستعانه بالله تعالى.

فى هذا المضمون أيضاً قول الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (عربيه عربيه)، قائلاً:

لبيک يا قدس السّلام ومرحبا بالعاديات، وويل من لا ينفر

فإذا حصون الغاصبين تُهدّمُ وإذا حشود الدارعين تبعثر

دُحرواً وأذيال الهزيمه خلفهم وبمثل ما جاؤوا إليک تقهقروا

ما عاد منهم شارد أو وارد مرَّ الزمان عليهمُ وتحجَّروا(1)

فالشاعر استعان بأسلوب التشخيص التصويرى، إذ خلع الصفات الإنسانيه على مدينه القدس وهى تستنجد بالّذين آمنوا بالجهاد والنضال، ومن هنا أشار الشاعر إلى سوره العاديات وما تتضمن من أوصاف المجاهدين وغبار المعركه عندما تصول خيولهم نحو العدو ثم أخذ يقرع ويؤنب أولئک الّذين لم ينفروا فى سبيل الله تعالى لنصره القدس، وقد استوظف آيه النفر(2)

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياهِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَهِ فَما مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا فِى الْآخِرَهِ إِلاّ قَلِيلٌ * إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

و نجد الأمثله الكثيره فى شعر القدس تصبّ فى هذا المصب، فدأب الشعراء على التقاط الألفاظ والآيات القرآنيه وقد أجادوا فى توظيفها فى صورهم الفنيه مما زاد شعر القدس جمالاً ومعنويةً.

1- (1) مفكره عاشق: ص 102 و 103.
2- (2) التوبه: 38 و 39.

2. المؤثرات التاريخيه والتراثيه

لقد عمل شاعر القدس وعمد إلى استنفار العديد من السور والآيات القرآنيه واستدعى تاريخ الأمه العربيه والأمه الإسلاميه، شخصيات وأحداث ومواقف وبطولات تركت أثرها الكبير على نفس المتلقى، إذ حاول شاعر القدس ربط حاضره المتردّى بماضى أمّته المشرق ليعود التاريخ نفسه أو أفضل منه، لذا توقّف عند رسول الله صلى الله عليه و آله صانع المجد الأكبر والتاريخ الأعظم وخلفائه وأصحابه والأبطال مرّه، وعند الوقائع التاريخيه والتراث مره أخرى حيث كان لها الصدى فى نفس الشاعر وصياغته الشعريه، إذ يرى بأن العوده إلى التاريخ يمكن أن تعود بالأمه إلى رشدها وتقتل اليأس الذى راح يقطّع مفاصلها لتصبح فى متاحف التاريخ، ونلاحظ هذا فى قصيده الشاعر «بدوى الجبل» قائلاً فيها:

هلْ دَرَتْ عَدْنُ أَنّ مَسْجِدَها الأقْ صى مكانٌ من أَهلِه مهجورُ

أَينَ مسْرى البُراقِ، والقُدْسُ والمهْ دُ وبيتٌ مُقَدَّسٌ معمورُ؟

لم يُرَتَّلْ قُرْآنُ أَحْمَدَ فيه ويُزارُ المَبْكى ويُتلى الزَبُورُ

طُوىَ المصْحَفُ الكريمُ، وراحَتْ تتشاكى آياتُهُ والسطورُ(1)

فالشاعر كما نلاحظ وظّف الشخصيات التاريخيه وعلى رأسها «النبى محمد صلى الله عليه و آله»، والتى كان لها ارتباطها الخاص بالقدس الشريف، بعد ذلك عمد «بدوى الجبل» إلى التساءل بأداه «هل» ثم تساءل بأداه «أين» فى هذا المقطع متسائلاً بها عن ضياع بيت المقدس، والمسجد الأقصى، ومسرى البراق، وكنيسه المهد وهتك الحرمات وإباده المدن والقرى. فالشاعر صوّر بُعد الأمه العربيه والأمه الإسلاميه عن تاريخها وأمجادها وحضارتها، وحاول

1- (1) الديوان: ص 195.

أن يستعين بالتاريخ وعن طريق رسم الصور البسيطه وبأسلوب التشخيص إعاده الأُمّتين إلی رشدهما وسؤددهما.

ونشاهد الشاعره فدوی طوقان فی قصيدتها «إلی السيد المسيح فی عيده» تستوظف شخصيه السيّد المسيح عليه السلام وعيد ميلاده لتعطی الصوره المناسبه للقدس قائله

يا سيّد، يامجد الأكوان

فی عيدک تُصلَبُ هذا العام

أفراحُ القدس

صمتت فی عيدک يا سيّد كلُّ

الأجراس

من ألفی عامٍ لم تصمتْ

فی عيدک إلّا هذا العام

فقباب الأجراس حدادٌ

وسوادٌ ملتفٌ بسواد

القدس علی درب الآلام

تُجلَد تحت صليب المحنهِ

تُنزفُ تحت يد الجلّاد

ثم تقول: لم يرفع فی المحنه شمعه

لم يذرف حتی دمعه

تغسل فی القدس الأحزان... [1]

تقدّم الشاعره مجموعه من الصور البسيطه والمتصله ببعضها لتقدم صوره كلّيّه مركّبه تتمثل بتصوير مدينه القدس وهى غريقه بالأحزان والمحن،

ص:213

1- (1) الليل والفرسان: ص 32-34.

تعيش حاله الاحتضار على يد الجلاد، وذلک فی عيد ميلاد المسيح عليه السلام، فكأنّ هذا الحزن ظلمات فوقها ظلمات وقد لف «القدس» بجلباب أسود يشيع فی الروح كدراً واكتئاباً، والكل حتى القباب والأجراس لبست السواد حداداً عليها، فالشاعره - فدوى - جسّدت الأفراح ودق الأجراس فی الأعياد مصلوبه بيد العدو وقد حلّ محلها الرعب والموت والفزع، ثم تصوّر الخفقان الذی ألمّ بالقدس فجعلها مدينه أرواح وأشباح - لم يرفع فی المحنه شمعه/ لم يذرف حتى دمعه - موقف العدو رهيب مستمر، كأنَّ الحزن سرمدی أبدی.

وفی إطار التجارب التاريخيه نجد أهمّيه وقائع التاريخ البارزه وشخصياته الفذه، ماده أساسيه استقى شاعر القدس صوره الشعريه منها، ومن هذا المنطلق حاز أهل بيت النبوّه عامه والإمام الحسين عليه السلام خاصه عنايه فائقه من الشعراء، لما لمسوه من تلک الشخصيات من أثر فی النّفس الإنسانيه وذلک بفضل تضحياتها وجهادها ودفاعها عن الحق والحقيقه، ففی ذكرها واستحضارها شدٌّ لعرى الأمّه الآخذه بالانفصام وحضّ على المقاومه ونصره المظلومين، ومن هذا القبيل قول الشاعر نزار قبانی فی قصيدته (منشورات فدائيهٌ على جدران إسرائيل):

نَأتی..

بِكوُفيَّاتنا البيضاء والسوداءْ

نرسُمُ فوق جلدكُمْ

إشارةَ الفدَاءْ

مِنْ رَحِمِ الأَيَّام نأتی كانبثاق الماءْ

من خَيْمةَ الذُلِّ التی يعلكها الهواءْ

مِنْ وجَعَ الحسين نأتی..

من أسى فاطمةَ الزَهْراءْ..

منْ أُحُدٍ نأتی، ومن بَدْرٍ..

ومن أحزان کربَلاَءْ

نأتی.. لکی نصحِّحَ التاریخَ والأشیاءْ..

ونطمسَ الخوفَ فی الشوارع العبریّهِ الأسماءْ...(1)

شاعرنا نزار قبانی یصوّر الإنسان العربی، والإنسان المسلم وعلی تعدّد تیاراته وانتماءاته وبما یحمل من أفراح وأحزان - بکوفیاتنا البیضاء والسوداء - کیف یشق الزمان ویتدفّق کالشّلالات نحو العدو، لیصنع من ذلّ الهزیمه نصراً، فسرعته وقوته تشبه المیاه الجارفه. ثم الشاعر یستدعی التاریخ وشخصیاته بما تحمل من رموز وإشارات لیقدم لنا صوره تمکننا أخذ الدروس والعبر من التاریخ؛ وذلک لتصحیح التاریخ وصنعه من جدید والسیرفی طریق التحریر لإعاده القدس إلی أهلها، فالشاعر استغل أکثر من أسلوب - التجسید - التشبیه - التجرید - تداعی المعانی.. لصیاغه هذه الصوره الراقیه، ثم کرر الأداه «من» الابتدائیه أکثر من ست مرّات لعله تأکید علی صواب المکان المنطلق منه، وتکرار الشاعر فعل المضارع «نأتی» لعلّه دلیل علی وقوعه وحتمیه القدوم، وهکذا «یستلهم الشاعر أوجه التشابه بین أحداث الماضی ووقائع العصر وظروفه إن سلباً أو إیجابا، وهو فی هذا کله یطلق العنان لخیاله لکی یکشف عن صدی صوت الجماعه وصدی نفسه فی إطارالحقیقه التاریخیه العامه التی یبحث عنها، أو الموضوعات التاریخیه الکبری، التی تشکل حضوراً بارزاً فی تاریخ الأمه دون الخوض فی جزئیات صغیره».(2)

ونلاحظ هذا عند الشاعر نفسه فی قصیده (إفاده فی محکمه الشعر) قائلاً:

1- (1) الأعمال السیاسیه الکامله: 197/3.

2- (2) إبراهیم نمر موسی، مجله عالم الفکر: رقم 33، 2004، ص 117.

مرَّ عامانِ.. والمسيحُ أسيرٌ فی یدیهم.. ومریمُ العذراءُ..

مرَّ عامانِ.. والمآذنُ تبکی والنواقیسُ کلُّها خرساءُ

أيُّها الراكعونَ فی معبد الحرفِ كفانا الدُوارُ والإغماءُ

مزّ قوُا جُبَّهَ الدروایش عنکم واخلعوا الصُوفَ أيَّها الأتقياءُ

أتركوا أولياءَنا.. بسلامٍ أیُّ أرضٍ أعادها الأولياءُ !(1)

هنا توظيف الشاعر للتاريخ والتراث یختلف عمّا قبله، فهو يرى الزمان انطوى وما زالت المقدسات مكبله تصرخ تحت وطأه الاحتلال، ولكن المصيبه الأكبر من هذا هی أنّ الناس ضلوا الطريق الصحيح، لهذا يعمد الشاعر إلى أسلوب السخريه والاستهزاء، فهو قدّم عدداً من الصور البسيطه والمترابطه محاوله منه لإيقاظ الجمهور وإعادته إلى النهج الأقوم والصراط المستقيم، وقريب من هذا أبيات قصيدته (مفكره عاشق):

فلا خيولُ بنی حمدانَ راقصهٌ

زهواً، ولا المتنبی مالئٌ حلَبَاً (2)

وأمّا الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد ففی قصيدته (أطفال الحجاره) يجعل المتلقی معجباً بالتاريخ والتراث والحضاره والشعب وحتى أرض فلسطين، إذ يقول:

ويعجب أهل الأرض كيف تجمعت لها عزمات لا توازن حالها

هی القدس والأقصى ومسرى محمدٍ بها بركات الله، والله قالها

فلسطين تاريخٌ ودينُ، حضاره وأرض وشعب هل عرفتم جلالها(2)

استخدم الشاعر تاريخ مسرى النبی محمد صلى الله عليه و آله وتاريخ فلسطين التراثی

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 406/3.
2- (2) القدس فى العيون: ص 43.

بما فيها المسجد الأقصى ثم استعان بالقرآن الكريم وبالذات آيه الإسراء - تأييداً لكلامه - كى يصوغ صوره تبيّن قداسه وعظمه المكان.

أمّا الشاعر على عقله عرسان فى قصيده «أورسالم صباح الخير» يستخدم التاريخ لا ليوظّفه لخدمه التاريخ بل لإثبات التاريخ.

يا بنت كنعان.. وبيت اليبوسيّين،

يكذب تاريخٌ لا يحترم حقائقَ التاريخ،

يكذب ويسقط،

نعم..

يكذب ويسقط؛

فعلى باب قلعه اليبوسيين، أجدادى، ما زال سيف الزمان

يقطر دماً،

يروى للآتين حكايه مهد حَضَنَكَ وسمّنّك وكبَّرك وفَدَاك،

وما زال الآتون من نسل كنعان..

يجدِّدون، فى كل زمان، عهدهم وعطاءهم لک..

دماً وتضحيات، دماً وأضحيات..

ليبقى اسمُک ونسبُک ونورک ومجدُک.

وليبقى انتماؤک لمن سوَّاک وأنشأک وأرضَعَک ونمَّاكِ.

فى القلب والعين أنت يا قدس...(1)

ففى هذا المقطع والمعنون «يا قدس» من قصيدته الطويله عبّر الشاعر ومن منطلق رؤى تراثيه وتاريخيه استحضر من خلالها تاريخ القدس العريق

لإثبات مدينه القدس، فهو كرّس الكثير من الصور الجزئيه لهذا الغرض واستعان

ص:217

1- (1) الأعمال الشعريه: ص 302.

بأسلوب التشخيص تاره وأسلوب الصوره المباشره تاره أخرى، وقد استعان بالاستعاره وتداعى المعانى أيضاً. وما أكثر التوظيف التاريخى فى شعر القدس.(1)

الصوره الوظيفيه فى شعر القدس

1. توظيف العاطفه

الشعر يخاطب الوجدان والعاطفه ويحيل الأفكار الذهنيه إلى أحاسيس ومشاعر ويستخدم اللفظ. وللألفاظ دلالات عقليه ونفسيّه خاصه؛ وإدراكنا لها يتم عن طريق الشعور والعقل. وإدراک الألفاظ عقلياً يقف فى طريق الشعر منساباً إلى نفوسنا، ومن ثمَّ يستعين الشاعر بأدوات الفنون المجرّده ليغلِّب الدلالات الشعوريه للألفاظ على دلالاتها الذهنيّه، فهو يتخذ من إيقاع الوزن وجرس اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وسائل ينفذ بها إلى عواطف سامعه أو قارئه، وهو أيضاً يستخدم طبيعه التصوير، فكما تعتمد اللوحه على الخطوط والألوان فى إبراز إحساس الرّسام، تعتمد الصوره الشعريه على جزئيات مؤتلفه لو نظرت إلى كل منها مفرده لم تجد لها دلاله نفسيّه أو ذهنيّه كبيره، ولكن باجتماعها ترسم لوحه شعوريه متكامله الجوانب(2) وتكمن فاعليه الصور أساساً فى تمثيلها للإحساس كما يقول أوستن وارين»(3) فالشاعر النبراس مطالب بتصوير عاطفته وإحساسه فى موضوعات شعره و «من ثم فإنّه لا يمكن

1- (1) على سبيل المثال لا الحصر:- كمال رشيد، القدس فى العيون: ص 32.- يوسف الخطيب، أرض المعاد: ص 59.- محمود درويش، أعراس: 591/1.مما أود التنويه إليه فى المؤثرات التاريخيه والتراثيه هو أنّ أكثر الوقائع ذكراً هى واقعه المعراج وأكثر الشخصيات ذكراً هو النبى محمد صلى الله عليه و آله والسيد المسيح عليه السلام.

2- (2) الطاهر أحمد مكى، الشعر العربى المعاصر: ص 81 و 82.

3- (3) أوستن وارين وصاحبه، نظريه الأدب، ترجمه محيى الدين صبحى، ص 241.

النظر فی الصوره بمعزل عن نفسیّه الشاعر»(1) إذ أنها «تعبّر عن نفس الشاعر وإنها تشبه الصور التی تتراءی فی الأحلام»(2). ونلمس هذا فی قصیده محمود درویش (بین حلمی وبین اسمه کان موتی بطیئاً) یقول فیها:

أموت - أحبک

إن ثلاثه أشیاء لا تنتهی

أنت، والحب، والموت

قبلت خنجرک الحلو

ثم احتمیت بکفیک

أن تقتلینی

وأن توقفی عنی الموت

هذا هو الحب

إنی أحبک حین أموت

وحین أحبک

أشعر أنی أموت

فکونی امرأه

وکونی مدینه

ولکن لماذا سقطت، لماذا احترقت

بلا سبب؟

ولما ترهلت فی خیمه بدویّه؟

لأنکَ کنتَ تمارس موتاً بدون شهیه

وأضافت

ص:219

1- (1) صالح أبو إصبع، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله: ص 35.
2- (2) إحسان عباس، فن الشعر: 238/16.

كأن القدر

ينكسر فى صوتها، هل رأيت المدينه تذهب

أم كنتَ أنت الذى يتدحرج من شرفه الله

قافله من سبايا؟ هل رأيت المدينه تهرب

أم كنت أنت الذى يحتمى بالزوايا!

المدينه لا تسقط، الناس تسقط(1)

المرأه هنا هى المدينه المحتله، هى القدس، هى حبيبته فاستخدم أسلوب تبادل المدركات فأعطى صفه المرأه للمدينه، لأن المدينه تضم الإنسان فى حضنها ويسكن إليها وكذلك المرأه،(2) ففى هذا التجسيد استحضر المعنى الإنسانى لمدينه القدس، وكأنها تدافع عن نفسها وتقاوم السقوط، لكن الذى جعلها تسقط بيد العدو هو ذلك الإنسان حينما تركها وهاجر - رغماً عن أنفه - دون أن يقاوم واحتمى بكفَّى المدينه الصامده، العاطفه التى يصورها «درويش» هى من الحبيبه - القدس - لا من الحبيب - الإنسان - فهو يبدو قاسياً مع حبيبته ويظهر أن بدايه القصيده غير منسجمه مع أواخرها؛ حيث رأى الشاعر الحب فى البدايه بأنه متبادل وليس كذلك فى نهايتها. وقريب من هذه العاطفه نجدها عند الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (قصيده للقدس) إذ يقول:

لِعَينَيها..

مَدِينَتِىَ الّتى سُجِنَتْ

لِمَسْجِدِها..

لأقصاها

ص:220

1- (1) الديوان: ج؟؟؟ / 501-503.

2- (2) (وَ مِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً...) الروم: 21.

لِحُرمتَيِها الّتى انْتُهِكَتْ

لَخِطْوِ محمّدٍ فيها

لما حَمَلَتْ

وما حَفِظَتْ

لمريمَ والمسيحِ

وكلِّ ماعَرَفَتْ ومَنْ عَرَفَتْ

لِعينيها..

مَدينتى التى اغْتُصِبَتْ

وَفَوْقَ جَبينها المَشْجوجِ

آىُ الله قد طُمِسَتْ

لها..

للقدسِ وهى تئِنُّ

تحتَ سنابک الحقدِ

خُطى الغازينَ تَصْفَعُها

تُلطِّخُ جَبهَةَ المجدِ..

تَفْضّ الطَّهر عن عَينينِ

للصَّخرهِ والمهدِ..

لها.. للقدسِ..

فى الأسرِ المُذلِّ

تَضِجُّ فى القَيدِ

أنادى..

لو يَهُزُّ نَدایَ

لو يُسْمَعُ.. لو يُجْدى

ص:221

أُنادی الإخوه الأحرارَ

مِنْ قومی.. ومِن جُندی(1)

إذا تتبعنا الصوره الشعریه المعبّره عن عاطفه الشاعر «هارون هاشم رشید» وحنینه الصادق فی تلک الأسطر، نجد زفراته تحمل دلالات وأحاسیس مُرهفه محموله لنا بألفاظ بسیطه وشفافه إلاّ أنها قویّه التعبیر، لهذا نری الصوره التی ساقها الشاعر تجعل الإنسان یعیش العذاب والآلام من جهه، ویشعر بمسؤولیهٍ تجاه القدس ومقدساتها من جهه أخری، فالمکان - القدس - تحوّل إلی إنسان مکبّل فی السجن، یئنُّ تحت وطأه الاحتلال، وقد هُتِکت حُرماته، وخفیت معالمه، وسحقت کرامته. صور تُبرِزُ معانی تنزل علی القلب والعقل کالصاعقه، تؤرّق الضمیر وتمزّق الروح. هذه المأساه جعلت الشاعر یلحّ علی وضع حدٍّ لهذا الوضع المؤسف، فهو سخّر معظم الأسالیب - التجسید - التشخیص - التجرید - تبادل المدرکات و.. لصیاغه صوره الشعریه، لکی یبرز شفقته وما تختلج فی نوایاه تجاه القدس ویبین حالها المأساویه وما آلت إلیه، وهو غیر واثق من صرخاته، بأنها تؤثر ایجاباً علی قومه وإخوته، إذ کرر أداه «لو» أکثر من مرّه، حیث أنزلهم منزله الأموات والجمادات.

ومن خلال متابعتی لشعر القدس وجدت أنّ توظیف العاطفه فی صیاغه صور القدس فی الشعر، کانت ظاهره صارخه لافته لنظر المتتبّع، لاسیما شعراء فلسطین، أمثال: حسن البحیری، هارون هاشم رشید، فدوی طوقان، یوسف الخطیب، سمیح القاسم، أبو سلمی.

2. توظیف الحیاه الیومیه

لابد أن تکون الصوره مطابقه تماماً للتجربه التی مر بها الشاعر لإظهار فکره،

1- (1) الدیوان: ص 442 و 443.

أو حدث، أو مشهد، أو حاله نفسيه، أو غير ذلک فکل صوره کليه، أو عمل أدبی يحدث نتيجه تجربه غامرت نفس صاحبها، وتفاعلت فی جوانبها المختلفه، يمتزج الطارئ إليها بالمخزون فيها، حتی إذا ما اکتملت فی نفسه، تتلاقی الأشباه، وتتآلف النظائر لعلاقه بين أجزائها.(1)

ومن هذا المنطلق «انفرد الشعر الفلسطينی بتصوير دقائق المحنه فلمس مناهج الإباده ووسائل الضغط وأرقام الهجره اليهوديه وطرقها وأنواعها والمحافظه علی الأرض ودعوه الزعماء للتضامن وحض علی الثوره، وأشعل الحماسه وألهب الشعور»(2) ومن هنا يرسم لنا شاعر القدس صوره الحياه اليوميه التی عاشتها المدينه وعاشها ذلک الفلسطينی المتعثر الحياه والمغلوب علی أمره، وربّما کانت الهجره والغربه أقسی أيام الحياه لذا نجد صورتها فی شعر القدس عند أکثر من شاعر، فها هو «هارون هاشم رشيد» يتساءل عن الجرم الذی ارتکبه الفلسطينی فأصبحت أيامه أحزاناً ومحناً وآلاماً وشجناً حين يقول:

لماذا، نحن أغرابُ !؟

يمرُّ العامُ، إثرَ العامِ

يا أبتی..، بلاجدوی

فلا أملٌ، ولابشری

سوی الآلام والشجنِ

سوی الأحزان والمحنِ

لماذا.. نحن فی الخيمه

فی الحرِّ، وفی البردِ؟

ألا نرجعُ للبيتِ

1- (1) علی صبح، الصوره الأدبيه تاريخ ونقد: ص 168.

2- (2) كامل السوافيرى، الشعر العربى الحديث: ص 358.

وللحقلِ، وللمجدِ؟

لماذا نحنُ فى الألمِ؟

وفى الجوعِ وفى السقمِ

وفى البؤسِ وفى النقمِ

لماذا..؟

نحن يا أبتى؟

لماذا، نحن أغرابُ؟(1)

فالشاعر هارون هاشم رشيد استعان بالأدوات الاستفهاميه وكرّرها مراّت ليقدّم الأسئله المتتاليه، فهو بهذا الأسلوب وأسلوب التجسيد أحياناً قدّم لنا عدّه صور، مباشره ومترابطه بعضها مع البعض الآخر ليرسم لنا تصوير الطفله الفلسطينيه اللاّجئه، وهى تقيم فى معسكر «البريج» حين تقدّم إلى أبيها عشرات الأسئله المحرجه، تسأل عن القدس، عن الوطن، عن الأرض، عن.. عن سبب غربتها، آلامها، حزنها، سقمها، بؤسها، جوعها، غياب إخوتها، أحلامها، ضياعها، أيّامها السوداء، ليلها الداجى، عن..

فالصوره لوحه فى غايه الروعه، صاغها الشاعر بألم صادق وقلب متكسر الأجنحه يصف بها وبشكل مباشر اغتراب الإنسان الفلسطينى الروحى والجسدى وحياته المؤلمه حيث استعمل الألفاظ التى تحمل فى طياتها الحزن والألم، أمثال: الجوع، السقم، الحر، البرد، الخيمه، البؤس، المحن، الشجن.. فهى علاوه على دورها الغنى فى القصيده تجعل روح المتلقى وعاطفته تتكيف مع المغترب الفلسطينى وتعيش أيّامها القاسيه، ثم الشاعر تساءل، لماذا.. لماذا.. أكثر من 23 مرّه ليصوّر براءه المغترب المهجَّر ويؤكّدها لدى

1- (1) هارون هاشم رشيد، ديوانه مع الغرباء: ص 8-10.

ضمائر العالَم، أمّا تكراره الأداه «سوى» ثلاث مرّات فهو دليل على اليأس وخيبه الأمل ولكن سرعان ما يتراجع ليقول:

ولن يقتلنا جوعٌ ولن يرهقنا فقرٌ

لنا أملٌ سيدفعُنا إذا مالوّح الثأر

فصبراً.. ياابنتى صبراً غداةَ غدٍ، لنا النصرُ(1)

ونجد الشاعر «زكى قنصل» فى قصيده «ربيب السوط» يضع يده على الجرح النازف محاوله منه لمعالجته، فهو يعتمد فى تصويره على مأساه الحياه الإنسانيه فى القدس، إذ يقول:

أخى فى الجرحِ هَلْ يُشجيك دَمْعى وهَل يَعنيك فى الجلَّى هَديرى

تشابَه دَرْبُنا سَهْلاً ووَعْراً ولَم يَخْرُجْ مصيرُكَ عن مصيرى

مُصابُ القُدسِ أيقظَ كل صَوت فهلاّ قُمْتَ يا غافى الضميرِ

عدوُّك لايَقِرُّ له قرارٌ وأنت تَغُطُّ فى نَوْمِ قَرير

زَفيرُ اللاجئينَ إلى الثُّريَّا ألا يَهْتَزُّ قلبُك للزفيرِ؟(2)

لقد اتخذ شاعر القدس «قنصل» من الصفات الإنسانيه المشتركه موضوع الأخوّه وذلك لتصوير محنته ووحدته وما أصاب القدس، فهو يندب أخاه تارةً ويناديه أخرى، لأنّ صفات الأخوّه أعلى وأغلى ما يمتلكه الإنسان، لذا حين يرى الأخ أن أخاه قد أعرض بوجهه عنه وتراخى عن نصرته، وهو بأمسّ الحاجه إليه يأخذ فى عتابه وتأنيبه، لاسيما إذا كان المصير واحداً وخطر العدو مشتركاً، نرى الشاعر كيف يستخدم المفردات السهله التى تصل القلوب وتوقظ الضمائر، مباشره، فلا غريب فيها ولا تعقيد وفى التعبير من

1- (1) المصدر: ص 13

2- (2) زكى قنصل، الأعمال الكامله: ص 111.

المعانی ما لا یخفی من الرقّه - یشجیک دمعی - جلّی هدیری - زفیر اللاجئین - غافی الضمیر.. وقد اعتمد الشاعر فی صیاغته علی التعبیر المباشر والتشخیص أحیاناً فی تقدیم هذه الصوره، وهکذا یمکن متابعه عشرات الصور فی مختلف الأبعاد، التی اعتمد شاعر القدس فی رسمها علی الحیاه الیومیّه التی یحیاها الإنسان فی القدس وما یتصل بها من ماده، أمثال: الشجاعه والبطوله والشهاده والکفاح وکذلک فی الوجه الآخر، أمثال: بشاعه العدو وهمجیته، وظلمه وقساوته، لذا نری الشاعر نزار قبانی یصرخ بوجه العالم أجمع ویطلب النجده للمقدسات المشترکه بین الأدیان السماویه قائلاً:

مَنْ یُنْقِذُ الإنجیل؟

مَنْ یُنْقِذُ القرآن؟

مَنْ یُنْقِذُ المسیحَ ممّن قتلوا المسیح؟

مَنْ یُنْقِذُ الإنسان(1)

نلاحظ «نزار» کیف استخدم الألفاظ والصور المباشره والبسیطه، وکیف استخدم أسلوب الاستفهام وتداعی المعانی - القرآن - الإنجیل - المسیح - لما فیها من قداسه وما تحمل من رموز، وذلک لیبیّن قساوه الاحتلال وعداءه الشامل والعام.

ولکن نزار قبانی لم یغفل عن قساوه قلوب الأصدقاء حین وجدهم یتغافلون ویتجاهلون عمّا تعانیه القدس وحیاه الإنسان الفلسطینی المأساویه قائلاً:

کأنَّ جمیعَ مَنْ صُلِبوُا..

علی الأشجار فی یافا.. وفی حیفا..

وبئر السبع.. لیسوا من سُلالاتِکْ

تغوصُ القدسُ فی دمها.

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 163/3.

وأنتَ صريعُ شهواتِکْ

تنامُ.. کأنمّا المأساهُ لیستْ بعضَ مأساتِکْ

متی تفهْم؟

متی یستیقظُ الإنسانُ فی ذاتِکْ(1)

تعاملُ الشاعر نزار قبانی بالنسبه للقضیه الفلسطینیه واضحٌ؛ إذ هو کثیراً ما یستعمل التقریع والتأنیب - للأمراء وللشعوب علی حد سواء - ففی هذا المقطع من قصیدته استند لما یحدث فی القدس یومیاً لیکرّس عده من الصور المأساویه لعلها توقظ النیام، فهو استخدم «متی» الاستفهامیه لما تحمل من مفهوم تقریع مباشر وأسلوب تراسل الحواس والوصف المباشر لتکون صوره القدس وصوره الإنسان الغافل عنها جلیّه.

وأمّا الشاعر سلیمان العیسی فهو یستخدم أفراح المناسبات کالأعیاد لیصوغ صوره القدس الکئیبه وإنسان القضیه الملتزم قائلاً:

أیُّ عبدٍ أتلقَّاه وأغدو

مَرِحاً أز هو علی الکونِ وأشدو.

وبِلادی ألفُ جُرْحٍ یستبدُّ

وثری القدسِ دَمٌ ما جَفَّ بعدُ

أیُّ عیدٍ أتلقَّاه رغیدِ؟

وعدوِّی مُدیهٌ فوقَ وریدی.(2)

فالشاعر استخدم الاستعاره لیرسم صوره جرح القدس العمیق ثم شبّه العدو بالسکین وهذه السکین فوق وریده فهی کل لحظه من الممکن أن تقطع هذا الورید وإذا کان کذلک فلا یبقی معنی للأعیاد والأفراح. وفی هذا

1- (1) المصدر: ص 68.
2- (2) سليمان العيسى، الأعمال الشعريه: 113/1.

المجال قصائد جمّه وعلى سبيل المثال يمكن الرجوع إلى القصائد التاليه:

يوسف الخطيب، عائدون، ص 72 وص 59.

هارون هاشم رشيد، طيور الجنه (قصائد للشهداء)، ص 154.

زكى قنصل، الأعمال الكامله، ص 276.

3. توظيف الخيال

إنّ الصوره الشعريه محاكاه ذاتيه لروح الشاعر، وما يرتسم فى عقله وقلبه من خواطر وأحاسيس، إذ يقوم بتشكيل ذلک الركام من الأحاسيس والأفكار التى تتحاور وتتفاعل فى أثناء عمليه الإبداع، ومن أجل أن تكون الصوره الشعريه ناضجه، فلابد من أن يتسلح الشاعر بخبرات تأتيه من ثقافاته وأسفاره، واطلاعه واحتكاكه، وخياله المبدع، وتكوينه النفسى، وبنائه الاجتماعى، ولعل الخيال يعدُّ فى مقدمه ما يحتاجه الشاعر فى تشكيل صوره الشعريه، فهو قوه خلاقه مبدعه، تعمل على استثاره الرصيد الثقافى عنده، واسترجاع الحاله الشعوريه التى انبعثت عن التجربه، كما يقوم بخلق نوع من العلاقات الخاصه بين الأشياء الخارجيه، وينتقى الأحداث ويختار المواقف الصافيه التى تغذّى التجربه الشعوريه ويعيد تنسيقها لتصبح قادره على تصوير الحاله الشعوريه.(1) «وهكذا أصبحت الصوره وسيله نقل الفكره والعاطفه عن طريق الخيال الذى هو أساس الصوره وعمدتها، وعليه المعّول فى رسم ملامح الفكره والعاطفه.(2) و «الخيال هو المملكه التى يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهم لا يؤلفونها اعتباطاً، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقه لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنه فى مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصوره

1- (1) عبد الحكيم حسان، النظريه الرومانتيكيه: ص 240.
2- (2) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبى: ص 243.

التی یریدونها، صوره تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم.(1) والصور التی یسهم الخیال فی خلقها وإبداعها تکون ذات طرفین؛ الطرف الأول هو الموضوع الذی تعایشه ذات الشاعر، والطرف الثانی هو المصدر الذی تستقی منه الصور مادتها وعناصرها.(2) فالخیال لازم للأدب عموماً، وللشعر بخاصه، «فبدونه تصبح الحیاه علقماً مر المذاق لا تطاق؛ لسبب بسیط: وهو أنها تفقد روحها، تفقد ما یحرک فینا حبّها، إذ تصبح أکداسا ًوأکواماً من الأحداث الزائله التی لاتخلب لبّا، ولاتستهوی بصراً، ولا سمعاً».(3) والأحری أن ننظر لموضوع الخیال عند شاعر القدس دون النظر لتقسیماته حسب المدارس الأدبیه، - کلاسیکی ورومانسی ورمزی - المهم «ألا یکون الخیال برهانیاً عقلیاً، وأن ترتبط الصور الخیالیه بالعاطفه، وألاّ یتنافی الخیال مع العقل، وأن یکون له دور فی التشخیص والتجسیم، وأن یکون قادراً علی الخلق، والإبتکار»(4) بأن یصوّر الحیاه وما یدور حولنا لیأخذ المتلقی وینطلق به إلی عوالم الجمال والأکثر کمالاً. یقول الشاعر «علی عقله عرسان» وهو یردّ علی ادعاء الیهود - بأن إبراهیم کان یهودیاً - مستعیناً بخیاله لرسم بعض قصص الأنبیاء وتصویر تلک المشاهد:

یبوس..

«أورسالم»..

إبراهیم أبی، ما کان یهودیّاً یوما،

ولا کان کذلک ابناه إسحاق ویعقوب،

1- (1) شوقی ضیف، فی النقد الأدبی الحدیث: ص 167.
2- (2) إسماعیل أحمد العالم، مجله جامعه دمشق: 18 / ص 88.
3- (3) شوقی ضیف، فی النقد الأدبی: 172-173.
4- (4) محمد غنیمی هلال، النقد الأدبی الحدیث: ص 448.

وإسماعيل بن إبراهيم من هاجر حنيفاً مسلماً كان، ونَسْلُ

أبيه، لم يشرك بالله ولم يحتكر الله،

ولم يعلُ فوق الخلق باسم الله،

آراميون.. مسلمون.. حنفاء..

فكيف تصير لهم ألسنه تلوک خوارَ العجلِ الذهبی المدْلِجِ

فی لیل التیه،

وليلٌ يصنعه التاريخُ،

ويصنع لليل التاريخ؟

وكيف تضيع رؤاهم فی ليل العميان،

وكيف.. وكيف.. وكيف يا أور؟؟!

موسى الكليم أخذ بلحيه أخيه هارون غَضَبَاً فی صحراء

التيه، لأن العجلَ الذهبی الأجوفَ حلَّ محلَّ الله،

وصار إله التيه ومن فی التيه.(1)

فالشاعر «عرسان» اقتبس من بعض الآيات معناها القرآنی ونفخها فی نصه الشعری لتشكل صوره جديده تختصر الزمان وتضيف إليه مدلولاً قرآنياً مسلَّماً عند المتلقی لتصبح صوره القدس مستاقه من القرآن الكريم والعقيده الإسلاميه، فقوه الخيال فی هذه الصوره استمدها الشاعر من الواقع أوّلاً، ومن ذاته ثانياً لربط أمور متباعده بعضها ببعض، ومن خلال التعبير المباشر وتداعی المعانی، صاغ هذه الصوره التاريخيه لأصاله القدس العربيه والإسلاميه، ليتبلور تاريخ اليهود الملطَّخ بالكذب والعصيان. ومن التجارب الشعوريه المتخيله ما نراه لدى الشاعر «هارون هاشم رشيد» حين يُحيّی الشهداء قائلاً:

1- (1) الأعمال الشعريه: ص 308 و 309.

فتحت «فلسطين» الحبيبةُ صدرها والطَّيِّبون الخالدونَ أفاءوا

والمقبلونَ إلى الرَّدى بِصُدُورِهم لبَّوا، فلا خوفٌ، ولا استخذاءُ

فى «القدسِ» إخوتُهُ تلاقى دَربُهم بِمَسارِهِ، وتلاقت الأشلاءُ

أرواحُهُم تَحْنوُ عليهِ تَضُمُّهُ مِنْ شوقها الأكبادُ والأحشاءُ

والخالِدونَ عَوَاكِفٌ مِنْ حولِهِ، يتحلقون، وتُنْشَرُ الأضواءُ

صلى عليه ملائكٌ وتَفَتَّحّتْ قِمَمٌ، تُرَحِّبُ لَهْفةً، وفَضَاءُ

بُشراهُ بالجنَّاتِ وارفُ ظِلِّها مُتَراَقِبٌ والسِّدره العَلياءُ(1)

لا تكاد تخلو قصيده من قصائد شاعرنا «هارون رشيد» من القدس الشريف، حيث نجده هنا يشيد بشهداء فلسطين والقدس ليعطيها بُعداً ولوناً وصوتاً وصدىً ليمنحها الحركه والحيويه، لهذا يرسم صوره الشهداء وهو يأخذها من المعتقدات الدينيه، فالقدس وفلسطين تفتح صدرها لتغذيهم حب الوطن والدفاع عن حرمته ومقدّساته، إذ المعوّل عليهم فهمُ الغوث والنجده وهم القوه والأمل وهم الفرج والنصر، وذلک لأن الخوف غير موجود فى قواميسهم، ولا يعرفون الموت والرعب، بل هم الموت نفسه، فالموت يلبسه الخلود والسعاده والهناء، خطوت أهل الجنه، موت من أجل الحياه، حياه مع الأنبياء والرسل والنعيم الأزل، فالشاعر عمد إلى أُسلوب التجسيد والتشخيص لرسم هذه الصوره الرائعه. (القدس، فلسطين تفتح صدرها، الشهداء يقبلون عليها إنه لحنان الأم الذى ليس له حدود ثم الجنه ونعيمها يستقبل قوافل الشهداء) (وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ * فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَ ماءٍ مَسْكُوبٍ * وَ فاكِهَهٍ كَثِيرَهٍ * لا مَقْطُوعَهٍ وَ لا مَمْنُوعَهٍ * وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَهٍ) .(2)

1- (1) هارون هاشم رشيد، ديوانه طيور الجنه (قصائد للشهداء): ص 154 و 155.

2- (2) الواقعه: 27-34.

وحيث استفاد الشاعر من الجمل الخبريه فالمسيره مستمره، إما النصر وإما الشهاده فى سبيل الله تعالى.

بعض ما توصل إليه البحث فى هذا الفصل

- استعان الشاعر بالقرآن المجيد وبالتاريخ والتراث الإسلامى والمسيحى بشكل واسع وذلك لتدعيم صوره القدس الفنيه مما أعطاها جمالاً وحيويه خاصه.

- استخدم الشاعر الأمور والحوادث اليوميه لتكون فى خدمه القدس والقضيه وليسجلها كما هى فى تاريخ المدينه كأمانه للأجيال القادمه ولتأجيج العواطف الإنسانيه والتذكير والتنبيه.

- استعمل الشاعر المفردات الصارخه لصياغه الصوره الفنيه لتعبّر عن عمق المأساه.

- أكثر - الشاعر استعمالَ الصور البسيطه والمباشره لسهولتها عند المتلقى.

ص:232

2. اللغه والأساليب فی شعر القدس

اللغه الشعریه

1. الألفاظ والمفردات

اللغه العربیه دیوان العرب ومرآه تفکیرهم لأنها منزل الکائن البشری، یلجأ إلیها لتأکید وجوده وینطلق بها لتحقیق رغباته.(1)

والشعر هو لغه القلوب ومرآه النفوس، فهو یعبّر عن اللغه الشعوریه المؤثره القادره علی الإثاره عند المتلقی - القارئ والسامع - حیثما تنبعث عن وجدان عمیق، وإحساس رهیف، وهذا یستلزم ألفاظاً ذات دلالات نفسیّه وشعوریه خاصه، ولهذا فإن اللغه الشعریه بشکل عام لا بد أن تتسم وتتصف بالألفاظ ذات الإیقاع الموسیقی، والقوه التصویریه والدقه فی اختیار الکلمات، والألفه - بأن تکون الکلمه قریبه من النفوس - والطرافه.

ورعایه المقاییس والقواعد النحویه والصرفیه ولاسیما الإیحائیه فی الدلاله بأن توقظ الألفاظ صوراً ومعانیَ فی ذهن ونفس المتلقی لتمنحه إحساساً عمیقاً بالمتعه

1- (1) عبد الله العلایلی، تهذیب المقدمه اللغویه: ص 21.

والسرور، وذلک من خلال قدرتها علی تفجیر المعانی العاطفیه فی ذات الإنسان.

وفی هذا المضمار لکل شاعر ذوقه وطریقته الخاصه فی اختیار الألفاظ التی یستخدمها للتعبیر عن ما یختلج فی نفسه وذهنه، ولکن من جانب آخر لا بد من خصوصیات وسمات مشترکه ومتصله ببعضها تشکل فی مجموعها اللغه الشعریه.

ابتعد شعراء القدس عن الفضفضه اللغویه الجافه کما نلاحظها فی الشعر التقلیدی القدیم، فعمدوا إلی تصحیح العلاقه بین اللغه والعاطفه وربطها ربطاً متماسکاً، وذلک بالتعبیر عن تجربه الشاعر بلغه حدیثه وعصریه واضحه وسهله الفهم، فأصبحت قصیده القدس ملحاً لا یستساغ طعام الشعر بدونه، ومن أولئک الشعراء نزار قبانی فهو استعمل القاموس اللغوی الحدیث مما جعل جمهوره حاشداً وشهرته لا حدود لها. نلاحظ هذا فی قصائده (القدس، الخطاب، حوار مع عربی، منشورات فدائیه علی جدران إسرائیل) فالألفاظ سهله ومباشره والتراکیب والمفردات سلیمه وفصیحه، قریبه من لغه الشارع حتی وقع نزار من حیث لا یشعر فی استعمال بعض الألفاظ العامیّه لکنها قلیله جداً، وذلک نشاهده فی قصیده «منشورات فدائیه» - إسوارةً من زَهر - فی خبزها المرقوق: فی زیتونها - باقون فی شَیْطَنَه الأولاد، فی خربشه الأقلام.(1)

وکذلک فی قصیدته «حوار مع عربی» - ویردَّ طوابیر الأعداء(2) - وأیضاً فی قصیدته «الخطاب» قد استعمل بعض الألفاظ والمفردات العامیه أمثال - یلبس الطرطور بالرأس.. - وأراجُوزَ الذی کان له ألفُ لسانٍ.. ولسان - یا أمیر البحر، والبَرّ، ویا عالی الجناب.(3) إلاّ أن هذا لا یقلل من قیمه شعر نزار قبانی(4) حیث نراه یدوّی فی سماء کل مدینه وبلد.

ص:234

1- (1) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه الکامله: 182/3.
2- (2) المصدر: ص 218.
3- (3) المصدر: 259.
4- (4) میرفت دهان، نزار قبانی والقضیه الفلسطینیه: ص 2002 م.

وقريب من هذا لغه الشاعر هارون هاشم رشيد، فهى خاليه من الزخارف اللفظيه والصنعه المتكلفه، ولعل هذه الظاهره ناجمه عن نظرته الثوريه والجهاديه حيث يعتقد بأن الكل لا بد وأن يشارک فى قضيه القدس ويعيها بتمام وكامل وجوده.

ويمكن أن نقول إنّ أغلب الشعراء - شده وضعفاً - سار على هذا النهج فحينما ندقق النظر فى شعر القدس ما بين عام (1948-2000 م) نجده قريباً من هذا من حيث الألفاظ والمفردات والتراكيب، فمعظم شعراء القدس قد استخدم الألفاظ الجزله والفخمه فى المواضع التى ينبغى أن تستعمل فيها، ويأتى الشاعر بالألفاظ السهله والرقيقه والمباشره تاره والرمزيه الواضحه نسبيّاً تاره أخرى.

2. التراكيب وأساليبها

أ) التكرار

التكرار فى شعر القدس ظاهره واضحه وشائعه وكثيره، ولها أهميتها الخاصه والرفيعه، إذ لم تكن مجرد ظاهره تقليد للأقدمين من الشعراء فقط، ولا لمجرد التوسع بالمفردات والجمل، بل إنها تحمل فى طيّاتها المعانى والمفاهيم والدوافع الفنيه الكثيره، ترجع إلى مهمه التكرار وأهميتها فى تفجير المعانى الجديده التى لها دلالتها وإيحاءاتها الشعوريه والنفسيّه لدى المتلقى.

ففى أسلوب التكرار يستطيع شاعر القدس أن يكرّس مضامين ومفاهيم معينه من توكيد وتحذير وإغراء وغيرها. ولا يمكن هذا إلاّ من خلال التكرار حيث نجد القصيده التى تحتوى على التكرار مطبوعه فى الأذهان أكثر من غيرها.

ولذا استخدم شعراء القدس ظاهره التكرار بكلّ أنوعها - تكرار الحرف - الكلمه - الجمله وحتى الشطر والبيت - وقد أصبحت من السمات البارزه فى هذا النمط من الشعر، وبشكل عام نشاهد تكرار كلمات، أمثال: المسجد

الأقصى - القدس - إسرائيل - الإرهاب - اليهود - القتل - الموت - الدفن - الضياع - المشرد - اللاجئ - العوده - الثائر - الثأر - الشهاده - الشهيد - السجن - الطفل - الجهاد - الثوره - النضال - و...

ولكن تكرار بعض المفردات له معناه الخاص ونغمته الخاصه، كما نلمس هذا فى قصيده «القدس» لنزار قبانى.

- يا قدسُ.. يا مدينةً تفوح أنبياء.

- يا قدسُ.. يا منارةَ الشرائع.

- يا قدسُ.. يا مدينةً تلتفُّ بالسواد.

- يا قدسُ.. يا مدينه الأحزان.

- يا قدسُ.. يا مدينتى.

- يا قدسُ.. يا حبيبتى.(1)

فالشاعر بهذا الأسلوب ومن خلال تكرار «يا قدس» رسم صوره القدس المأساويه ومكانتها السماويه ومنزلتها التراثيه والدينيه فى قلوب الجميع فأصبحت راسخه لا تزول.

وهذا الأسلوب استعمله الشاعر فى أكثر من قصيده كما نشاهده أيضاً فى قصيدته «طريق واحد».(2)

حيث كرر لفظ «بندقيه» أكثر من ثمان مرّات لما توحى من دلالات نضاليه وثوريّه - أُريدُ بُنُدقيَّه.. - من أجل بُندُقيّه - أمام بُنْدقيَّه.. - أصبح عندى الآن بندقيَّه - فبهذا التكرار قدم الشاعر صوره لتحرير القدس وحسب رأيه إنها الطريقه الوحيده التى من خلالها يمكن أن تعود القدس إلى أهلها.

1- (1) الأعمال السياسيه: 161/3.
2- (2) المصدر: ص 327.

وأمّا أسلوب التكرار عند الشاعر محمود درويش فهى متفشّيه وفنيّه كما نرى ما فيها من التوكيد فى قصيدته (مزامير - الزمور الحادى والخمسون):

ونغنى القدس:

يا أطفال بابلْ

يا مواليد السلاسلْ

ستعودون إلى القدس قريباً

وقريباً تكبرون

وقريباً تحصدون القمح من ذاكره الماضى

قريباً يصبح الدمع سنابل

آه، يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريباً.

وقريباً تكبرون

وقريباً

وقريباً..

هلّلويا

هلّلويا !(1)

بهذا التكرار يرسم الشاعر صوره الأمل والعوده القريبه للقدس ليحل الفرح والبهجه مكان الحزن والعذاب.

ونرى محمود درويش فى قصيده «الأرض» يستعمل أسلوب التكرار ليتحدّى المغتصِب، إذ يقول:

أنا ِالأرض

يا أيّها الذاهبون إلى حبه القمح فى مهدها

ص:237

1- (1) الديوان: 400/1.

احرثوا جسدى !

أيها الذاهبون إلى جبل النّار

مرّوا على جسدى

أيها الذاهبون إلى صخره القدس

مرّوا على جسدى

أيها العابرون على جسدى

لن تمروا

أنا الأرض فى جَسَدٍ

لن تمروا

أنا الأرض فى صحوِها

لن تمروا

أنا الأرض أيها العابرون على الأرض فى صحوها

لن تمروا

لن تمروا

لن تمروا !(1)

ففى القصيده من التكرار ما لا يخفى، فتاره يكرر الاسم - جسدى، وتاره يكرر الفعل - تمرّوا، وتاره أخرى يكرر الأداه - لن - ليجعل الشاعر لكل لفظه منها دوراً وذلك ليكسب الشعر جمالاً ويلفت الانتباه إلى أهميه اللفظه المكرره.

كما نشاهد هذا أيضاً عند نزار قبانى فى قصيدته (فتح) قائلاً:

كالسيّد المسيح.. بعد موتنا نَهَضْنَا..

مهما هُمْ تأَخَّروا، فإنَّهُمْ يأتُونْ

ص:238

1- (1) المصدر: ص 651.

فی حَبَّه الحنطه..

أو فی حبَّه الزیتون..

یأتون فی الأشجار، والریاح، والغصونْ

یأتونَ فی کلامنا..

یأتون فی أصواتنا..

یأتون فی دموع أمَّهاتنا..

فی أعینُ الغالینَ من أمواتنا

مهما هُم تأخروا.. فإنهم یأتون(1)

نری الشاعر فی هذه السطور یصرّ علی شیءٍ ما، وهو التحریر، تحریر القدس والأرض، أوصل لنا هذه الفکره وهذه الصوره من خلال تکرار الفعل المضارع «یأتون» لما فیه من معنی ثبوتی فإنه - أی نزار - قد کرّرها بشکل حتی أیقن المتلقی أنّ رجال التحریر لا محاله قادمون ولو تأخروا نسلاً أو نسلین، ففی هذه السطور نلاحظ الوضوح والسلاسه لکنها عمیقه جداً فی معانیها، إذ استخدم الشاعر أسلوب الإیحاء والرمز وتداعی المعانی. فهو استعمل مفرده «الحنطه» وفیها من الدلاله ما لا یخفی - الفلاح الکادح - لقمه خبز الحلال - الحیویه والخضره - النشأه والطفوله... وکذلک المفردات الأخری فلها رموزها وإیحاءاتها الخاصه - دموع أمهاتنا - فإنّ دموع الأمهات یحمل فی طیاته البراءات والمظلومیه فی الوقت نفسه، والقانون الإلهی القاضی بانتصار المظلوم علی الظالم یوماً ما - جمله أمواتنا - فیها دلاله علی أنّ دم الشهداء سوف یورق الزیتون وینبت الحنطه وهذا لا شک ولا ریب فیه عندما نری القدس قد عادت للمسلمین.

1- (1) نزار قبانی، الأعمال الکامله: 140/3-142.

أمّا هارون هاشم رشيد فهو فى قصيدته «سرحان» يفتح لنا صفحات وصفحات من كتب وسجلّ القدس - المظلوميه، الاضطهاد، الإرهاب، القتل، هتك الحرمات، الاغتيال، الغصب، الدمار، الجوع، العراء، المأساه، فهو حاول تكريس هذه المعانى بأسلوب التكرار والاستفهام قائلاً:

لو يسأل..

لارتعشت أوتارُ القلب

وشبَّتْ فى الأعماق

النارْ..

لو يسألُ..

لأجاب بصوتِ

العزّه

صوت الأحرار!

قتلُوا أهلى،

سرقوا وطنى

ألقوا فوق القدس

العار..

هَدموا

كل أمانىَّ الخضراء،

وداسوا أنفاسَ

الأزهار،

قتلوا مُدُناً

وقرى، ومزارعْ،

واغتالوا أنهار

ص:240

ومشوا فوق

صليبى بكعو بهم

هَدَمُوا

فى القدس

الأسوار

سرحان

وطن

لا يعرف إلّا الحب

سرقوه..

داسوه..

أهانوه بلا ذنب..

زرعوا الأشواک

بعينه،

ودقّوا الرعب..

وتنادوا..

نحن مسيحيون

فيا للكذب..

أبا سم الروح

باسم الابن

باسم الأب

تداس القدس

ويذبح فيها

ويهانُ الشعب..

ص:241

وتشبُّ النار

بصدر الحقد..

تشب تشب..

فليقتُل كل القتلةَ

يرعد

صوتُ الشعب.(1)

استخدم الشاعر أغلب أساليب بناء الصوره - الوصف المباشر - التجسيد - التجريد - التشخيص - ليصوغ صوره مركّبه ومترابطه تحكى لنا هذه المعانى العميقه وترسم صوره القدس المأساويه.

فالشاعر استخدم أسلوب التكرار لما فيه من أغراض شتّى، وكرر - لو يسألوا - أكثر من تسع مرّات، ولو قرأنا كل القصيده لوجدنا الشاعر قد استخدم الأدوات - أين - أىّ - هل - ماذا - كم - لو - فيم - لماذا - وكرّرها أكثر من ثمان وعشرين مرّه ولكنّ الشاعر وضع يده على «لو» بالذات وكررها أكثر من غيرها لما فيها من معنى عرْض أو تمنٍّ أو... فالمعنى الذى أفادته القصيده مع استعمال هذه الأدوات والتكرار هو الذى أعطى القصيده الجمال الغنىّ والمضمون القوى والراسخ.

هذا وكما نشاهد الشاعر على عقله عرسان فى قصيدته «أورسالم صباح الخير» فى مقتطفٍ منها يؤكد أصاله القدس الإسلاميه قائلاً:

أورسالم مدينتنا

تل كنعان المُعْشِب عبر التاريخ،

إرثه الباقى لأبنائنا وأحفادنا من بعدنا،

لا يحميه إلا السيف والدم،

1- (1) هارون هاشم رشيد، الديوان: ص 481-485.

مهما امتد الزمان واتسع المكان،

القدس مدينتُنا.. /القدس مدينتُنا..

القدس مدينتُنا...(1)

ففى سطور القصيده هذه ما لا يخفى من تكرار الكلمات - الزمان - المكان - الجمله الاسميه - القدس - مدينتنا.

من خلال التكرار رسم الشاعر صوره القدس المقاومه وأبنائها وانتمائها لأهلها وأصحابها وهكذا حال أكثر الشعراء الذين أنشدوا القدس شعراً.

والجدير بالذكر أن هناک قواعد للتكرار أهمها أن يكون اللفظ المكرر وثيق الارتباط بالمعنى العام وأن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من قواعد ذوقيه وجماليه وبيانيه.(2)

ب) الاستفهام

من المظاهر الأخرى التى نجدها فى أسلوب شعر القدس، الأسلوب الاستفهامى حيث سَخّر بعض شعراء القدس هذا الأسلوب لغرض التركيز على فكره إثاره مشاعر المتلقى، كما فى الاستفهامات المتكرره فى قصيده «الحب والبترول» لنزار قبانى:

متى تَفهَمْ؟

تغوصُ القدسُ فى دمها.

وأنت صريعُ شهواتک

تنامُ.. كأنّما المأساه ليست بعض مأساتک

متى تفهم؟

1- (1) الأعمال الشعريه: ص 307-308.
2- (2) نازک الملائکه، قضایا الشعر المعاصر: ص 292.

متی یستیقظ الإنسان فی ذاتک؟[(1)]

فالشاعر استعمل الأداه «متی» الاستفهامیه لیضع حدّاً لزمان الغفله والسبات العمیق الذی اتصف به البعض، وفی هذه القصیده أیضاً استعمل الأداه الاستفهامیه «أین» مرّتین للتهکم والسخریه بشجاعه المخاطب.

وأین الوَشْمُ فوق یدیک؟

أین ثقُوبُ خیماتک؟[(2)]

والأسلوب نفسه - أی: الاستفهام - استعمله نزار قبانی لغرض استنهاض همم أبناء الأمه العربیه والأمه الإسلامیه فی قصیدته «القدس».[(3)]

مَنْ یُنْقِذُ الإنجیل؟ مَنْ یُنْقِذُ القرآن

مَنْ یُنْقِذُ المسیح ممَّنْ قتلوا المسیح؟

مَنْ یُنْقِذُ الإنسان؟

وقریب من هذا استفهامات الشاعر نجیب جمال الدین فی قصیدته «عُنوانی علی بردی»، حیث حاول عن طریق أسلوب الاستفهام أن یرسم صوره لمکانه القدس والمسجد الأقصی:

وَ سألتُ أُولی القبلتین:

لِما غدت أُولی؟

وفیمَ اختارها الرحمن

وسَألتُ: کیفَ؟ متَی؟

وَمَنْ مِنْهُمْ؟

وَهَلْ وجهٌ لأُولی القبلتین یُصانُ.[(4)]

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 68/3.
2- (2) المصدر: 64/3.
3- (3) . المصدر: 163/3.
4- (4) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه: ص 71.

ج) النفی

ومن تلک المظاهر التی یلمسها متتبع شعر القدس، أسلوب النفی وذلک لغرض أداء مفاهیم ومعانٍ جدیده تکمن فی ذهن الشاعر؛ لأنه یستقی لغته وإیقاعاتها من قاموسه اللغوی وموروثه العربی والإسلامی، مما یجعل المتلقی یتذوق ویطلب المزید «لأن الإحساس الصادق بقیمه النص الأدبی، وجمال اللغه الأدبیه کائن فی کل إنسان، وإن اختلفت درجاته، وأیقنت أن تجلیه هذا الإحساس وتنمیته ترفعان إنسانیه الإنسان، وإنّ افتقادهما خساره لا یمکن أن یعوضها شیء، کما یقول شکری محمد عیاد.(1)

ومن القصائد التی اعتمد شاعر القدس فیها علی أسلوب النفی قصیده نزار قبانی «منشورات فدائیه علی جدران إسرائیل»(2) وکذلک قصیدته «جریمه شرف أمام المحاکم العربیه»(3) وقصیده «أورسلام صباح الخیر»(4) لعلی عقله عرسان وغیرهما.

فنلاحظ الشاعر نزار قبانی حین یقول:

لَنْ تجعَلوُا من شَعبِنَا

شَعب هنود حمر

فنحن باقون هنا..

باقون فی آذارها..

باقون فی نیسانها..

باقون کالحفر علی صُلبانها

ص:245

1- (1) شکری محمد عیاد، مدخل إلی علم الأسلوب: ص 8.
2- (2) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: ص 195.
3- (3) المصدر: ص 227.
4- (4) الأعمال الشعریه: ص 299.

باقون فى نبيها الكريم، فى قرآنها

وفى الوصايا العشر

لا تسكروا بالنصر

لنْ تُفلِتوا من يدنا..

لن تستريحوا معنا..

كل قتيل عندنا

يموت آلافاً من المرات.

تذكروا..

تذكروا دائماً..

بأن أمريكا على شأنها

ليست هى الله العزيز القدير

وأنّ أمريكا - على بأسها -

لن تمنع الطيور من أن تطير

قد تقتل الكبير، باروده

صغيره، فى يد طفل صغير.(1)

وهكذا نجد شاعرنا نزار قد استغل أسلوب النفى والتكرار معاً وقد أجاد إذ عبّر تعبيراً مؤثراً، بلغه ناريه وعلاجيه فى الوقت نفسه وبعاطفه صادقه، ولذا من هنا صدم الوعى الشعرى الحديث بما كان له من مواقف شموخيه مع ماله من مستوى شعرى يتصف بالجمال الفنى والتعبيرى وما لقصائده من قيمه أدبيه، فهو كرر «باقون» أكثر من ست وعشرين مرّه وكرر الأداه «لن» النافيه نفياً تأبيدياً أكثر من أربع مرات ووحّد بين الديانات السماويه الثلاث لينفى

1- (1) الأعمال السیاسیه: 167/3.

الاحتلال عن ساحته، وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر أن يعطى القدس وأهلها صفه الصمود حاضراً ومستقبلاً.

لعلّ الشاعر نزار قبانى له ميزه تبرز شعره عن غيره، وهى أنک تجده يقدم الحل المناسب فی طيّات كلماته النابضه من إحساسه الصادق فنلاحظ كيف يستغل أسلوب النفی ليحكی ما فی ضميره ويقدم الحلول المناسبه للقدس قائلاً:

لا يمين يجيرنا أو يسارٌ تحت حدِّ السكين نحن سَواء(1)

لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس وضاعت من قبلها «الحمراء»

زعموا أننی طعنت بلادی وأنا الحبُّ كلُّه والوفاء

ما احترفتُ النفاق يوماً وشعری ما اشتراه الملوک والأمراء

لا تعاقب يا ربِّ من رجمونی واعف عنهم، لأنهم جهلاء

افهمونی.. فما أنا غير طفلٍ فوق عينيه يستحمُّ المساء

أنا لا أعرفُ ازدواجيّه الفكر فنفسی بحيره زرقاء..(2)

فالشاعر ينفی الاتكاليه والتعويل على الآخرين، فيؤكد على معرفه الذات من خلال التاريخ وأخذ العبر والدروس ويضرب مثلاً على ذلک قضيه الأندلس، فهو يؤمن بقدره الإنسان العربی ويؤمن بقدره الإنسان المسلم ويرى النصر لا بد وأن يمر عبر هذا الطريق لا غير.

وأمّا الشاعر على عقله عرسان فهو يستخدم أسلوب النفی ليقدّم صوره المقاومه والصمود لمدينه القدس وأهلها قائلاً:

لا سلم بهذی الأرض وأنا مقهورٌ يا أور،

لا سلم بهذی الأرضِ وسيفُ القرصان يحزُّ وريدَ القلبِ،

1- (1) إشاره إلى المعسكر الغربى والشرقى آنذاک.
2- (2) نزار قبانى، الأعمال الكامله: 3/404-413.

ويفرى كلَّ جذورِ الحب،

ويمسخُ كلَّ نداءِ الربِّ،

ويقتلُ.. يقتلُ.. يقتل،

لا سلم بغير القدس،

وكلُّ الأرض القدس.

القدس أمان..

القدس حنان..

القدس أمان.(1)

فالشاعر يكرر الأداه «لا» النافيه لينفى كل شىء دون القدس.

د) النداء

وأما أسلوب النداء والاستغاثه فعمد إليه أكثر شعراء القدس لا سيما هارون هاشم رشيد وحسن البحيرى وسليمان العيسى ومحمود درويش، فهم تاره ينادون الزعماء والحكام وتاره الشعوب وأصحاب الضمائر الحيّه، وتاره أخرى يوجهون النداء للتاريخ وأبطاله، فنلاحظ الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (الحريق) كيف ينادى ويستغيث برسول الله محمد صلى الله عليه و آله قائلاً:

محمداه..

وا محمداه

حناجر الأقصى تصيح

وا محمداه

مناره الأقصى تصيح

وا محمداه

ص:248

1- (1) على عقله عرسان، الأعمال الكامله: ص 320-324.

الصحن والمحراب

والأعتاب والأبواب

جميعها تقول

وا محمداه..

وا أمّه الكماه والأباه

وا أمّه الصلاه والزكاه

المسجد الأقصى احترق

المسجد الأقصى احترق(1)

فكما ذُكر فى كتب النحو بأنّ «وا» حرف نداء مختص بالندبه وهى نداء المتفجّع أو المتوجّع لهذا عمد إليها الشاعر لما فى القضيه - القدس - من وجع وتفجّع، فأخذ يندب ويستغيث بأعلى صوته وعلى لسان «الأقصى» وكل ما اتصل به، فندبه الرسول محمد صلى الله عليه و آله تعنى ندبه الإسلام، تعنى ندبه المسلمين، تعنى ندبه الأمه العربيه، تعنى ندبه الأمه الإسلاميه، تعنى ندبه الإنسان الشريف. فهذه المعانى الراقيه وهذا الجرس الموسيقى وهذا الإيقاع ما هو إلاّ نتيجه أسلوب النداء والتكرار، ولا ريب أنّه يشعل فى صدر المتلقى النار ويجعله يلتهب مع المسجد الأقصى.

نرى الشاعر نفسه يستخدم أداه النداء «يا» لدلالتها على المنادى قريباً ومتوسطاً وبعيداً، ينادى بها وطنه وقدسه حين كان فيه، ويناديه حين أُبعد عنه قائلاً:

يا وطنى..

يا وطن الطهر الممزوق الوجه

المنكسر الأهداب

يا وطنى..

1- (1) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 54.

يا وطن الصخره والمحراب

يا أول من أطلق كلمات النور

وأول من أعطى وأصاب

يا خطو محمد

فوق سماء الله..

ويا درب الأخيار الأحباب

يا مهد يسوع

الفارش فوق دروب الخير

كلام الرحاب

وطنى..

يا وطن الزيتون الخير

يا وطن الأعناب

يا وطن الأمواج المغلوله

فى قيد الأسر...(1)

فالشاعر بهذا النداء رسم حبّه الخالص لوطنه، ولكنّه فى الوقت نفسه استعان بأسلوب النداء ليجسّد لنا عدّه صور، الصوره الأولى هى صوره الوطن، القدس و.. الممزّق بيد العدو، الكئيب والمكبّل بالأغلال. الصوره الثانيه هى أن هذا البلد هو بلد غير عادى لاتصاله بالنبى مُحمّد صلى الله عليه و آله وبالنبى عيسى عليه السلام واتصاله بالسماء. الصوره الثالثه هى براءات هذا الوطن إذ هو وطن السلام، وطن الزيتون.

وهكذا نجد لغه شعر القدس سلسه وسهله التناول لأنه كما يقول نزار قبانى، فإن الشعراء هم الذين «يحركون اللغه ويطورونها ويعطونها هويه

1- (1) هارون هاشم رشيد، الديوان: ص 453.

العصر»(1) على خلاف نهج الشعراء فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبيه حتى عدّ ذلک داء العصر.(2)

الأساليب

1. الأسلوب الخطابى

الشعر ليس مجرد طبع وإنّما هو معرفه لمجموعه من القوانين الأساسيه تشکل ما يسمى العلم بالشعر وکأنّ للعلم بالشعر جانبين متداخلين: جانب فطرى مرتبط بالحساسيه التلقائيه التى يتميز بها الشاعر، والتى تمکّنه من إدراک ما لا يدرکه الآخرون، وجانب آخر مرتبط بالتعليم واتّباع الأصول المتعارف عليها.(3) من تلک الأصول والأساليب: الأسلوب الخطابى حيث عُرفت الخطابه عند العرب منذ أقدم عصورهم وحتى الآن، وتطور الأسلوب الخطابى کبقيه الفنون والأساليب الأدبيه، وأخذ يبرز على صعيدين اثنين، الصعيد الإرشادى والصعيد السياسى، اللَّذين باشرا الأحداث السياسيه والظروف الاجتماعيه خطوه بعد خطوه، ومن هذه الحوادث حادثه احتلال القدس وفلسطين على يد الصهيونيه العالميه المتمثله بإسرائيل، فظهر هذا الأسلوب الشعرى منذ وعد بلفور عام «1917 م» ونکسه حزيران عام «1967» وذلک لأن معاناه الشعب بعد هذه الکوارث هى التى استدعت هذا الأسلوب الخطابى لأنه هو الأسلوب المناسب لعلاج ما وقع على أرض فلسطين.

ففى بدايه هذه الأحداث أخذ شعراء القدس أمثال: نزار قبانى، بدوى الجبل، محيى الدين الحاج عيسى، محمد العدنانى، برهان الدين العبّوشى، محمود الحوت، عبد الکريم الکرمى، يعبّرون عن الحدث مستخدمين هذا

1- (1) نزار قبانى، مع الشعر: ص 51.
2- (2) عمر موسى باشا، الآداب فى بلاد الشام، عصر الزنکيين والأيوبيين والمماليک: ص 513.
3- (3) جابر عصفور، النقد الأدبى: ص 163.

الأسلوب برنّاته ونغماته المهيجه، واتخاذ المناسبه فرصه للعمل الأدبى والشعرى ليفجر الطاقات الكامنه فى قلب الفلسطينى ومشاعر وأحاسيس الإنسان العربى والمسلم لما فيه من سحر العباره وقوّه المعنى.

فترى الحدث نفسه يدخل فى ذات الشاعر الملتهبه ليخرج كلمه محرقه. فهذا الشاعر نزار قبانى قد ألهب المشاعر فى عدّه قصائد خطابيه «الحب والبترول» و «الخطاب» إذ يقول فيها:

خَدَّرونى..

بملايين الشعارات.. فَنِمْت

وأرَوْنى القُدسَ فى الحُلْمِ.. ولَمْ

أجِد القدسَ، ولا أحجارها، حين اسْتَفَقْتُ

فاعذرونى

أيُّها السادهُ، إن كنتُ ضحكت..

كان فى وُدِّى أن أبكى

ولكنّى ضحِكتُ...(1)

وهكذا أصبح شاعر القدس بعد نكسه حزيران مذعوراً يعيش حاله ما بين الموت والحياه، فتراه يخاطب المسجد الأقصى ومنبره فيراه غريباً بين يدى العدو ينتشل أشلاءه، وتاره أخرى يخاطب بعض الساسه آنذاک مهاجماً مواقفهم الخاطئه، فنلاحظه يرسم لنا صوره القدس وأقصاها والذل والهوان الذى لحق بها، وهذا ما نجده فى قصيده «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيرى قائلاً فيها:

مُنعَّمينَ بعيشٍ رائِقٍ رَغِدٍ ما شابَ صَفْوَ أمانِيهِمْ بِهِ كَدَرُ

أعِنْدكم أنّنى فى ليلِ غاشِيَهٍ ريعَ القضاءُ لها واستشعر القَدَرُ

1- (1) الأعمال السياسيه: 271/3.

وأن قُدسى ومعراجى وأرضَهما باتتْ بدُهْمِ الرَّزايا السُّودِ تَأتزِرُ

فكادتِ القِبلهُ الأولى وصخرتُها عن الحَطِيمِ ورُكْنِ البيتِ تَنْبَتِرُ

ألَمْ يروا أنَّ محرابى ومِنْبَرَهُ وآيتى بِدِثَارِ الغَمِّ تَدَّثِرُ(1)

وأمّا عبد الله يوركى حلاق فقد أخذ - وعلى لسان الطفل الفلسطينى - يخاطب جماهير أمته العربيه والإسلاميه، محذّراً من الفُرقه العرقيه والطائفيه فى قصيدته «طفل فلسطينى ثائر» قائلاً:

عربىٌّ عربىٌّ عربى ولى الفخرُ بهذا النسبِ

مذهبُ الفُرقهِ لا أعرفُهُ فاخشوا إنْ تسألوا عن مذهبى

أنا صبٌ تيّمتْنى لُغهٌ صانها القرآنُ أسنى الكُتب

وجهه المحرابِ عندى هيكلٌ فيه عيسى والنبىُّ العربى

بيتُ لحْمٍ، وُلِدَ الفادى بها وجبالُ القدسِ معراجُ النبى

أوَ نرضى أن نراها مسرحاً للبغايا وعبيد الذَّهبِ(2)

كما نعلم إنّ طابع الأسلوب الخطابى، طابع روح الحماسه والتحريض والثوره، فالشاعر يوركى الحلاق كغيره من شعراء القدس، خاطب الجمهور بهذا الإحساس مستخدماً أساليب الخطابه أمثال أدوات النداء والمباشره والتنبيه ليصوغ أحاسيسه ومشاعره ويجعلها متصله بروح المتلقى وليباشر مسؤوليته تجاه القدس. وأرى أن الشاعر لو استنجد بالمسلمين ولم يخص العرب كان أقرب إلى الصواب إذ القدس للمسلمين جميعاً.

وهكذا استمر الأسلوب الخطابى إلى ما بعد نكسه حزيران وحتى بدايه السبعينيات - حرب 73 - ولكن هذه النبره الخطابيه أخذت تهدأ شيئاً ما، حتى

1- (1) حسن البحيرى: لفلسطين أغنى: ص 86-87.

2- (2) عبد الله يوركى حلاق، حصاد الذكريات: ص 191-192.

أشعلتها انتفاضه عام «1987 م» مرّه ثانيه تلازمها الحماسه والحدّه والاستبشار بطلوع الفجر الصادق وزوال الاحتلال الإسرائيلى كما نشاهد هذا عند نزار قبانى، سليمان العيسى، حسن البحيرى، على عقله عرسان، محمود درويش، خالد محيى الدين البرداعى، سلمى خضراء الجيوسى، ولا سيما عند هارون هاشم رشيد، إذ أن أكثر قصائده على هذا الأسلوب الخطابى والوعظى والذى يتمتع بالمباشره والحدّه الثوريه. وهذا ملموس فى ديوانه، مفكره عاشق، قصائد فلسطينيه، ورود على جبين القدس، ثوره الحجر، وها هى رنه خطابه فى قصيده «يا طفلنا» تبث الأمل والحزن معاً إذ يقول:

يا طِفلنا تترقبُ المددا يا طفلنا.. لا تنتظر أحدا

ترمى الحجارةَ.. لا تكفُ يدٌ سَلِمَتْ.. ومَا مَدُّوا إليک يدا

ويَظلُّ قومک فى تحاورهم وتظلُّ وحدُک صامِداً جلِدا

يتحدثون يجىء شَجْبُهمو نهراً من الكلمات محتشدا

والقُدُس داميهٌ، مهدَدَّةً والمَسْجدُ الأقصى.. وَمنْ سجدا(1)

لعلّ الشاعر هارون هاشم رشيد جمع فى هذه القصيده ما بين الأسلوب الخطابى والأسلوب التعبيرى ليرسم صوره الانتفاضه وأطفال الحجاره، وصوره القدس الصارخه وغربتها المستنجده، وكما نلاحظ أن الأسلوب الخطابى له ربط مباشر بالأحداث الفلسطينيه المتواصله.

2. الأسلوب التعبيرى

لا شك أن لشعراء القدس باعاً طويلاً فى استخدام الأسلوب التعبيرى، فعبّروا من خلاله عن عواطفهم الجياشه وأحاسيسهم المتفجّره تجاه القدس بل أرض فلسطين كلها من حبّ وبغض، وحزن وفرح، وبيان حقائق، ورسم أهداف، وأيضاً التعبير

1- (1) هارون هاشم رشيد، قصائد فلسطينيه: ص 52-53.

عن ذات الإنسان الفلسطينى المشرّد والضياع والغربه و.. وذلک لأن الأسلوب التعبيرى أوقع فى النفوس ولعلّه الأکثر تأثيراً من الأسلوب الخطابى، ولهذا قد نهج هذا الأسلوب أغلب شعراء القدس لا سيما فى بدايه الاحتلال الصهيونى وحادثتى النکبه «1948» والنکسه عام «1967» والحوادث الداميه الأخرى، ومن ذلک قول الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته (قصيده إلى القدس):

أجَل إنى من القدسِ

وفيها قد نما غَرْسى

جذورى فى عروق الصخر

فى الصلّد، وفى الملس

ومن کنعان بى نبضٌ

ومن عدنان، من قيس

من الماضى، من الحاضر

من يومىَ، من أمسى

عريق المجد والأنساب، مشدود إلى الشمس

بها أختالُ فى الدنيا.

وأمشى رافع الرأس.(1)

فعبّر الشاعر عن انتمائه للقدس وأصله العريق الممتد فى جذور التاريخ، وحقّه الواضح کالشمس فى ربوع النهار، ولو عاش الغربه وتجرع آلامها.

ومن خلال تتبعى لشعر القدس لاحظت أن أکثر هذا الأسلوب استخداماً فى شعر المقاومه، حيث أصبحت اللغه التعبيريه فى هذا النمط من الشعر، هى وسيله الأداء، کما نلاحظ فى قصيده الشاعره فدوى طوقان «أردنيه فلسطينيه فى إنکلترا».

1- (1) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص 14-16.

عبّرت فيها عن ضياعها وفقدان الهويه الفلسطينيه - حسب المزاعم الغربيه - فإنّها شاعره بلا وطن:

طقس كئيب

وسماؤنا أبداً ضبابيه

من أين؟ إسبانيه؟

كلا

أنا من.. من الأردن

عفواً من الأدرن؟ لا أفهم

أنا من روابى القدس

وطن السّنى والشمس

يا، يا، عرفت، إذن يهوديه

يا طعنه أهوت على كبدى

صمّاء وحشيه

ثم تابعت قائله تحاور جارها الإنكليزى:

وأنت يا جار الرضى من فتّح الجراح

ذكرتنى أنى من الأرض التى تمزّقت

أنّى من القوم الذين من الجذور اقتُلِعوا

من الجذور..

وأصبحوا على مدارج الرياح

وأصبحوا مبعثرين ها هنا وها هنا

لا ينتمون إلى وطن...(1)

ص:256

1- (1) فدوى طوقان، الديوان: ص 312 و 313.

فالشاعره عبّرت عن صوره المواطن المغترب بأنه بلا وطن وأنّ مُواطن القدس ليس هو ذلك الصهيونى المغتصب. وأيضاً عبّرت عن صوره الشعب كيف اقتُلع من أرضه فلسطين وتبعثر مع الرياح بعد ما أصبحت أرضه يطمسها الضباب منع نور الرؤيه الحقيقيه لها. وقريب من هذا قصيده الشاعر هارون هاشم رشيد «غرباء» وغيرها ولا سيما فى الشعر المهجرى وغيره من شعر القدس الغنائى.

3. الأسلوب الرمزى والأسطورى

اعتنى شعر القدس فى «سوريه ولبنان وفلسطين» بالرمز الشعرى إلى حد كبير، وقد كان الدافع إلى استخدامه، طبيعته الإيمائيه، والغنيّه والمثيره، وسماته الفنيّه والجماليه ومهامه الاجتماعيه أيضاً، «فالرمز الشعرى لا ينفصل عن التجربه الشعوريه، إنّه مرتبط بها أشد الارتباط. بين الرمز الشعرى والمرموز إليه علاقه تداخل وامتزاج. فالتجربه الشعوريه إمّا أن تفرغ شحنتها فى رموز قديمه فتستدعيها وتستحضرها، وإمّا أن تركز الشحنه العاطفيه أو الفكريه فى ألفاظ تضفى عليها طابعاً رمزياً فيكون الرمز المستخدم جديداً». (1) وفى هذه الحاله «الرمز هو اللغه التى تبدأ حين تنتهى لغه القصيده التى تتكون فى وعيك بعد قراءه القصيده أنّه البرق الذى يتيح للوعى أن يستشف عالماً لا حدود له، لذلک هو إضاءه للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر. (2) وقد يكون الرمز مشيراً إلى حادثٍ أو تاريخٍ أو أسطوره أو قصه. لأن الرمز لغه هو: «الإشاره بالشفتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو الفم، أو اليد، أو اللسان، وأكثر ما يكون ذلک على سبيل الخفيه» (3) والإشاره تختلف درجات وضوحها

1- (1) أدونيس، زمن الشعر: ص 239.
2- (2) المصدر: ص 239.
3- (3) القاموس المحيط، ماده رمز.

وخفائها وذلک حسب قدره الشاعر وإرادته، فالصوره الرمزیه مره تکون ناظره إلی شخصیه تاریخیه کما فی قصیده «قرطبه» للشاعر الفلسطینی «خالد أبو خالد» قائلاً:

وینهض تشرین بوابتین إلی القدس واحده

وإلیکِ.. إلیک

فلسطین

تنصب فی داخلی

أمطرت

والرذاذ المورد یغرق ناصیتی

وعیونی

ومتعبه رئتی

فالحصار شدید

هنا زمنی.. قرطبه(1)

لا تلومی الریاح التی حملت جسدی

لکننی إذ تلوح علی الأفق عیناکِ

أربح معرکه بالمسیر

ولو خطوتین

بدون الجیوش التی ذبحتنی

وراحت تطارد رأسی بأعلامها السود(2)

فالشاعر استدعی شخصیه عبد الرحمن الداخل وشبّه رحلته إلی قرطبه برحله الفلسطینی عندما فرض علیه الحصار، فقرطبه رمز استعان به

الشاعر

ص:258

1- (1) العاصمه الأسلاميه (97-222 ه) فی الأندلس.
2- (2) خالد أبو خالد، شاهراً سلاسلی أجی ء: ص 37-39.

لتصویر واقعه المأساوی، ولکن عبد الرحمن وصل إلی قرطبه والشاعر خالد أبو خالد ما زال فی الطریق ولم یصل إلی القدس، ولکنه یواصل المسیره بما لدیه من آمال.

وقد یرتکز الرمز علی حادثه تجعل المتلقی یرجع إلی الوراء ویقارن الحاضر بالماضی «مدرید - غرناطه» لیرسم صوره ما یجول فی نفسه، کما فعل الشاعر ذاته - خالد أبو خالد - حین أخذ یشکک فی السلام الصهیونی ویصب حنینه نحو القدس، إذ یقول:

لغرناطه الآن خیمتها.. وامتداد الطریق..

وغرناطه الآن مطروده فی الممالیک..

ذاکره فی السنابک..

تعیش المسافه بن الخیام وبین السلام..

تری القدس مکسوره فی المداد.. ومکسوره فی الحطام.

تعیش المسافه للأهل..

یبتعدون..

ویبقی النخیل..

یجر حقائبه فی الحنین الطویل..

یقول لها.. لا تخافی..

تخاف.. ویفترقان علی موعد فی الجلیل..(1)

وأمّا سمیح القاسم فبعدما لمس النکبات والنکسات فی وطنه وأرضه، استعان بماضی العرب لیجعل صقر قریش فی قصیدته «دمی علی کفی» رمزاً لعمق المأساه وبحثاً عن المجد فی جوّ من الحنین

1- (1) المصدر: ص 13-17.

والعويل، وإصراراً على العوده للقدس السليبه:

ونفسى يا ذوى القُربى

ينازعها.. وإن شيدتُ ملک الله فى الغربه

ينازعها حنينُ السفر للأوبه

ونفسى رغم دهر البين/ رغم الريح والمنفى

ورغم مراره التشريد،

تدرک.. تدرک الدربا !!..

فالشاعر يلجأ إلى الرمزيه التى من سماتها أنّها تشرک المتلقى فى العمل الأدبى فتصبح الفكره الشعريه وليده لفكر الشاعر وفكر المتلقى وخيال الشاعر وخيال المتلقى فى اندماج والتحام جميل، فالرمز يستدعى الحركه فى المتلقى ويدفع إلى التجاوب مع العمل الأدبى تجاوباً فعلياً حيّاً يعطى العمل الأدبى قيمه أكبر.(1)

وأكثر الشعراء الذين عمدوا إلى هذا الأسلوب فى موضوعنا: خالد أبو خالد، نجيب جمال الدين، سميح القاسم، محمود درويش، فدوى طوقان، نزار قبانى وغيرهم.

ويمكن أن نقول فى هؤلاء كما قال الدكتور أسعد على «بأن الكلمه بل اللغه هى إيحاء وتكمن قيمتها بما توحى وبما يشيع فيها من إحساسات ومشاعر وعواطف، تختلف من شخص إلى شخص ومن موقف إلى آخر، ولا يخفى ما تمنحه الكلمه من بُعد إيحائى إذا ما استعان الإنسان بها لتفصح عن ذات نفسه، وتظهرها وتظهر لها حقائق الناس والأشياء».(2) فالشاعر من خلال الرمز يوحى للآخرين ما لا يمكن دونه.

1- (1) هيام رمزى، فدوى طوقان شاعره أم بركان: ص 32.
2- (2) صناعه الكتابه، الكتاب الثانى، ص 93.

4. شعر التفعيله

شهد الشعر فی العصر الحدیث مراحل متعدده أثّرت فیه المتغیرات الزمانیه والمکانیه انتهت فی بدایه القرن العشرین إلی ما یسمی بالشعر الحر أو الأحری شعر التفعیله، وسواء کانت الدواعی التی تمخض منها هی رواسب الحرکه الرومانسیه أو آثار الأدب والثقافه الغربیه أو هما معاً، وسواء کانت النواه الأولی هی قصیده «هل کان حباً» عام «1946 م» للشاعر العراقی بدر شاکر السیاب، أو قصیده «الکولیرا» عام (1947 م) للشاعره العراقیه نازک الملائکه کما رجحه الکثیر من النقاد «لأنه یدل علی وعی وتصمیم لدی نازک أکثر مما کان لدی السیاب»(1) وهجومها العنیف علی الشعر العمودی یمکن أن یکون دلیلاً أیضاً إذ تقول: «ألم تصدأ لطول ملامستها الأقلام والشفاه منذ سنین وسنین؟ ألم تألفها أسماعنا وترددها شفاهنا، وتعلکها أقلامنا حتی مجتها، منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتی لم یعد له طعم ولا لون، لقد سارت الحیاه وتقلبت علیه الصور والألوان والأحاسیس ومع ذلک ما زال شعرنا صوره لقفا نبک، وبانت سعاد، والأوزان هی هی والقوافی هی هی، وتکاد المعانی تکون هی هی ومهما یکن له من أنصار وخصوم،(2) تعتبر التفعیله الرکیزه والرکن الأساس فی هذا النوع من الشعر، ومن هذه الزاویه لا یختلف شعر التفعیله عن الشعر العمودی إذ یشترک معه فی التفعیلات الثمان - فعولن، فاعلن، فاعلاتن، مستفعلن، متفاعلن، مفاعیلن، مفاعلتن، مفعولات - إلا أنه یمتاز عنه من ناحیه الشکل والمضمون، ویری

1- (1) شلتاغ عبود شراد، تطور الشعر العربی الحدیث: ص 228.
2- (2) أبرز أنصاره هم: بدر شاکر السیاب، نازک الملائکه، عبد الوهاب البیاتی، بلند الحیدری، عبد الصبور، أحمد عبد المعطی حجازی، نزار قبانی، خلیل حاوی وأمّا نقاده فأبرزهم:توفیق الحکیم، أنور الجندی، عمر فروخ والعقاد وقد ذکر الدکتور شلتاغ عبود شراد بعض دلائل الفریقین فی کتابه تطور الشعر العربی الحدیث: ص 232-233.

الدكتور شلتاغ عبود شراد بأن هذه التجربه الشعريه «صبت دماً جديداً فى شرايين الشعر العربى من ناحيه القيم الفنيه التى استطاعت أن تحمل هموم إنسان المنطقه وآماله».(1)

ومن المعلوم أن حديثنا ليس فى هذا الصدد، إذ نريد أن نعرف صدى القدس فى شعر التفعيله، وأثر شعر التفعيله على قضيه القدس، ومن هم روّاده من الشعراء فى محور البحث.

لا ريب أن موضوع القدس من الموضوعات المهمه فى الشعر الفلسطينى والجديده فى الوقت نفسه، حيث التهبت صدور الذين كتبوا شعر التفعيله أمثال: محمود درويش، توفيق الصائغ، فدوى طوقان، توفيق زياد، خالد أبو خالد، نزار قبانى، على عقله عرسان، سليمان العيسى، سميح القاسم، معين بسيسو، سلمى خضراء الجيوسى ونجيب جمال الدين بهذا الموضوع، وقد انتصر هذا الفن للقدس المغتصبه وبعد نكسه حزيران إذ كان لها الوقع الشديد فى نفسيه الشاعر فلجأ لشعر التفعيله لما فيه من حريه التعبير ووحده نغم وموسيقى كما نراه عند نزار قبانى وغيره من الشعراء، ولعل هذا النوع من الشعر يمثل 80 إلى 90 من شعر القدس بعد عقد الستينيات على هذا الأسلوب والفن الشعرى.

فللشاعر نزار أكثر من سبع قصائد، سجّلت القدس فى قلب الأيام والتاريخ وكلّها على نظام التفعيله(2) حيث يتحرر الشاعر فى شعر التفعيله من قيود الأوزان والقافيه، ولعل هذا التحرر يناسب إحساس وعواطف الشاعر والمتلقى أكثر فى العصر الحديث. نلمس هذا فى شعر نزار قبانى أكثر من غيره إذ تحرر من القيود الظاهره والباطنه، أليس هو القائل فى قصيده «الخطاب»:

1- (1) المصدر: ص 239.
2- (2) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 59/3، 137، 4، 159، 197، 259 و 230.

خَدّرونى..

بملايين الشعارات.. فَنمت

وأرَوْنى القُدسَ فى الحُلْمِ.. ولَمْ

أجِد القدسَ، ولا أحجارها، حين اسْتَفَقْتُ

فاعذرونى

أيُّها السادةُ، إن كنتُ ضحكت..

كان فى وُدِّى أن أبكى

ولكنّى ضحكت..

كنت فى المغفر مكسُوراً كبلّور كنيسه

نافخاً (سوره ياسين) بوجه القاتلين..

لم أكن أملک إلا الصبر..

(والله يحب الصابرين)

وجراحى كبساتين أريحا

يُمطرُ الياقوتُ منها..

ويضوع الياسمين..

و فلسطين على الأرض حمامه..

سقطت تحت نعال المخبرين(1)

فكما ترى نازک الملائکه «بأن الشاعر غير ملزم باتباع طول معين لشطره وهو كذلک غير ملزم بأن يحافظ على خطه ثابته فى القافيه، فما يكاد يبدأ قصيدته حتى تخلب لبه السهوله التى يقوم بها، والموسيقيه التى تمتلكها الأوزان الحره».(2)

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 3/271-273.
2- (2) قضايا الشعر المعاصر: ص 28-29.

أمّا الشاعر الفلسطينى «محمود الحامد» الذى غلب شعر التفعيله عنده، فوردت القدس فى شعره وهو يعبّر عن مكانتها بزفرات وحنين قلّ نظيره، من أجلها يقدّم الغالى والرخيص ففى قصيده «لحفنه من بُرتقال الجليل» يقول:

أقول: أكتبينى

إذا متُّ عبر نهوض الخمائل

هناک ببياره البرتقال

قتيلاً من العشق ماتَ

وقاتل

إنّ الذينَ

يُحارون هذا الجنون قلائل

فكم كنتُ أوغل فى الورد عشقاً

وأقرأ فى القمح سرّ التفاؤل

وإمّا تخاصم من أجل ليمونهٍ عاشقوها

همستُ: كفى..

لا أحب المشاكل

ولكن..

لأجلک يا زعترَ القدس

نمشى على النار،

نعبرُ فى المستحيلِ ونمضى

إلى الصُبح.. لا هَمَّ

أن نَغْدُوَ البرقَ عند الصَّهيلِ،

وأن تستحيلَ دمانا مشاعل

وهذا بريدُ الحبيبهِ يأتى

ص:264

سريعاً وعاجل:

تعالَوا..

كفى غربه فى المنافى

فما زال فى الصَّدرِ عشقٌ فتىٌّ،

وما زال فى الجُرحِ نبضٌ يُقاتل !!!(1)

فالشاعر يحن للقدس ويطرب لها إذ تجرى فى شراايينه مجرى الدم حتى أصبحت ذات دلالات وإيحاءات رمزيه بين العاشق والمعشوق، والإيقاع الصوتى للقصيده جعل الصوت منسجماً مع المعنى ليزيده عمقاً وحلاوه وطلاوه، ورنّات الموسيقى جعلت القصيده لها موجات ونغمات متسقه ومترابطه.

وإذا أردنا أن نلخّص أهم العلل والأسباب التى سوّغت شعر التفعيله فهى:

1. الذاتيه وحريّه التعبير فى هذا الفن الشعرى.

2. اتّساعه للبيان وبثّ الأفكار والمعتقدات لا سيما الاجتماعيه والسياسيه منها.

3. عدم وجود القوانين والقيود كما هو فى الشعر التقليدى.

4. البساطه والسهوله والوضوح فى التعبير والألفاظ.

5. اقتصار المسافه بين الشاعر والمتلقى.

لذا شاع هذا الأسلوب الشعرى خصوصاً فى أرض الشام بعد الستينيات وساعد شعراء القدس لإحياء القضيه وحفظ المدينه، وهى أيضاً ساعدت شعراءها لتفجير هذا الفن والأسلوب ورونقه على أحسن وجه.

5. القدس والشعر المنثور

أجمع الأدباء على أن أركان الشعر هى الأوزان والقوافى، وحتى شعر التفعيله لم يلغ هذه الأركان بشكل تام، ولكن ظهرت فى العالم العربى منذ

1- (1) محمود الحامد، شهقه الأرجوان: ص 44-46.

الخمسينيات وتحديداً فی لبنان، حرکه شعريه تسمى النثر شعراً وتدعو إلى إلغاء «التفعيله» أيضاً، ومن هنا تحولت قصيده النثر إلى «ثوره على الإنجازات التی حققتها المرحله الأولى من شعر التفعيله على يد روّادها من مثل نازک الملائکه والسياب وصلاح عبد الصبور حيث أتت على کل قاعده تتصل بفن الشعر فجعلتها کالرميم، فلا وزن ولا قافيه ولا قيم فکريّه ولا أهداف إنسانيه وإنما سيل من المفردات ورکام من الأوهام لا يعرف لها رأس ولا رجل». (1)

ويعتقد روّاد هذا الفن الشعری أمثال: جبران خليل جبران، محمد الماغوط، أنيس الحاج، توفيق صايغ، جبرا إبراهيم جبرا وأدونيس أحمد «على سعيد» (أن الوزن والقافيه قيود عارضه على الواقع الشعری تشل قدره الشاعر، يقول أدونيس «إنّ على الشاعر المعاصر لکی يکون حديثاً حقاً أن يتخلّص من کل شیء مسبق، ومن الآراء المشترکه، إنّ هدف القصيده الحديثه هو القصيده نفسها». (2)

فهم يعتقدون أن النثر المتحرر من القيود هو المطلوب لدى الشاعر المعاصر، وأما نزار قبانی فيرى «بأن القصيده الحره هی اجتهاد، وقصيده التفعيله هی اجتهاد، وقصيده النثر هی اجتهاد ولا يجوز أن يطلق الرصاص عليها، بحجه أنها تقول کلاماً ليس له سند». (3)

على أيه حال فإنَّ شعر النثر من الأفضل أن لا يسمى شعراً لأنه أقرب إلى النثر الفنّی من الشعر، إذ لا نجد فيه الإيقاع القوی ولا الوزن ولا القافيه ولا يحرک الأحاسيس والعواطف، ولو کانت له قيمته الفنيه الخاصه به.

وأمّا القدس فلم يکن لها نصيب يعتنی به فی قصيده النثر حيث تتبعنا دواوين شعراء محور البحث إلا إن هناک محاولات قام بها بعض الشعراء،

1- (1) شلتاغ عبود شراد، تطور الشعر العربی الحديث: ص 237.
2- (2) أدونيس، زمن الشعر: ص 42.
3- (3) محيی الدين صبحی، الکون الشعری عند نزار قبانی: ص 20.

وكنموذج على ذلك نأخذ قصيده «كوابيس الليل والنهار» للشاعره فدوى طوقان حيث حاولت مزج شعر التفعيله بالشعر النثرى، قائله:

فى صحف القدس اليوميه أرمى عينىّ

أقرأ خبراً كالأخبار:

بيت لحم - فوجئ المزارعون فى خربه بيت سكاريا

بمجموعه من الجرافات خرجت من مستعمره كفارعصيون

وشرعت فى قلع المزروعات فى أرض تلك البلده

أقرأ شكوى مرفوعه

لوزير الحرب:

«إبراهيم عطا الله من بيت سكاريا شمال كفار عصيون - قضاء

بيت لحم.

الموضوع: مصادره أرض زراعيه تخصنى.

أحيطكم علماً بأن الأرض التى أملكها والتى تقع فى بيت

سكاريا، وهى مصدر رزقى ورزق 21 شخصاً أعيلهم من

فلاحتها، قد تم الاستيلاء عليها، ليله أمس الأول حيث قامت

الجرافات بإزاله المحصول الذى عرقت من أجله طيله عام

كامل أناشدكم باسم أطفالى الذين سيموتون جوعاً أن تتخذوا

اللازم لإعاده الأرض التى لن أقبل عنها بديلاً أو تعويضاً»

ذات الأخبار..

لا شىء جديد

لا شىء جديد فى الأخبار

لاشىء مثير

يغشانى الغثيان المرّ

ص:267

يا دودوةَ علقٍ فى قلبى تغزو قلبى

وتظلُّ تمصُّ دماءَ القلب !

ما هذا ما هذا يا رب ؟

ويردُّ الصمت.(1)

موسيقى شعر القدس

اشاره

منذ وجد الشعر وجدت معه الأوزان، فالشاعر لا ينطق كلامه فى لغه عاديّه وإنما ينطقه موزوناً، وكأنّه يلبّى فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات، إذ كنا نتصايح بأصواتنا، وكأنما كل صيحه كانت كلمه أو قل كانت قصيده، نعبّر بها عن مشاعرنا وإحساساتنا، تلك الإحساسات والمشاعر التى كانت تشبه محيطاً منجمداً.(2) ويتألف الشعر كما يرى الدكتور جابر عصفور «من كلمات تنتظم فيما بينها انتظاماً مخصوصاً، تبعاً لتعاقب الحركه والسكون، مما يصنع الشعر ويعد من جمله جوهره»(3) ولهذا فإن موسيقى الشعر تعد من أبرز سماته كما كان يعتقد السلف من علماء العربيه حيث لا يرون ميزه بين الشعر والنثر إلاّ الوزن والقافيه. «وللشعر نواح عدّه جماليه، أسرعها إلى نفوسنا، ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام فى توالى المقاطع وتردّد بعضها بعد قدر معين منها، وكلّ هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر»(4) وهكذا اهتم النّقاد بقضيه موسيقى الشعر التى تفجّرت بها قريحه الشعراء قديماً وحديثاً. حيث ترنمت بها نفوسهم لتظهر ما يختلج فى صدورهم من شعور وأحاسيس، وقد التزم الشعر العربى بموسيقاه وزناً وإيقاعاً رغم محاوله الانفلات التى تعرض لها على مر

1- (1) فدوى طوقان، الأعمال الكامله: ص 454-455.
2- (2) شوقى ضيف، فى النقد الأدبى: ص 99.
3- (3) جابر عصفور، النقد الأدبى: ص 293.
4- (4) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر: ص 8-9.

العصور الشعريه لا سيما بعد النصف من القرن العشرين الميلادى.

ويمكن أن تقسّم مراحل تطور الشعر العربى إلى ثلاث مراحل هى:

1. مرحله القصيده العموديه أو بما يسمى الشعر الخليلى ببحوره السته عشر.

2. مرحله شعر التفعيله حيث تتكرر التفعيله فيه فى السطر الواحد أو تتكرر بعد عدد من السطور الشعريه.

3. مرحله القصيده النثريه وهى أشبه ما يكون بالنثر لا الشعر. ومهما اختلفت التسميات فإن الإيقاع والوزن احتفظ بمكانته شده وضعفاً.

وحسب ما يرى عبد الحميد جيده أنه لا بُدَّ من التمييز بين نوعين من الموسيقى فى الشعر:

1. الموسيقى الخارجيه: وهى التى تتألف من الأوزان الشعريه المعروفه ومن القافيه.

2. الموسيقى الداخليه: وهى التى تتألف من النغم الذى تجمع بين الألفاظ والصوره، أو بين وقع الكلام والحاله النفسيه للشاعر، وهذه مزاوجه تامّه بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقى(1) وكثيراً ما يستخدم فى الموسيقى الداخليه أنواع المحسنات البديعيه كالجناس، والتكرار والطباق ولزوم ما لا يلزم والتصريع وغيرها.

1. الموسيقى الخارجيه

أ) الوزن

تتشكل الموسيقى الخارجيه من الوزن والقافيه و «الوزن أعظم أركان حد الشعر» كما يقول ابن رشيق.(2)

1- (1) عبد الحميد جيده، الاتجاهات الجديده فى الشعر العربى المعاصر: ص 352.
2- (2) ابن رشيق، العمده فى محاسن الشعر وآدابه: 1 / ص 268.

والملاحظ أنّ شعراء القدس اعتمدوا وحده الوزن والقافيه غالباً إلى النصف الأول من القرن العشرين أمثال محيى الدين الحاج عيسى، برهان الدين العبّوشى، عبد الكريم الكرمى، بدوى الجبل، سليمان العيسى، إلياس قنصل وغيرهم، ثم استمر بعضهم فى شعره العمودى إلى يومنا هذا، وهناک من نوّع فى قصائده بين القديم وشعر التفعيله أمثال نزار قبانى، محمود درويش، فدوى طوقان، هارون هاشم رشيد، سميح القاسم، توفيق زياد، حسن البحيرى.

ونشاهد الميل إلى شعر التفعيله عند بعض هؤلاء أكثر - قبانى، درويش على عقله عرسان، خالد أبو خالد، محمود حامد، نجيب جمال الدين، سلمى خضراء الجيوسى فرجحوا شعر التفعيله على غيره غالباً.

فمن الفئه الأولى التى سلكت الشعر العمودى، قصيده الشهيد عبد الرحيم محمود «الشهيد».

سأحمل روحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردى(1)

وهى على البحر المتقارب التام.

ففى شعر هذه الفئه قد بدت ملامح التغير والتجدد فى الشكل والمضمون والأغراض. واللغه الشعريه تبرز فى شعر القدس فى الأقطار الثلاثه «سوريه - لبنان - فلسطين» إلا أن الوزن الخليلى كان هو المتبع.

وبعد ما شهد شعر القدس ظهور شعراء أمثال نزار قبانى، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، أخذ شعر التفعيله مأخذه فى هذه الأقطار فنظم الشاعر نزار قبانى ما يقارب 80 من شعره على نظام التفعيله مقابل 20 من الشعر التقليدى، فأنشد قصيده القدس على وزن تفعيله الرجز «مستفعلن»:

1- (1) الديوان: ص 130.

بَکَیْتُ.. حتّی انتهت الدُموعْ

صلّیتُ.. حتی ذابتِ الشُمُوعْ

رکعتُ.. حتّی مَلّنی الرُکوعْ

یا قُدْسُ.. یا مدینتی

یا قُدْس.. یا حبیبتی(1)

وهکذا نظم نزار قبانی قصیده «طریق واحد» علی وزن تفعیله الرجز «مستفعلن»:

یا أیُّها الثُوارْ

فی القدسِ، فی الخلیل، فی بیسانَ، فی الأنوارْ

فی بیت لَحْم..

حیثُ کنتمْ أیُّها الأحرار...(2)

وکذلک نظم قصائده «فتح»(3) و «منشورات فدائیه»(4) «حوار مع عربی»(5) علی وزن تفعیله «المتدارک» فعلن:

لو أنَّ بحیره طبریّا تعطینا بعضَ رسائلها..

لاحترقَ القاریءُ والصَفَحاتْ..

لو أن القدسَ لها شفهٌ، لا ختنقَتْ فی فمها الصلواتْ..

لو أنَّ..

وهکذا قصیدته «شعراء الأرض المحتله» علی التفعیله نفسها.

1- (1) نزار قبانی، الأعمال السیاسیه: 159/3.

2- (2) المصدر: ص 335.
3- (3) المصدر: ص 137.
4- (4) المصدر: ص 165.
5- (5) المصدر: ص 215.

وأمّا قصيده «الحب والبترول» (1) فهى على تفعيله الهزج «مفاعيلن» وقصيده «الخطاب» (2) فهى على تفعيله الرمل «فاعلاتن». وهكذا أكثرَ الشاعر نزار قبانى من شعر التفعيله، لما فيها من حريه التعبير والحماسه والعذوبه والرقه، لتساعد شاعر القدس لإظهار ما فى صدره المتفجّر ونفسه المتأججه.

ب) القافيه

يرى ابن رشيق أن القافيه لا تقل عن الوزن لأن الشعر مركب من عنصرين اثنين هما الوزن والقافيه ولا يكون الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافيه. (3)

«وسميت القافيه قافيه لأنها تقفو أثر كل بيت» (4) وللقافيه أنواع أهمها:

أ) القافيه المتمكنه وهى التى يبنى البيت كله عليها.

ب) القافيه القلقه وهى يأتى بها الشاعرلتمام الوزن فقط.

ج) القافيه المقيده وهى التى يكون رويّها ساكناً فيتخلص الشاعر من الإعراب فى آخر البيت.

د) القافيه المطلقه وهى التى يكون رويّها متحركاً.

لذا تنوّعت القوافى فى شعر القدس لتكون موسيقى الشعر متنوعه ولتظهرقوه شاعر القدس وعدم ضعفه، فعمد نزار قبانى فى شعره العمودى إلى استخدام الحروف القوّيه لتكون قافيه شعره، أمثال الهمزه والباء والنون، فنلاحظ الهمزه فى قصيدته «إفاده فى محكمه الشعر» وهى من البحر الخفيف إذ يقول:

1- (1) المصدر: ص 59.
2- (2) المصدر: ص 159.
3- (3) ابن رشيق، العمده: ص 139.
4- (4) المصدر: ص 159.

لا يمينٌ يجيرُنا أو يسارٌ تحتَ حدِّ السِكّين نحنُ سَواءُ

لو قرأنا التاريخَ.. ما ضاعتِ القدسُ وضاعتْ من قبلها (الحمراءُ)..

يا فلسطين.. لا تزالينَ عَطْشى وعلى النفْطِ نامتِ الصحراءُ(1)

وقافيه حرف الباء فى قصيدته «من مفكره عاشق دمشقى» من البحرالبسيط:

وخلَّفُوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريةً تُبيحُ عزَّةَ نهديها لمن رَغِبَا

أيا فلسطينُ.. مَنْ يُهديكِ زَنْبقةً ومَنْ يُعيدُ لكِ البيتَ الذى خَرِبَا(2)

لها وقعها الموسيقى فى النفوس وجمالها الشعرى الفريد.

وعلى القافيه نفسها جاءت قصائد هارون هاشم رشيد «دعوه إلى الكتابه»(3) وزيتونه(4) وفدائيون لا إرهابيون(5) وكذلک قصيده «نشيد الجهاد»(6) و «طفل فلسطينى ثائر»(7) للشاعر عبد الله يوركى حلاق.

وأمّا قافيه الهمزه فجاءت عليها قصائد الشاعر يوسف الخطيب «عرش الفداء»(8) وقصيده الشاعر هارون هاشم رشيد «من قلبى»(9) وقصيده «يا شاعرى لا تقبل العزاء»(10) وأمّا قافيه النون فنظم عليها الشاعر حسن البحيرى قصيدته

1- (1) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 405/3.
2- (2) المصدر: ص 422.
3- (3) هارون هاشم رشيد، ورده على جبين القدس: ص 91.
4- (4) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 98.
5- (5) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه: ص 135.
6- (6) عبد الله يوركى حلاق، حصاد الذكريات: ص 55.
7- (7) عبد الله يوركى حلاق، المصدر: ص 191.
8- (8) يوسف الخطيب، العيون الظماء للنور: ص 79.
9- (9) هارون هاشم رشيد، طيور الجنه: ص 151.
10- (10) المصدر: ص 125.

«عرس الشهيد»(1) ثم يأتی استخدام قافيه حرف الدال بنسبه كبيره وذلک لدلالتها على الوطنيه غالبا «حدود، أمجاد، نشيد» والقيم الإسلاميه «شهيد، صمود» ثم قافيه حرف الحاء لتدل على النضال القومی والإسلامی «سلاح، كفاح» وهكذا، فشعراء القدس، ربّما استخدموا هذه الحروف فی قوافی شعرهم لما فيها من نبره قويّه وحجّه وعمق وقد أشار إلى خصائص بعض الحروف «العلايلی» فی المقدمه اللغويه.(2)

إشعاراً منهم بإعاده الأرض بما فيها القدس ولو عن طريق القوّه.

2. الموسيقى الداخليه

أ) الإيقاع

يرى ابن سينا «إنّ الشعر هو كلام مخيّل مؤلف من أقوال موزونه متساويه، وعند العرب مقفاه، ومعنى كونها موزونه أن يكون لها عدد إيقاعی، ومعنى كونها متساويه هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعيه، فإنّ عدد زمانه مساو لعدد زمان الأخرى»(3) والإيقاع عنده هو كل نقره ينتقل عليها إلى نقره أخرى فإمّا أن تنتقل فی مده لا تمحی فی مثلها عن الخيال صوره الأولى وإمّا ألا يكون، فهو يؤلّف من نقرات بينها مدد(4) وقريب من هذا قول الفارابی «إنّ الإيقاع هو النقله على النغم فی أزمنه محدوده المقادير والنسب».(5)

حيث بسط الكلام هناک فی أكثر من سبع وخمسين صفحه، ويمكن أن

1- (1) حسن البحيری، لفلسطين أغنی: ص 147.
2- (2) عبد الله العلايلی، المقدمه اللغويه: ص 93-92.
3- (3) ابن سينا، الشفاء، الفن التاسع: ص 33 أيضاً أنظر: أرسطو، فن الشعر: ص 161.
4- (4) ابن سينا، الشفاء: ص 23-25.
5- (5) محمد بن محمد الفارابی، الموسيقى الكبير: ص 436.

تعبّر عنه بأنّه روح الشعر النابضه ونَفَس الشاعر وشاعريته التى تتكون من ذبذبات ونغمات موسيقيه تطرب لها أذن المتلقى ويرقص لها القارئ فرحاً أو عكس ذلک، كما نشاهد هذا فى قصيده «القدس» لنزار قبانى:

يا قُدْسُ

يا مدينةَ الأحزانْ

يا دمعةً كبيرةً تحولُ فى الأجفانْ

مَنْ يوقفُ العْدوان؟

عليكِ، يا لؤلؤةَ الأديانْ

مَنْ يغسل الدماءَ من حجاره الجُدرانْ؟

مَنْ يُنْقِذُ القرآنْ؟

مَنْ يُنْقِذُ الإنسانْ؟(1)

تكرار «مَنْ» السؤاليه، تفعيله بحر الرجز «مستفعلن» ثم الارتفاع بالألف - العدوانْ، الأديانْ، القرآنْ، الإنسانْ، - تسكين نون القافيه و.. جعل لها موسيقى وإيقاعاً خاصاً ممّا تركها تتردد عبر الإذاعات صباحاً ومساءً وهكذا قصيده سميح القاسم «سقوط الأقنعه»:

يا مجلس الأمن القديم

صوتى يجيئک زهره حمراء

من حقل الجريمه

فإلى اللقاء.. إلى اللقاء..

يا مجلس الأمن القديم

أراک فى القدس القديمه

1- (1) نزار قبانی، الأعمال الکامله: 162/3.

فوحده النغمه تكررت، وتعالت الحركات والسكنات على نحو منتظم فى القصيده:

- حمراء، اللقاء - الجريمه، القديمه -.(1)

ب) التصريع

وهو أنْ يكون رویّ شطری البیت متماثلاً، وعاده یستخدم فی مستهل القصیده لیعطی المتلقی شعوراً خاصاً لما فیها من حلاوه وأثر جمیل. ومثال ذلک قصیده نزار قبانی «من مفکره عاشق دمشقی».

سَقَوا فلسطينَ أحلاماً ملوَّنةً وأطْعَموُها سخيفَ القوْل، والخُطَبَا

عاشوا على هامشِ الأحْدَاثِ، ما انتفضُوا للأرض منْهُوبَةً، والعِرْضِ مُغْتَصَبَا

وخلّفوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريةً تُبيحُ عزَّةَ نهديها لمن رَغِبا(2)

فکلمات «والخطبا، مغتصبا، رغبا» منحت القصیده موسیقاً داخلیه تشعر نفس المتلقی بها وتبوح معها. ومن هذا النمط قصیده الشاعر سلیمان العیسی «الجرح الصارخ»:

أنت بالمَأْساهِ أَدری، فاروها وأزح عن «مجرمیها» الحُجُبا

فی فُوادِ القُدسِ جُرْحٌ صارخٌ لم یزلْ یشکو العَدُوَّ الأقربا(3)

ج) التکرار

وهو إظهار جهه مهمه فی البیت أو الشطر العربی لغرضٍ، وقد فشی استخدامه فی الشعر الحدیث، وقد مرّ الکلام عنه فی بدایه ًهذا الفصل - وأنوّه إلی أقسامه هنا لارتباطها بالموسیقی الداخلیه، وأقسامه هی:

1- (1) سميح القاسم، الأعمال الكامله: 393/1.

2- (2) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 421/3.
3- (3) سليمان العيسى، فلسطينيات: ص 32.

1. التكرار البيانى

وهو التأكيد على كلمه أو عباره معينه كما فى قصيده «الرّحْلَتان» للشاعر نجيب جمال الدين:

بالقُدس صلّى وقد صَلَّى بها عُمَرٌ

هَلْ كُلُّ لامِعَهٍ صفراء

من ذَهَبِ؟

بالقُدْسِ صلَّى صَلاةَ العيد

مُبْتَهجاً بالسَّلْمِ.. بالنَّصْر..

بالمرْحَى !.. بَلا تَعَبِ...(1)

فبهذا التكرار بيّن الشاعر وضع القدس فى الحاضر والماضى وفرق الصلوات فيها.

2. تكرار التقسيم

وهو تكرار عباره أو كلمه فى آخر كل مقطوعه شعريه. ونرى هذا النوع من التكرار عند الشاعر هارون هاشم رشيد فى قصيدته «هذا العالم»:

وتركت مدينه القدس

تغوص فى الأظلام

تغرق فى القتام

وقيل عام القدس

هذا العام(2)

3. التكرار اللا شعورى

وهو أن يأتى فى حاله شعور عميق يصل إلى درجه المأساه واللا شعور،

1- (1) نجيب جمال الدين، قصائد إلى عاصمه المدن: ص 97.
2- (2) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 18-19.

فيرفع مستوى الشعور لدى المتلقى، فمن الممكن أن تتكرر لفظه أو عده ألفاظ أو حتى بيت شعر بكامله.

ومثال ذلک قصيده نزار قبانى «شعراء الأرض المحتله» إذ تكرر هذا البيت مرّات.

شعراء الأرض المُحتلَّهْ

ما عاد لأعصابى أعصابْ

حُرُماتُ القُدْسِ قد انتهكتْ

وصلاحُ الدين من الأسلاب

ونُسمِّى أنْفُسَنَا كُتَّابْ؟؟(1)

وهكذا قصيده الشاعر على عقله عرسان «يا راغب قم»(2) حيث كرّر فيها «للقدس طريق من أرنون» عدّه مرات وقصيده الشاعر سميح القاسم «من القدس العتيقه»(3) وهذه الظاهره لا تكاد تُحصى فى شعر القدس.

د) الجناس والطباق

من الموسيقى الداخليه ذات الدور المهم «الجناس» وهو تشابه كلمتين مع اختلاف المعنى ونجد هذا فى قصيده نزار قبانى «مفكره عاشق دمشقى» إذيقول:

هل من فلسطينَ مكتوبٌ يطمئنُنى عمَّنْ كتبتُ إليه، وهو ما كَتَبَا(4)

وأمّا الطباق:

ص:278

1- (1) الأعمال السياسيه: 157/3.
2- (2) الأعمال الشعريه: ص 371.
3- (3) الأعمال الكامله: ص 284.

4- (4) نزار قبانى، الأعمال السياسيه: 422/3.

فهو الجمع بين لفظتين متقابلتين فی المعنی، والمثال علی هذا قصیده الشاعر نفسه «منشورات فدائیه»(1) وأیضاً قصیده الشاعر بدوی الجبل «من وحی الهزیمه»:

هل دَرَتْ عَدْنُ أن مَسْجدَها الأقصی مکانٌ من أهله مهجورٌ

أین مسری البُراقِ، والقُدْسُ والمَهْدُ وبیتٌ مَقدّسٌ معمورٌ؟(2)

رغم النظریات المتنوعه حول الشعر بشکل عام، إلاّ إنّ شعر القدس امتزج باللغه والمضمون وجعل القدس متحرکه موّاجه تعیش الضمائر الإنسانیه والقلوب النقیّه، والملاحظ أن موسیقی شعر القدس اختلفت عن غیرها لأنها موسیقی ألم وحزن، وجع وبکاء تاره وحماسه وثوره، نضال وکفاح، موت من أجل الحیاه وحیاه من أجل العزه والشموخ تاره أخری.

بعض نتائج ما توصل إلیه البحث فی هذا الفصل

- استخدم الشعراء اسلوب الرمزأکثر من الأسلوب القصصی لا سیما فی الأراضی الفلسطینیه المحتله، فعمد إلیه الشاعر هرباً وخوفاً من العدو ولما فیه من جمال فنی وغناء مضمونی.

- یظهر أن نصیب القدس من الشعر المسرحی قلیل جدا.

- بروز ظاهره التکرار فی شعر القدس أعطته موسیقی خاصه علاوه علی معانیها المتنوعه والمقصوده.

- استخدم الشعراء الذین قالوا شعراً فی القدس «الاستفهام» بشکل واسع جداً لإظهار مظلومیه القدس وفلسطین تاره، ولبیان همجیه

1- (1) المصدر: ص 195.
2- (2) الدیوان: ص 195.

وقساوه الاحتلال تاره أخرى، أو للإيقاظ أو التقريع.

- امتاز شعر القدس بالموسيقى والإيقاع المُبكى والحزين جداً.

- اتسمت قوافى شعر القدس بالقوّه (قافيه الهمزه) وبدلالتها على القوميه والقيم الإسلاميه (قافيه الدال - أمجاد - صمود - مهاد) وبدلالتها على النضال والمقاومه (قافيه الحاء - كفاح - سلاح).

ص:280

3. فنون وخصائص شعر القدس

القدس والفنون الشعريه

1. الشعر الغنائی

الشعر الغنائی هو أغنیه الإنسانیه ورسالته التی یتغنّی بها، وفنّ یعبّر به عن أحاسیسه وعواطفه، فرحه وحزنه، حنینه وآلامه، سعادته ومأساته، فالقصیده الغنائیه هی «تجربه معینه عاشها شاعر معین، وهی تجسید لموقف إنسانی واحد، وتعبیر عن الحاله النفسیه والشعوریه لشاعر واحد، فهی تجربه یخضع فیها الشاعر لأجواء خلقها لنفسه، بمحض إرادته، فهی خلاصه من عناصر الفکر، والشعور والوجدان الذاتی، المتصله بنفسیه الشاعر»[1] فهو یتحدث عن الأشیاء لیخلق منها صوره متآلفه، متصله، مترابطه، تنفجر من أعماق وجدانه وأحاسیسه وعواطفه، فیجسد أمام المتلقی تلک الأشیاء فیعیشها هو کذلک ولقد اتجه جل شعراء القدس إلی هذه الحاله الشعوریه، فغنوا للقدس وتغنوا بها لا سیما فی العقود الأولی من الاحتلال الصهیونی،

1- (1) علی جابر المنصوری، معجم: ص 28.

كما نرى فى قصيده «عرس المجد»(1) للشاعر عمر أبو ريشه:

يا روابى القدس يا مجلى السنا يا رؤى عيسى على جفن النبى

وهكذا قصيده «المدينه الحزينه» للشاعر هارون هاشم رشيد إذ يقول:

وقفت فى أبوابها

بكيت فى أعتابها

سجدت فى محرابها

مدينه القدس التى

تضىء من عذابها

عشقتها، أحببتها

سكنت فى أهدابها

فديت كل رملهٍ

تضىء من ترابها

مدينتى مشدوههً

تهفوا إلى أحبابها(2)

فالجرس اللفظى والرنه الشعريه ذات الإيقاع القوى المنبثق من أعماق نفسه الحزينه واضح فى القصيده، فالشاعر أكثرَ من استخدام الفعل الماضى ليدل على ارتباطه بالقدس وحنينه لها، فهو العاشق والمدينه معشوقته، يتغنى بها، يشعر بآلامها وأنينها، فلا يمكن لمرور الأيام والبعد أن يكونا حائلاً ومانعاً.

وأكثر شعر القدس قبل السبعينيات شعرغنائى لا سيما شعر الحنين والشعر الاجتماعى والقومى بشكل عام، والملاحظ أن شعر القدس الغنائى يتسم بالصدق العاطفى والجمال والانسجام والتعبير عن مشاعر الشاعر الجريحه،

1- (1) عمر أبو ريشه، الديوان: 335/1.
2- (2) هارون هاشم رشيد، مفكره عاشق: ص 58-61.

وقد تطور هذا الشعر ابتداءً من قصيده «الشهيد» للشاعر عبد الرحيم محمود.

وهو يستعمل البحر المتقارب الذى يقرب كثيراً من الروح الغنائيه الحماسيه:

سأحمل روحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردّى

فإمّا حياه تسرُ الصديق وإما ممات يغيظ العدى

ونفسُ الشريف لها غايتان ورودُ المنايا ونيل المنى

وما العيشُ؟ لا عشتُ إن لم أكُنْ مخوفَ الجناب حرَام الحمى

إذا قلتُ أصغى لى العالمون ودوَّى مقالىَ بين الورى

لَعمرُكَ إنى أرى مصرعى ولكن أغُذُّ إليه الخُطى

أرى مصرعى دون حقّى السليب ودون بلادى هو المبتغى

يلذُ لأذنى سماعُ الصليل ويبهج نفسى مسيل الدما

لعمرُك هذا ممات الرجالِ ومن رام موتاً شريفاً فذا

فكيف اصطبارى لكيد الحقود وكيف احتمالى لسوْم الأذى

أخوفاً وعندى تهون الحياه وذلاًّ وإنّى لربُّ الإبا

بقلبى سأرمى وجوه العداه فقلبى حديدٌ ونارى لظى(1)

فى بدايه الاحتلال عام (1948 م) توجّب على الشعراء تبنّى قضايا أُمّتهم وقبول المسؤوليه تجاه الوطن والوقوف بوجه العدو، فمن هنا برز الشاعر الملتزم الشهيد عبد الرحيم محمود ليحمل هموم أمته ليجاهد بالكلمه والبندقيه معاً، فتغنى لمجابهه العدو الصهيونى حاملاً روحه على كفه يرى فى الموت حياه، حياه الوطن، حياه الحريّه.. وفعلاً كتب حروف هذه القصيده بدمائه الزكيه فى معركه الشجره والتى تحولت إلى نشيد تردده الأجيال إلى

ص:283

1- (1) عبد الرحيم محمود، الأعمال الكامله: ص 31.

يومنا هذا فكلما تعمّق الوعى الفردى ازداد الشعر الغنائى ازدهاراً وقيمه ليجعل قضيه القدس حيه على طول التاريخ.

2. القدس فى الشعر القصصى والدرامى

ما من شك أنّ الشعر القصصى والدرامى ترک أثره فى القدس وقضيتها، وفى المقابل كان للقدس الأثر البليغ فيه أيضاً، وإذا راجعنا السير التاريخى والتطورى لهذا الفن من الشعر نرى نواته فى قصه امرئ القيس مع حبيبته:

سموتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أهْلُها سُمُوَّ حُبابِ الماءِ حالاً على حالِ

فَقَالَتْ سَباکَ اللهُ إنک فاضِحِی ألستَ تَرَی السُّمَّارَ والناسَ أَحْوالي

فقلتُ يمينَ الله أَبْرَحُ قاعداً ولو قَطَّعُوا رَأسى لَديْکِ وأَوْصَالى(1)

وكذلک حواره مع صاحبته عنيزه:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خدْر عُنَيزَهٍ فَقَالَتْ: لَکَ الوَيْلاَتُ إنَّک مُرجلى

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغبيطُ بنامَعاً عَقَرْت بَعيرى يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ(2)

وأيضاً نرى شعر عمر بن أبى ربيعه قائماً على الحوار والقصه والدراما:

قال لى صاحبى ليَعْلَمَ ما بى أتُحبُّ القَتُولَ أُخْتَ الرَّبابِ

قُلتُ: وَجدْى بها کوج دک بالعذب إذا مامنعت طعم الشراب(3)

ومن الحوار الذاتى قول أبى العتاهيه مخاطباً نفسه:

يا نفسُ إنَّ الحقَّ دينى فَتَذَلَّلى ثُمَّ استكينى

فإلى مَتى، أنّا غافلٌ يا نَفْسُ! وَيْحَکِ خَبِّرينى(4)

ص:284

1- (1) الديوان: ص 161.
2- (2) المصدر: ص 11.

3- (3) الديوان: ص 106.
4- (4) أبو العتاهيه، ديوانه: ص 283.

ولعل أوّل من طرق هذا الباب فی قضیه القدس وفلسطین هو برهان الدین العبوشی فی محاوله مسرح قصصی سماه «شبح الأندلس» فی مجموعه قصائد عمودیه سجل فیها جانباً من نکبه عام 1948 م. وکذلک الشاعر محیی الدین الحاج عیسی أطلق علی محاولته القصصیه اسم «أسره شهید» صور فیها مأساه النکبه أیضاً. هاتان المحاولتان کانتا البوادر الأولیه لاعتناق هذا الفن کما یقول عبد الرحمن الکیالی.(1)

وقد نضج الفن القصصی والدرامی لشعر القدس من عقد لآخر، کما سلکه الکثیر من الشعراء أبرزهم: فدوی طوقان، محمود درویش، سمیح القاسم، نزار قبانی، توفیق زیاد. فهاهی الشاعره فدوی طوقان فی قصیده «إلی الوجه الذی ضاع فی التیه» إذ تحکی لنا قصه تصرّف المحتلین لمدینه القدس العذراء ولیلها الداجی ومآسی سکانها الأبریاء:

الأسی یهطل، لیل والقدس صمت

وقتام

حظروا التجوال، لا تطرق فی

قلب المدینه

غیر دقات النعال الدمویّه

تحتها تنکمش القدس کعذراء سبیه

وعلی الساحه طائر - خرق السهم جبینه

وعلی الارض دخان وحطام(2)

ونری الشاعره نفسها فی قصیده ثانیه «إلی السید المسیح فی عیده»(3) - بعد

ص:285

1- (1) عبد الرحمن الکیالی، الشعر الفلسطینی فی نکبه فلسطین: ص 338.

2- (2) فدوى طوقان، ديوانها الليل والفرسان: ص 82-83.
3- (3) المصدر: ص 34-35.

ما حاول المتآمرون على القدس تبرير الاحتلال وإعطائه الشرعيه، كيف تفضح نوايا المحتل وتزيل التمويه عنه إذ تلجأ إلى الكتاب المقدس تستعير منه «قصه الكرّامين»(1) الذين قتلوا الكريم وادعوا الكرم:

قتل الكرّامون الوارث ياسيد

واغتصبوا الكرم !

وخطاه العالم ريّش فيهم طيرُ الإثم

وانطلق يدنِّس طهر القدس

شيطاناً ملعوناً، يمقته حتى الشيطان !

يا سيد يا مجد القدس

من بئر الأحزان، من الهوه، من قاع الليل

من قلب الويل

يرتفع إليک أنين القدس

رحماک أجز يا سيد عنها هذی الکأس

فالصوره التی رسمتها الشاعره فی هذه القصه هی النموذج الحی للاحتلال الصهیونی.

وهكذا قد استخدم شعراء القدس الفن الدرامی من حوار مع الغير، وحوار داخلی ومسرحی فیصفون الحدث حتی یراه المتلقی واقعاً ملموساً، فهناک قصائد كثيره یتوفر فیها هذا النمط من الشعر.

كما هو الحال فی قصیده «سرحان یشرب القهوه فی الكافتيريا».(2)

فهی قصیده حواریه علی الأسلوب السینمائی المونتاج، وكذلک القصیده الدرامیه للشاعر سمیح القاسم «زنابق لمزهریه فیروز» ولأن الصوره لا تتم إلا

ص:286

1- (1) الكتاب المقدس - العهد الجديد، إنجيل رقس: ص 163.
2- (2) محمود درويش، ديوانه: ص 229.

بنقلها كامله فها هو نصّها:

من أين يا صديقه

حملت المزهريه

والنظره الشقيه؟

من القدس العتيقه

ومن ترى رأيت

فى عتمه القناطر

من شعبنا المهاجر.؟؟

رأيت بنت عمک!

فى طاقه حزينه

تبوح للمدينه

بهمِّها وهمّک

رأيت فى الشوارع

ليلاً من العيون

وإخوه يبكون

وألف طفل ضائع

رأيت سائحين

وبائعاً يصيح

من يشترى المسيح

بحفنتى طحين؟

رأيت فى المداخن

عصفورةً جريحه

وطفلةً كسيحه

ص:287

تبكى على المآذن !

ومرةً.. سمعتُ

مغنّياً مهاجر

يصيحُ.. يا ضمائر

أضعت يومَ ضعتُ ؟

هناك يا ابن عمى

حملت المزهريه

والنظره الشقيه

وقصةً عن أمى

عن أمى الضحيَّه

لدى يا صديقه

زنابقٌ حمراء

ألوانها دماء

من القدس العتيقه !

زنبقةٌ حزينه

من دمٍّ بنت عمٍّ

وجدتُها مذبوحه

فى طاقه مفتوحه

تصيح بالمدينه:

قولی لابن عمی !

زنبقه بریئه

من مقله مفقوءَه

لکنها تنادی: أراک یا بلادی !

ص:288

زنبقةٌ ريّانه

من طفله محروقه

تصيحُ: يا خليفه

مهلا ! أنا عطشانه !

زنبقه شريتها

من بائع مُجَندل

على سياجِ منزلِ

لكننى.. ما بعتُها !

إليک يا صديقه

زنابقى الحمراء

زنابقى الدِّماء

كى تكمُلَ الهديّه

وردٌ.. ومِزهَريَّه

من القدس العتيقه !(1)

القصيده حوار، مسرحىّ، له نغماته الخاصه، فالشاعر حشد فيه مجموعه من الصور غير مترابطه يمكن تفكيكها لولا الإطار العام والكلى للقصيده وذلک بهدف تقديم انطباع عام عن أحوال القدس وقضيتها، فالتصوير مباشر، والمشهد أليم ومأساوى.

لأن الدراما والأقاصيص فى شعر القدس يختلفان عن غيرهما، فالقصه: قصه شعب يذبح، تقطّع أوصاله، تسبى شيوخه ونساءه، قصه الدّم المسفوح والطفل المذبوح، هذا ما تقوله فدوى طوقان(2):

ص:289

1- (1) سميح القاسم، الأعمال الكامله: ص 284-287.
2- (2) فدوى طوقان، الليل والفرسان: ص 28-29.

أحبّتى الصغار، خلف الأنهار يا أحبتى

عندى أقاصيص لكم كثيره

غير حكايا السندباد، البحر،

غير قصه الجنّى والصياد،

وقمر الزمان والأميره !

عندى أقاصيص هنا جديده

أخاف لو أروى لكم أحداثها

أطفئ فى عالمكم ضياءه

أخاف أن أروّع الطفوله

أهزُّ فى جزيره البراءه

رواسى الأمان والسكينه

أخشى على دنياكم الصغيره

من قصص السجين والسجّان

من قصص النازىّ والنازيّه

فى أرضنا، فإنّها رهيبه

يشيب يا أجبتى لهولها الولدان

فشعر القدس القصصى هو شعر اعتبار وعبره، ممزوج بالواقع والحدث، من أجل مستقبل يحلم به الإنسان الفلسطينى المغلوب على أمره.

3. القدس والشعر الملحمى

ویراد منه کما عرّفه «أمیل یعقوب»[(1)] بأنه فن أدبی یقوم علی الشعر البطولی، ویهدف إلی تعظیم شعور جماعی، دینی، أو وطنی، أو إنسانی، فی سرد

ص:290

1- (1) أمیل یعقوب، قاموس المصطلحات اللغویه والأدبیه: ص 374.

قصصی رمزی، فقلّما نجد لهذا الفن الشعری أثراً فی شعر القدس، وذلک لأسباب غامضه نأمل أن یقدم الشعراء ملحمه لبطوله القدس وبطوله الشعب الفلسطینی فی القریب العاجل، إلاّ أنّ «السوافیری»(1) قد أشار إلی بعض الملاحم منها: ملحمه «النازحه» للشاعر اللبنانی محمد شمس الدّین وتشتمل علی ثمانیه وثلاثین نشیداً وعدد أبیاتها 190 بیتاً وهی تحکی قصه نازحه أجلاها العدو عن وطنها برفقه أمها وابنها ولسوء الحظ فقدتهما نتیجه الجوع والتعب المفرط وبقیت هی تتجرع کأس الأسی والحزن لتموت تدریجاً، یقول الشاعر:

وسرتُ وفی مُهجتی غصَّهٌ تئنّ علی دمعه النازحه

وباتت فلسطین فی خاطری وأبصرتُ غادتها النائحه

ودنیا القیامه لاحت ظلالها حزانی وصخرتها الصادحه

وعادت إلی القلب غرناطه ومأساهُ أندلس الذابحه

فأطبقتُ جفنی علی دمعهٍ وما أشبه الیوم بالبارحه(2)

الملحمه مطبوعه عام «1950 م» یبکی بها الشاعرُ القدسَ ویقارنها مع الأندلس ویرسم صوره الاحتلال فیها ولکنه یرکّز علی مأساه اللاجئین لا سیما الأمهات والأطفال فیها، هکذا تبدأ:

هذی بقایا أدمع قانیه ومهجه، مکلومه، دامیه

لملمتها، واللیل، فی صمته یرمقنی، والنجمه الساریه

.. ترسلها لیلی.. إلی ربها بقیه، من روحها، باقیه

باکیه القلب، ویا لهفتا علی أنینِ الغاده الباکیه!!

1- (1) کامل السوافیری، الشعر العربی فی مأساه فلسطین: ص 602-610.

2- (2) محمد شمس الدین، النازحه من صور نکبه فلسطین: ص 14.

أنشوده كئيبه فى فمى لكنها فى أضلعى داويه

أبكى بها القدس ومسرى العلى وأندب الأندلس الثانيه..(1)

ثم الشاعر يستنجد بالتاريخ ويورّق صفحاته المجيده، فيرى من المستحيل أن تدنّس قدس محمد صلى الله عليه و آله ومهد المسيح عليه السلام ويدوم الاحتلال قائلاً:

أيطلب صهيون مهد المسيح، ومسرى محمد، قدس العُلى؟!

ونحن لنا المجدُ والخالدات من الدهر، نحن أسود الفلا

سنسحقه، أو يخوض البحار، ليلقى بها ليله الأليلا

تركنا، على الدهر دنيا الحضاره تزهو، ومجداً غدا أولا

وذا ركبنا يتخطّى الحدود ليبطش بالغادرين الأُلى(2)

ولهذا فالشاعر يشيد بالأمجاد ثم يذكر أن النازحه تقدّم زوجها قرباناً للوطن وللقدس والإسلام، لكنّها لن تنثنى مهما كلّف الأمر:

وكفّنته بالدموع السواكب، والهفتا للدموع السكيبه!

وخلفى أمٌ تشق الجيوب، وطفلٌ يذوِّب حزناً نحيبه

يقول له: «بابا»، إن اللئيم سيرجع فانهض ومزِّق دروبه!(3)

ثم يتخيل الشاعر الزحف العربى - والإسلامى - نحو فلسطين والقدس قائلاً:

فلسطين.. يا قدس الأنبياء ويا كعبه الظامئين الحجيجْ

أفيقى على جلجل الانتصار، وصبّى العذاب. تميتى العُلوج..

سلامٌ على قدسک المستظل، بنور السماء، وسرِ الثلوج...(4)

فالشاعر قد أجاد فى تقديم الصور الجماليه حيث استاق صوره من

1- (1) المصدر: ص 23.
2- (2) المصدر: ص 29.
3- (3) المصدر: ص 29.
4- (4) المصدر: ص 39.

التاريخ، والمأساه، ومزج ما بين الخيال والواقع واستخدم التشبيه والاستعاره بشكل واسع ولكن الملحمه تبقى إلى حد ما غير ناضجه وفيها من الغموض فى المعنى مالا يخفى إضافه إلى استعمال الألفاظ العاميه أحياناً.

وذكر السوافيرى أيضاً ملحمه باسم النخيل للشاعر اللبنانى محمد على الحومانى ولكن الشاعر لم يتعرض للقدس فيها، ورأيت من المناسب أن يتوقف البحث عند ملحمه الشاعر الفلسطينى محمود الحوت وذلک لما فيها من دروس ومعان راقيه.

الملحمه تحتوى على سته وعشرين نشيداً، ويتألف كل نشيد من ثمانيه أبيات على وحده الوزن واختلاف القافيه، تحكى الملحمه حوادث نكبه عام «1948 م» بنقد لاذع وسخريه قاتله، يقول الشاعر:

سبعٌ من الدول الكبرى تناصرها شهراً، فكان الذى قد كان من خطب

أما الثلاثون عاماً وهى راويهٌ عن كبحنا أُمّتى قهرٍ ومستلب

فلم تنل من شباب راح يُضرمها فى وجه ملتجئ، منهم ومغتصب

ليت العروبهَ فى أبّان وثبتها لم تشهر السيف بتاراً ولم تثب

إذن لكان لها فى قلبهم هلعٌ وكان بعض الذى نبغيه من أرب(1)

نلاحظ فى هذا النشيد الثانى من الملحمه كيف سخر الشاعر من المشاركين فى حرب فلسطين عام (1948 م) فنجده يحكى القصه والحماسه والفخر بأسلوب ملحمى، ولكنه بلغهٍ كمديّه مليئه بالسخريه ثم يعجب من الذى جرى وحدث فى القدس وفى فلسطين إذ لم يكن له شبه فى التاريخ، لذا يتساءل قائلاً:

فهل سمعتَ بحرب كالتى نكبوا بها فلسطين، واجتاحوا أهاليها

1- (1) محمود الحوت، المهزله العربيه: ص 6.

وشتّتوهم ضحايا هائمين على وجوههم بعد تركين العدى فيها

وعاد كلٌّ إلى الأوطان تُرهقه رسالةٌ كان فى الأقصى يؤدّيها(1)

نشاهد بوضوح أن الشاعر سَلَکَ مسلک اللّوم واليأس ولكنه سرعان ما عاد ودعا إلى الوحده والتضامن ثم يأخذ بتحليل الفاجعه فيرى قضيه الاحتلال والنكبه هى نتيجه لمؤامره كان منذ الابتداء هدفها الأقصى والقدس وفلسطين فيقول فى النشيد الرابع عشر:

ما كنت إلّا على الأقصى مؤامره حقيره حاكها تفكير رعديد

وسار فيها صنيعها غايه لَؤُمت موحى إليه وموح بعد تمهيد

فسيّرا من شباب العرب خيرتهم إلى وغى واعتراکٍ غير محمود

وكلما اقتحم الميدان باسهم وأوغلوا، أقفاهم فى المواعيد!!(2)

الملحمه محاوله جاده تناسب العواطف والأحاسيس وقد اختار الشاعر الألفاظ الواضحه والسهله، ولكن يظهر أنّها لا تتسم بالجزاله ويمكن أن يقال إنّ الشاعر كان فى بدايه محاولته الشعريه، وفيها من القوه مالا يخفى إذ استاق الشاعر صوره من الجرح النزيف وواقع الحدث وقد استعان بالماضى ليستدرک المأساه ويقدم بعض العلاج.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الكيالى ملحمه للشاعر الفلسطينى عصام حماد تحت عنوان «ديان بيان فو» وهى مخطوطه يخلّد فيها بطوله الشعب «الفيتنامى» حين أسقط قلعه «ديان بيان فو» ويتمنى «عصام» أن يسمع أصداء البطوله فى القدس، إذ يقول:

وانّ عليهم هنا واجباً يؤدّونه فى ثرى الفيتنام

1- (1) المصدر: ص 7.
2- (2) المصدر: ص 18.

يمجده الغفر الحرفى الخافقين

فتسمع فى القدس أصداؤه

وتلمح آثاره فى العراق

وفى مكه وضفاف الخليج

ومصر وتونس والمغرب(1)

خصائص وسمات شعر القدس

1. الخطابيه المفرطه والمباشره

«الشعر الفلسطينى هو الذى أيقظ الغافلين ونبّه النيام، واستنهض الهمم، وقاوم الاستعمار وفضح أساليب ختله وخداعه، وكشف القناع عن دسائس الصهيونيه، وهو الذى نشر الوعى، وبصّر بالحقائق وتنبّأ بالكارثه وتوقّع المأساه واستلهم العبره من الأندلس، وهو الذى حضّ على الثوره وألهبَ المشاعر، وهو الذى مجّد البذل، وقدّس التضحيه وترنّم بالفداء وخلّد الشهداء»(2) بالأحاسيس الساخطه وبصوت من التشنجات العاطفيه المتفجره، فمنذ وعد بلفور «1917» - الذى أحسّ فيه الشاعر بضياع الوطن والقدس إلى يومنا هذا - تماشياً مع التطورات والأحداث، لذا تفجرت نبره صوته عندما رأى الممارسات الصهيونيه وقسوه العدو، فاتّسم الشعر بالخطابيه المفرطه والنغمه الإرشاديه الوعظيه الشديده فى بدايه المؤامره واشتدت هذه اللهجه الخطابيه بعد نكبه عام «1948 م» لأنها الأكثر تناسباً مع الحدث، يبدو ذلک جلياً فى كثير من قصائد حسن البحيرى، محمود درويش، يوسف الخطيب، هارون هاشم رشيد، سليمان العيسى، نزار قبانى وغيرهم كما نلاحظ فى

1- (1) عبد الرحمن الكيالى، الشعر الفلسطينى فى نكبه فلسطين: ص 339.

2- (2) كامل السوافيرى، الشعر العربى الحديث فى مأساه فلسطينى: ص 301.

قصیده «الحب والبترول» للشاعر نزار قبانی قائلاً:

فبِعتَ القدسَ..

بعتَ الله..

بعتَ رمادَ أمواتِک..

کأنَّ حِرَابَ إسرائیلَ لم تُجهِض شقیقاتِک..

ولم تهدُم منازلَنا..

ولم تُحرِقْ مصاحفَنَا..

ولا رایاتُها ارتفعت..

علی أشلاء رایاتک..

کأنَّ جمیعَ مَنْ صُلبُوا..

علی الأشجار فی یافا.. وفی حیفا..

وبئر السبَع.. لیسوا من سُلالاتک..

تغوصُ القدسُ فی دمها،

وأنتَ صریعُ شهواتِک(1)

لا تخفی النبره الحاده والخطابیه المفرطه فی جمل وألفاظ هذه الأشطر من القصیده فهی أقرب شیء إلی الجَلد والضرب العنیف، فصوّر الشاعر أولئک المتهاونین بقضیه القدس، بأنّهم باعه القیم والمعتقدات والتراث، فهم بلا دین ولا تراث لهم ولا غیره ولا حمیه، وذلک لأن القدس تغوص بالدم وهم یغوصون فی لذاتهم وشهواتهم، لهذا استخدم الشاعر الألفاظ العنیفه والمباشره فهی معرکه لفظیه استخدمت فیها کل وسائل التندید والتجریح من أجل کرامه القدس، وقد استمرت إلی یومنا هذا وتستمر إلی تحریرها من الاحتلال الإسرائیلی.

ويأتى الشاعر المغترب هارون هاشم رشيد فى الدرجه الثانيه بعد نزار

ص:296

1- (1) الأعمال السياسيه: 3/67-68.

قبانى حيث اتَّصف شعره وامتاز بهذه الصفات كما نلاحظ فى قصيدته «الحريق»:

ليحترق كلامنا

لتحترق أقلامنا

لتحترق كل معانى

الكبر فى بلادنا

لتحترق أعلامنا

فالمسجد الأقصى احترق

المسجد الأقصى احترق

ليحترق كل الذى شراعه كلام

وعمره كلام

وعيشه كلام

فرايه الإسلام

احترقت..

والمسجد الحرام

منكّس الآيات والأعلام(1)

فنلاحظ الألفاظ - ليحترق - لتحترق - ساحنه، ساخطه، تلتهب مع الأقصى بروح متوتره وصوت صارخ ومتفجّر حاملٍ للغضب والتنديد والرفض، فصيغ الأمر مع لام التأكيد لها وقعها وشدتها الَخاصه مما جعلتها تناسب ما حل بالحرم والمسجد الأقصى والقدس الشريف.

هذا النمط سواء أكان عمودياً أو شعر تفعيله فهو كثير فى شعر القدس

1- (1) هارون هاشم رشید، مفکره عاشق: ص 52-53.

ولا شک أنه خدم القضيه إذ جعلها دائماً تغلی فی الصدور.

لکنّ هذه الخطابيه قلّت من حدتها واتجهت للاستقلال والتعقل بعد الانتفاضه الأولی.

2. البساطه والوضوح

استطاع الشاعر الذی کتب فی القدس شعراً، أن يستخدم لغه الشارع، اللغه العامه عند الناس وذلک لأن القدس قدسهم، والقضيه قضيتهم واللغه السهله والواضحه هی السبيل إلی القلوب وهذا ما جاء علی لسان محمود درويش إذ يقول:

قصائدنا بلا لون، بلا طعم بلا صوت إذا لم تحمل المصباح من بيت إلی بيت

وإنْ لم يفهم البسطا معانيها فأولی أن نذرّيها ونخلد نحن للصمت(1)

ويؤکد هذا المضمون الشاعر نفسه فی موضع آخر:

أجمل الأشعار ما يحفظه عن ظهر قلب کل قارئ..

فإذا لم يشرب الناس أنا شيدک شرب

قل، أنا وحدی خاطئ(2)

التأکيد علی دور الشعر الجماهيری فی وطننا العربی - والإسلامی - تنقصه واقعه مؤلمه، تلک هی نسبه الأميه المتفشيه بين أبناء الأمه العربيه - والإسلاميه - إذ تزيد علی ثلاثه أرباع مجموع السکان.(3) أقول: يظهر أن هذه الاحصائيه قديمه جداً.

أشهر شعراء هذا المسلک - أی الشعر البسيط والسلس وذو المعانی والأفکار الواضحه - هم: هارون هاشم رشيد، محمود درويش، نزار قبانی،

ص:298

1- (1) الديوان: ص 55.
2- (2) المصدر: ص 65.

3- (3) صالح أبو أصبح، الحركه الشعريه فی فلسطين المحتله: ص 378.

سليمان العيسى، عبد الله يوركى حلاق، حسن البحيرى، ابتعدوا عن التكلّف والتعقيد والابتذال اللفظى لينتقل الشعر إلى المتلقّى بأحاسيس الشاعر وعواطفه وبأسلوب ملائم ويتناسب مع الموضوع كما نشاهده فى قصيده «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيرى، إذ يقول:

وقفتُ فى «المسجد الأقصى» أسائلُهُ والنّارُ فى جَنَبَاتِ الصّدرِ تَستعِرُ

ما بالُ محرابِكَ الطُّهرىُّ تغمُرُهُ ظلالُ غمٍ دُجاها ليس ينحَسِرُ

وما لمِنبِرِكَ القدسىِّ مكتئباً فما عليه لصوتِ الحقِّ مُنتَبِرُ

ولِلمآذنِ قد غابتْ أهِلَّتُها فما عليها لإشراقِ الُهدى أَثَرُ

فقال مُستعبراً والرَّوعُ يُنطِقُهُ والأرضُ من تحته البُركانُ ينفجرُ:

رَمَى البغاةُ رِحابى رَمْىَ منتقِمٍ وليس لى من مَرامى حِقدِهم وَزَرُ

وليس لى من ذَوى القُربى أخو شَمَمٍ وليس لى من طُغاهِ الَجورِ مُنْتَصِرُ(1)

نلاحظ سهوله وبساطه الصياغه والمفردات فى هذه القصيده فإنها قد تصل إلى الكلام المنثور لولا نظامها وموسيقاها الشعريه. ومن البديهى فإن تكرار المفردات والمصطلحات ساعد على وضوح شعر القدس وبساطته إذ يكاد ينحصر معجم الشعر فى محور البحث فى ألفاظ محدوده ومفردات معدوده أقرب شىء للمعجم اليومى المستعمل عند عامه الناس فى هذه البلاد، وكما يرى الدكتور محمد غنيمى هلال، بأن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً، سلسلاً سهلاً، ومعناه وسطاً دخل فى جمله الجيد وجرى مع الريح.(2)

ص:299

1- (1) لفلسطين أغنى: ص 83 و 84.
2- (2) النقد الأدبى الحديث: ص 607.

3. روح العقيده والالتزام والمقاومه

روح العقيده والالتزام والمقاومه الذى حمله لنا شعر القدس فى محاور البحث، هو الشعر الذى لم يحمل لنا البكاء والنواح واليأس وروح التراجع والتقهقر بل حمل للدنيا وللأجيال القادمه روح العقيده والمقاومه وذلک لأنه لم ينکب وينطوِ على نفسه تحت ظاهره الانتکاسات الذاتيه بل جعلها جسراً يمر عليه ومنطلقاً نحو أهدافه الساميه وتحرير أرضه، ليس هو كما يقول أدونيس.. بأن شعر المقاومه شعر احتجاج ليس إلا، حيث لا يرى في الأرض المحتله شعر مقاومه حمل روح العقيده والجهاد وكل ما هناک أنه شعر وصفى وثناء لحركه المقاومه.(1)

إذ أننا نرى منذ وعد بلفور (1917) وإعلان دويله إسرائيل ونتيجه تخاذل وتقاعس بعض الحكام انطلق شعر المقاومه قوياً مجاهداً صامداً يذب ويدافع عن الأرض فى الكلمه كما يدافع المجاهد فى رفضه وسلاحه فتغنّى للمقاومه وحمل الحجاره وحمل روح التضحيه والعقيده.

ولقد كان من ثماره صمود مدينه القدس وانتفاضتها المتكرره، ولأنه ذكرنا الكثره من الشعر الذى يدل على هذا المضمون فى محله - الثوره والجهاد - الانتفاضه المقدسه - فهذه الظاهره يمكن ملاحظتها جليّه فى شعر القدس.

ويمكن أن أنوّه إلى أن شعراء المقاومه هم:

محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، راشد حسين، محمود عبد الرحيم، هارون هاشم رشيد، على عقله عرسان، خالد أبو خالد، سليمان العيسى، عبد الله يوركى حلاق، فدوى طوقان، سلمى خضراء الجيوسى، نزار قبانى، ونجيب جمال الدين، وعبد الكريم الكرمى «أبو سلمان» وكمال رشيد والخ..

1- (1) أدونيس، زمن الشعر: ص 172.

بعض نتائج ما توصل إليه هذا الفصل

- الخطابيه والمباشره فى بدايه الاحتلال عام (1948 م) واستمرت هذه الصفه الشعريه إلى أواخر السبعينيات إذ المأساه أخرجت الشعر من الغنائيه والرومانسيّه إلى الخطابيه والمباشره نتيجه الحدث الفادح والحاجه الماسه إلى التحريض والنضال، وعاد شعر القدس إلى هذه الصفه مرّه أخرى نوعاً ما بعد الانتفاضه الأولى.

- شعر القدس الملحمى والمسرحى لم يأخذ مكانته المناسبه وإلى الآن رغم بعض المحاولات التى قام بها البعض أمثال الشاعر محمد شمس الدين ومحمود الحوت. ومن المناسب أن يقدّم الشعراء ملحمه شعريه شامله لمدينه القدس وفلسطين.

- الشعر القصصى والدرامى لعب دوراً كبيراً فى قضيه القدس مما جعل الحدث وما تمر به القدس حيّاً لا يغيب عن الأذهان، وكان الدور الفاعل للشاعره فدوى طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش. وغالباً رُكّزَ على مأساه اللاجئين والأطفال وما عانته وتعانيه القدس من قساوه الاحتلال.

- اتسم شعر القدس بالرقّه والوضوح وبساطه القاموس اللغوى كما نشاهد شعر أكثر الشعراء أمثال نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، محمود درويش، ولعل السبب فى ذلک أنّ القدس ليس قضيه فنيه يعرض الشعراء عضلاتهم فيها، بل هى قضيه الإنسان المظلوم، قضيه الشعب المنكوب، قضيه الاحتلال والدمار والويلات و.. لذا أراد الشاعر أن يفهم الجميع حتى أبسط إنسان يدبُّ على وجه الأرض.

- اتسم شعر القدس غالباً بالالتزام وروح العقيده الإسلاميه والمسيحيه وذلک لمكانه القدس السماويه لدى الأديان الثلاثه، نلمس هذا فى شعر نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، على عقله عرسان، عبد الكريم الكرمى، محمود درويش و.. غيرهم.

أبو خالد، خالد محمد صالح أحمد

ولد فى قريه سيله الظهر بفلسطين عام (1937 م)

أعماله الشعريه:

وسام على صدر الميليشيا، بيروت، دار الآداب، 1971.

قصائد منقوشه على سله الأشرفيه، جريده فتح، 1971.

تغريبه خالد أبو خالد، بيروت، دار الطليعه، 1972.

أغنيه حب عربيه إلى هانوى، بغداد وزاره الإعلام العراقيه، 1973.

شاهراً سلاسلى (سلاحى) أجىء، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1974.

الجندل فى منتصف الليل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1974.

بيسان فى الرماد، بيروت، دار العوده، 1978.

أسميك بحراً، أسمى يدى الرمل، المغرب، المجلس القومى للثقافه، 1990.

فرسان كنعان الفتى، 1995.

أبو ريشه، عمر

ولد فى منبج سوريا عام (1910-1990 م).

أعماله الشعريه:

ديوان عمر أبو ريشه، بيروت، دار العوده، 1971.

الأعمال الشعريه الكامله، مجلدان، بيروت، دار العوده، 2005.

أمرک يارب، نشرت فی الأعمال الشعريه عام 2005.

من وحی المرأه.

فيصل.

الجواب بالانجليزيه، 1959.

أبو سلمی، عبد الكريم

ولد فی طولكرم عام (1907-1980 م)

آثاره الشعريه:

المشرد، 1951.

أغنيات بلادی.

من فلسطين ريشتی.

ديوان أبی سلمی، 1978 و 1981.

أدونيس، علی محمد سعيد

ولد فی قريه قصابين باللاذقيه عام (1930 م).

أعماله الشعريه:

دليله، دمشق 1950.

أوراق فی الريح، بيروت، فی الخمسينيات.

التحولات والهجره، بيروت، 1965 و 1988.

أغانى مهيار الدمشقى، بيروت، 1967 و 1988.

المسرح والمرايا، بيروت، 1967 و 1988.

وقت بيت الرماد والورد، بيروت 1970 و 1980.

ص:304

مفرد بصيغه الجمع، بيروت، 1977 و 1988.

القصائد الخمس، بيروت، 1979.

هذا هو اسمى، بيروت، 1988.

احتفاء بالأشياء الواضحه الغامضه، بيروت، 1988.

الأعمال الشعريه الكامله، مجلدان، بيروت، 1988.

الكتاب (أمس - المكان - الآن) ثلاثه مجلدات، 1995، 1996.

أسر، حنا

ولد فى الطيبه بفلسطين عام (1925 م)

أعماله الشعريه:

أمه وجراح، بوينس أيرس، دار ميسلون ومؤسسه البلاد القدس، 1980.

ديوان باللغه الإسبانيه، بوينس آيرس، 1986.

أمين زياد، توفيق

ولد فى الناصره بفلسطين عام (1929-1994)

آثاره الشعريه:

أشد على أيديكم، بيروت، دار العوده، وحيفا، مطبعه الاتحاد، 1966.

أغنيات الثوره والغضب، بيروت، 1969.

كلمات مقاتله، عكا، دار الجيل، 1970.

الأعمال الشعريه الكامله، مجلد واحد، بيروت، دار العوده، 1971.

تهليله الموت والشهاده، بيروت، دار العوده، 1972.

سجناء الحريه وقصائد ممنوعه أخرى، الناصره، مطبعه الناصره، 1973.

ادفنوا موتاكم وانهضوا، بيروت، دار العوده، 1985.

البحيرى، حسن

ولد فى حيفا بفلسطين عام (1918 أو 1921-1998 م)

ص:305

أعماله الشعريه:

حيفا فى سواد العيون، دمشق، مطابع العلم، 1973.

لفلسطين أغنى، دمشق مطبعه دار الحياه، 1979.

ظلال الجمال، دمشق، مطبعه الحياه، 1981.

الأنهر الظمأى، دمشق، مطبعه دار الحياه، 1982.

تبارک الرحمن، دمشق، دار الفكر، 1983.

جنه الورد، دمشق، دار المعارف، 1989.

رجاء، دمشق، مطبعه الصباح، 1990.

الأصائل والأسحار، دمشق، مطبعه الصباح، 1990.

أفراح الربيع، دمشق، مطبعه الصباح، 1990.

رساله فى عيد، دمشق، 1990.

ابتسام الضحى، دمشق، مطبعه الصباح، 1990.

لعينى بلادى، دمشق، مطبعه الصباح، 1991.

سأرجع، دمشق، مطبعه الصباح، 1994.

ألوان، دمشق، مطبعه الصباح، 1995.

دعابه بين الجد والهزل، دمشق، مطبعه الصباح، 1996.

حبيبتى حيفا، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001.

البرادعى، خالد محيى الدين

ولد فى يبرود سوريا عام (1943 م).

أعماله الشعريه:

بدءاً من حزيران، دمشق، 1969.

أناشيد للأنصار، الكويت، 1969.

صور على حائط المنفى، بيروت، 1972.

ص:306

قصائد فى النضال والحب، دمشق، 1973.

الرحيل نحو المستقبل، دمشق، 1974.

الغناء بين السفن التائهه، بغداد، 1974.

القبله من شفه السيف، دمشق، 1974.

رسائل إلى سيده غريبه، تونس، 1975.

حكايات إلى أسره من يبرود، الكويت، 1976.

تداعيات المتنبى بين يدى سيف الدوله، دمشق، 1976.

الحب الفتى، دمشق، 1981.

عبد الله والعالم، 1993.

يوم غابت فاطمه، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2003 م.

البستانى، وديع

ولد فى الدبيّه بلبنان عام (1954-1988 م)

آثاره الشعريه:

السعاده والسلام، شعر ونثر، معرب، 1910.

معنى الحياه، شعر ونثر، معرب، 1910.

رباعيات الخيام، 1916.

الفلسطينيات، مصر دار المعارف، 1946 وبيروت، دار البشائر، 1981.

مجانى الشعر، مخطوط.

ذكر الفراق، مخطوط.

إلى ذى عبقر، مخطوط.

كلمه ورد شعر ونثر معرّب، مخطوط.

رباعيات أبى العلاء مخطوط، بالانجليزيه.

بسيسو، معين توفيق

ولد فى غزه بفلسطين عام (1930-1983).

أعماله الشعريه:

المعركه، 1952.

المسافر، 1952.

الأردن على الصليب، القاهره، دار الفكر، 1957

فلسطين فى القلب، بيروت، دار الآداب، 1965.

الأشجار تموت واقفه، بيروت، دار الآداب، 1966.

كراسه فلسطين، بيروت، دار العوده، 1966.

مارد من السنابل، القاهره، المؤسسه المصريه العامه للتأليف، 1967.

قصائد مصريه (مشتركه) القاهره، دار الكتاب العربى، 1967.

القتلى والمقاتلون السكارى، بيروت، دار العوده، 1970.

جئتک لأدعوک باسمک، بغداد، وزاره الإعلام، 1971.

دفاتر فلسطينيه، بيروت، دار الفارابى، 1978.

الأعمال الشعريه الكامله، بيروت، دار العوده، 1981.

القصيده، بيروت، دار ابن رشد، 1985.

الآن خذى جسدى كيساً من الرمل.

حينما تمطر الأشجار شعراً.

الجبل، بدوى (محمد سليمان الأحمد)

ولد فی دیفه بسوریه عام (1903-1981 م)

آثاره الشعریه:

دیوان بدوی الجبل، بیروت، دار العوده، 1978؟

الأعمال الشعریه الکامله، بیروت، دار العوده.

ص:308

جمال الدين، نجيب مصطفى

ولد فى مقنه بلبنان عام (1923 م).

أعماله الشعريه:

الكتابه على أعمده الشمس، دمشق، وزاره الثقافه، 1976.

قصائد إلى عاصمه المدن الشرقيه، دمشق، المساحه العسكريه، 1982.

المعلقات السود والذئب، دمشق، دار طلاس، 1984.

الجندى والجنرال، تسجيل صوتى، مكتبه الأسد، 1990.

على هامش العاشر من شباط، دمشق، 1995.

المراثى، حمص، دار المعارف، 1999.

سنابل الغضب

حرائق على الثلوج.

على ملحمه الإنسان الكبرى.

النهر.

الرياح.

الآلهه

النهر والمرايا.

الكتابه بالمثلثات والألف الكوفى.

حامد، محمود

ولد فى صفد بفلسطين عام (1941 م)

أعماله الشعريه:

موت على ضفاف المطر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1983.

أغان على شفاه الصنوبر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1985.

افتتاحيات الدم الفلسطينى، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1990.

ص:309

شهقه الأرجوان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000.

مسافه ورده تكفى، دمشق اتحاد الكتاب العرب، 2001.

بيسان، دمشق، وزاره الثقافه، 2002.

الحاج عيسى، محى الدين

ولد فى صفد فلسطين عام (1960-1974 م)

آثاره الشعريه:

من فلسطين وإليها، حلب، المطبعه السوريه، 1975.

مصرع كليب، مسرحيه شعريه، القاهره، الباب الحلبى، 1947.

أسره شهيد، مسرحيه شعريه، دمشق، 1966.

الحامد، بدر الدين

ولد فى حماه عام (1899-1961 م)

آثاره الشعريه:

ديوان بدر الدين الحامد، دمشق، وزاره الثقافه، 1975.

مسرحيه ميسلون، مسرحيه شعريه، حماه، مطبعه أبى الفداء، 1946.

الحصنى، عفيفه

ولدت فى دمشق عام (1918 م)

أعمالها الشعريه:

وفاء، القاهره، الدار القوميه، 1966.

شهيد التضحيات، القاهره، مطابع الناشر العربى، 1970.

ولاء، القاهره، مطبعه العاصمه، 1971.

عازفه القيثار، دمشق، المطبعه القوميه، 1978.

سراب البحر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1989.

مرايا ونساء، دمشق، دار مجله الثقافه، 1982.

ص:310

وطنى، دمشق، دار المسبار، 2000.

حلاق يوركى، عبد الله

ولد فى حلب بسوريه عام (1911-1996)

أعماله الشعريه:

خيوط الغمام، حلب، مطبعه كامل السبع، 1942.

حصاد الذكريات، حلب، مطبعه الضاد، 1966.

عصير الحرمان، دمشق، وزاره الثقافه، 1990.

أسديات، دمشق، 1993.

الحمصى، عبد الكريم خلف

ولد فى درعا بسوريه عام (1950 م)

أعماله الشعريه:

ألحان من اليرموک، دمشق، مطبعه الاتحاد، 1992.

أسراب الشذى وهديل الغمام، دمشق، 1996.

صور من صور، 1997.

بطوله من نوع آخر.

حمصى، خضر

ولد فى سوريا عام (1931)

أعماله الشعريه:

رساله قلب، حماه، المطبعه الأهليه، 1955.

دمشق يا حبيبتى، دمشق، 1992.

قطار العمر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1993.

العزف على قيثاره الحب والوطن، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1997.

حنين المسافر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999.

ولو عشت فى الفردوس، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000.

ص:311

الليل والطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001.

الحب الكبير.

عرس لعينک يا أمتى

الخطيب، يوسف محمود

ولد فى دور الخليل بفلسطين عام (1931).

آثاره الشعريه:

العيون الظمأى للنور، دمشق، المطبعه العموميه، 1955.

عائدون، بيروت، دار الآداب، 1959.

واحه الجحيم، بيروت، دار الطليعه، 1964.

أكاد أؤمن، قصيدتان فى كراس صغير، دمشق، 1965.

الوطن المحتل، دمشق، دار الحياه، 1988.

مجنون فلسطين، تسجيل صوتى، المكتبه الإلكترونيه، دمشق، 1980.

رأيت الله فى غزه، دمشق، دار فلسطين، 1968.

بالشام أهلى والهوى بغداد، دمشق، دار فلسطين، 1988.

بلا عنوان، بيروت، الذاكره، 2003.

الخورى، ناصر

ولد فى السويداء بسوريا عام (1939 م)

أعماله الشعريه:

سنابل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1979 م.

هل يورق الحزن حباً؟ دمشق اتحاد الكتاب العرب، 1994.

لمجدك يحلو الوفاء، دمشق، 1966.

ص:312

خير بک، جابر

ولد فی اللاذقیه عام (1933 م)

أعماله الشعریه:

بیادر عطر، دمشق، دار مجله الثقافه، 1992.

الریاحین، قصائد للأطفال، دمشق، دار المجد، 1992.

ضحی، دمشق، مطابع دار مجله الثقافه، 1996.

عبیر القوافی، دمشق، اتحاد الکتاب العرب، 2000.

شوارد النغم، دمشق، اتحاد الکتاب العرب، 2002.

درویش، محمود سلیم حسین

ولد فی البرده بفلسطین، عام (1941 م)

أعماله الشعریه:

عصافیر بلا أجنحه، بیروت، دار العوده، 1960.

آخر اللیل نهار، دمشق، مؤسسه الوحده للطباعه والنشر، 1968.

یومیات جرح فلسطینی، بیروت، دار العوده، 1969.

کتابه فی ضوء بندقیه، بیروت، دار العوده، 1970.

حبیبتی تنهض من نومها، بیروت، دار العوده، 1970.

دیوان محمود درویش، بیروت، دار العوده، 1971.

مطر ناعم فی خریف بعید، بیروت، 1971.

الأعمال الشعریه الکامله، بیروت، المؤسسه العربیه للدراسات، 1973.

جندى يحلم بالزبانق البيضاء، بيروت، دار العوده، 1973.

أحبک أو لا أحبک، بيروت، دار العوده، 1980.

محاوله رقم 7، بيروت، دار العوده، 1984.

تلک صورتها وهذا انتحار العاشق، بيروت، دار العوده، 1984.

ص:313

مديح الظل العالى، بيروت، دار العوده، 1984.

أوراق الزيتون، بيروت، دار العوده، 1984.

عاشق من فلسطين، بيروت، دار العوده، 1984.

آخر الليل، بيروت، دار العوده، 1984.

العصافير تموت فى الجليل، بيروت، دار العوده، 1984.

أعراس، بيروت، دار العوده، 1984.

حصار لمدائح البحر، بيروت، دار العوده، 1985.

هى أغنيه هى أغنيه، بيروت، دار الكلمه، 1986.

ورد أقل، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، 1985.

الرسائل، بيروت، دار العوده، 1990.

أرى ما أريد، الدار البيضاء، دار توبقال، 1990.

أحد عشر كوكباً، بيروت، دار العوده، 1993.

فى رحاب الإسلام، دمشق، دار الرشيد، 1994.

لماذا تركت الحصان وحيداً، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1995.

مأساه النرجس ملهاه الفضه، بيروت، دار العوده.

أحد الزعتر، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين.

على آخر المشهد الأندلسى، بيروت، دار الجديد، المغرب، دار توبقال.

الرفاعى، عبد المنعم

ولد فى صور لبنان من أسره فلسطينيه عام (1917-1985 م)

آثاره الشعريه:

المسافر، بيروت، الدار المتحده للنشر، 1979.

رشيد، كمال عبد الرحيم

ولد فى الخيريه يافا بفلسطين عام (1941 م)

ص:314

أعماله الشعريه:

شدو الغرباء، عمان، مطابع مؤسسه الجمعيه العلميه للطباعه والنشر، 1983.

أناشيدى للأطفال، جزءان، 1989.

القس فى العيون، 1990.

عيون فى الظلام، 1990.

نسائم الوطن، 1997.

رشيد، هارون هاشم

ولد فى غزه فلسطين عام (1927 م)

أعماله الشعريه:

مع الغرباء، القاهره، رابطه الأدب الحديث، 1954.

عوده الغرباء، بيروت، المكتب التجارى، 1956.

غزه فى خط النار، بيروت، المكتب التجارى، 1957.

أرض الثورات، ملحمه شعريه، بيروت، المكتب التجارى، 1958.

حتى يعود شعبنا، بيروت، دار الآداب، 1966.

سفينه الغضب، الكويت، مكتبه الأمل، 1968.

رسالتان، القاهره، اتحاد طلاب فلسطين، 1969.

رحله العاصفه، القاهره، اتحاد طلاب فلسطين، 1969.

فدائيون، عمان، مكتبه عمان، 1970.

مزامير الأرض والدم، بيروت، المكتبه العصريه، 1970.

السؤال، مسرحيه شعريه، القاهره، مؤسسه روز اليوسف، 1973.

الرجوع ودلال المغربى، منشورات فلسطين المحتله، 1980.

مفكره عاشق، قصائد للقدس، المطابع الموحده، 1980.

ديوان هارون هاشم رشيد، بيروت، دار العوده، 1981.

يوميات الصمود والحزن، تونس، 1983.

ثوره الحجاره، تونس، دار العهد الجديد، 1988.

المزّه، غزّه، 1988.

عصافير الشوک، مسرحيه شعريه، القاهره، 1990.

طيور الجنه، قصائد للشهداء، القاهره، دار الشروق، 1998.

ورده على جبين القدس، قصائد للسجناء والمبعدين، القاهره، دار الشروق، القاهره، 1998.

قصائد فلسطينيه، عمان، دار مجدلاوی، 2003.

المبحرون إلى يافا، عمان، دار مجدلاوی، 2004.

الزرکلی، خير الدين

ولد فی بيروت عام (1893-1976 م) ونشأ فی دمشق

أثاره الشعريه:

1. ما رأيت ما سمعت، القاهره، المکتبه العربيه، 1923.

2. ديوان خير الدين الزرکلی، القاهره المطبعه العربيه، 1925.

صايغ، توفيق عبد الله

ولد فی خربا بسوريه عام (1923-1971 م)

آثاره الشعريه:

ثلاثون قصيده، 1954.

القصيده ک، 1960.

معلقه توفيق صايغ، 1963.

الأعمال الكامله، لندن، 1990

طوقان، فدوى عبد الفتاح

ولدت فى نابلس بفلسطين عام (1917 م)

ص:316

آثارها الشعريه:

أخى إبراهيم، يافا، فلسطين المحتله، 1946.

وحدى مع الأيام، بيروت، دار الداب، 1962 ودار العوده، 1974.

وجدتها، بيروت، دار الآداب، 1962.

كابوس الليل والنهار، بيروت، دار الآداب، 1973.

الفدائى والأرض، بيروت، دار الآداب، 1973.

قصائد سياسيه، عكا، 1980.

على قمه الدنيا وحيداً، بيروت، دار العوده، 1981.

أعطنى حباً، بيروت، دار العوده، 1982.

الليل والفرسان، بيروت، دار العوده، 1982.

أمام البيت المغلق، بيروت، دار العوده، 1982.

ديوان فدوى طوقان، بيروت، دار العوده، 1984.

تموز والشىء الآخر، عمان، دار الشروق، 1987.

الأعمال الكامله، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، 1992.

اللحن الأخير، عمان، دار الشروق، 2000.

العبوشى، برهان الدين

ولد فى مدينه جنين بفلسطين عام (1911-1970 م)

آثاره الشعريه:

جبل النار، بغداد، مطبعه الشركه الإسلاميه، 1956.

النيازک، بغداد، 1967.

إلى متى، بغداد، مطبعه المعارف، 1972.

جنود السماء، الكويت، 1985.

وطن الشهيد، مسرحيه شعريه، القدس، المطبعه الاقتصاديه، 1947.

ص:317

الفداء، مسرحيه شعريه، بغداد، مطبعه البصری، 1968.

العدنانی، محمد خورشید

ولد فی جنین بفلسطین عام (1903-1981 م)

آثاره الشعریه:

اللهیب، بیروت، المکتبه العصریه، 1954 م.

الأمومه، بیروت، المکتبه العصریه، 1957 م.

فجر العروبه، بیروت، المکتبه العصریه، 1960.

الوثوب، بیروت، المکتبه العصریه، 1965.

الروض، بیروت، المکتبه العصریه، 1966.

فلسطین، بیروت، المکتبه العصریه، 1973.

سلمی.

قلب.

وحی الفؤاد.

العبیر.

زهر.

الغروب.

جمیع دواوینه الشعریه فی ثلاثه مجلدات باسم العدنانیات.

عرسان، علی عقله

ولد فی صیدا درعا بسوریه عام (1940 م)

أعماله الشعريه:

الفلسطينيات، دمشق، وزاره الثقافه، 1971.

الغرباء، دمشق، وزاره الثقافه، 1974.

شاطئ الغربه، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1986.

ص:318

تراتيل الغربه، دمشق، دار الحصاد، 1993.

الأعمال الشعريه الكامله، دمشق، دار طلاس، 1989 و 2002.

العيسى، سليمان أحمد

ولد فى النعيريه - أنطاكيه - بسوريه عام (1921 م)

أعماله الشعريه:

مع الفجر، 1952.

أعاصير فى السلاسل، 1954.

شاعر بين الجدران، 1954.

ثائر من غفار، 1955.

رمال عطشى، 1957.

أغنيات صغيره، 1967.

كلمات مقاتله، 1968.

أغنيه فى جريده السندباد، 1971.

أغان بريشه البرق، 1974.

الأعمال الكامله، 1980.

شعر سليمان العيسى، بيروت، دار الشورى، 1980.

الكتابه أرق، 1982.

الديوان الضاحک، 1987.

وسافرت فى الغيبه، 1988.

ملحمه فی نضال أبی ذر.

قصائد عربیه.

أمواج بلا شاطئ.

صلاه لأرض الثوره.

حبات من الرمال الذهبیه.

رسائل مؤرقه.

الفراشه وقصائد أخرى.

الدم والنجوم الخضر.

أزهار الضياع.

علّوش، جميل إبراهيم

ولد فى بير زيت بفلسطين عام (1937 م)

أعماله الشعريه:

عرس الصحراء، بيروت، مطبعه عين الرمانه، 1966.

خوابى الحزن، العراق، وزاره الثقافه، 1979.

أشواق، عمان، رابطه الكتاب الأردنيين، 1980.

جراح ودعاء، عمان، مطبعه الأماره، 1985.

مواكب الربيع، عمان، وزاره الثقافه، 1989.

صوت الشعر، عمان، دار الينابيع، 1991.

القاسم، سميح محمد

ولد فى بلده الزرقا بالأردن، من أسره فلسطينيه تعيش بالجليل عام (1939 م)

أعماله الشعريه:

مواكب الشمس، الناصره، مطبعه الحكيم، 1958

قرآن الموت والياسمين، بيرت، دار العوده، 1960.

دخان البراكين، الناصره، مطبعه الحكيم، 1968 وبيروت، دار العوده، 1973.

فى انتظار طائر الرعد، عكا، دار الجليل، 1969.

سقوط الأقنعه، بيروت، دار الآداب، 1969.

رحله السراديب الموحشه، بيروت، دار العوده، 1969.

طلب انتساب للحزب، بيروت، دار العوده، 1970.

ص:320

دمى على كفى، بيروت، دار العوده، 1973.

قرقاس مسرحيه شعريه، بيروت، دار العوده، 1970.

اسكندرون فى رحله الداخل والخارج، بيروت، دار العوده، 1970.

الموت الكبير، بيروت، دار الآداب، 1973.

مراثى سميح القاسم، بيروت، دار الآداب، 1973.

ديوان سميح القاسم، بيروت، دار العوده، 1973.

إرم سميح القاسم - فى سبعه أناشيد، بيروت، دار العوده، 1973.

أغانى الحروب، بيروت، دار العوده، 1973.

إلهى إلهى لماذا قتلتنى، حيفا، 1974.

وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، منشورات فلسطين الثوره، 1977.

ديوان الحماسه، المجلد الأول عكا، 1978، المجلد الثانى، عكا، 1979.

ثالث أكسيد الكربون، بيروت، دار الطليعه، 1979.

أحبک كما يشتهى الموت، بيروت، دار الفارابى، 1980.

الجانب المعتم من التفاحه، بيروت، دار الفارابى، 1981.

ديوان الحماسه الجزء الثالث، عكا، 1981.

قرابين كولاج، اللاذقيه، دار الحوار، 1984.

جهات الروح، بيروت، دار صامد للدراسات والنشر، 1984.

فى سربيه الصحراء، عمان، دار الجليل، 1986.

لا أستأذن أحد، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1988.

آخذه الأميره يبوس، 1990.

القصائد، كفر قرع، دار الهدى، 1991.

الأعمال الكامله، القاهره، دار سعاد الصباح، 1993، (6 مجلدات).

الكتب السبعه، بيروت، دار الجديد، 1994.

ص:321

قبانی، نزار توفیق

ولد فی دمشق عام (1923-1998 م)

آثاره الشعریه:

قالت لی السمراء، دمشق، 1944.

طفوله نهد، دمشق، 1948.

سامبا، دمشق، 1949.

أنت لی، دمشق، 1950.

قصائد، دمشق، 1956.

حبیبتی، بیروت، 1961.

الرسم بالکلمات، بیروت، 1968.

یومیات امرأه لا مبالیه، بیروت، 1968.

قصائد منقوشه، بیروت، 1968.

لا، بیروت، 1971.

کتاب الحب، بیروت، 1970.

مائه رساله حب، بیروت، 1972.

أشعار خارجه علی القانون، بیروت، 1972.

کل عام وأنت بخیر حبیبتی، بیروت، 1978.

الأعمال السیاسیه.

الأعمال الکامله، 8 مجلدات.

قنصل، الياس

ولد فى يبرود بسوريه.

أعماله الشعريه:

السهام، الأرجنتين، 1935.

ص:322

ألحان الغروب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1978.

قنصل، زكی

ولد فی یبرود بدمشق عام (1916-1994 م)

آثاره الشعريه:

شظایا، مجله المناهل، 1939.

سعاد، 1953.

سداسيه الوطن المحتل، دمشق، دار مجله الثقافه، 1970 م.

نور ونار، دمشق، دار مجله الثقافه، 1970، وكذلک بوینس آیرس، 1972.

عطش وجوع، دمشق، وزاره الثقافه، 1974.

ألوان وألحان، بوینس آیرس، دار میسلون، 1978.

فی متاهات الطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1984.

دیوان زکی قنصل، دمشق، وزاره الثقافه، 1986.

أشواک، الرياض، دار الرفاعی، 1993.

الأعمال الكامله، جده، 1995.

أمسيات شعريه مسجل صوتی.

محرز، عبد اللطيف محمد

ولد فی بیت ناعمه بسوريه عام (1932 م)

أعماله الشعريه:

العصور الأخضر، دمشق، المطبعه الجديده، 1991.

أناشيد البحر، دمشق، 1992.

أناشيد الحق فى رحاب على عليه السلام، 1994.

أناشيد الحياه، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1997.

شجرات الدماء، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000.

ص:323

حقائق وأوهام، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2002.

محمود، عبد الرحيم

ولد فى طولكرم بفلسطين عام (1916-1948 م).

آثاره الشعريه:

ديوان عبد الرحيم محمود، بيروت، دار العوده، 1974.

الأعمال الكامله، عمان، دار الكرمل، 1993.

محمود، راشد حسين

ولد فى قريه مصمص بفلسطين عام (1936-1977 م)

آثاره الشعريه:

مع الفخر، الناصره، مطبعه الحكيم، 1957.

صواريخ، الناصره، مطبعه الحكيم، 1958.

أنا الأرض لا تحرمنى المطر، بيروت، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1976.

قصائد فلسطينيه، القاهره، لجنه إحياء التراث، 1980.

مفلح، محمود

ولد فى سمخ بفلسطين عام (1943).

أعماله الشعريه:

مذكرات شهيد فلسطينى، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1976.

المرايا، بيروت، مؤسسه الرساله، 1979.

الرايه، الأردن، دار عمال، 1983.

حكايه الشال الفلسطينى، الرياض، دار العلوم، 1984.

شموخاً أيتها المآذن، عمان، دار الفرقان، 1987.

فضاء الكلمات، الرباط، دار الأمان، 1987.

إنها الصحوه.. إنها الصحوه، المنصوره، دار الوفاء، 1991.

ص:324

نقوش إسلاميه على الحجر الفلسطينى، المنصوره، دار الوفاء، 1991.

غرد يا شبل الإسلام، عمان، دار البشير، 1991.

المناصره، عز الدين

ولد فى بلده بنى تميم الخليل بفلسطين عام (1946 م).

أعماله الشعريه:

ديوان عز الدين المناصره، الكويت، منشورات كاظمه، 1968.

ليت للبراق سيفا، 1970.

قمر جرش كان حزيناً، 1973.

بالأخضر كفناه، 1976.

لنن يفهمنى أحد غير الزيتون، 1976.

يا عنب الخليل، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، 1983.

الخروج من البحر الميت، بيروت، دار العوده، 1981.

حصار قرطاج، تونس، دار محمد على المحامى، 1983.

جفرا، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، 1983.

الكنعانيات، بيروت، الدار العالميه، 1983.

كنعانيا ذا، بيروت، الدار العالميه، 1983.

حيزيّه، 1990.

الأعمال الكامله الشعريه، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، 1994.

الموسى، خليل جريس

ولد فى قريه تبنه بدرعا سوريا عام (1942 م)

أعماله الشعريه:

أعشاب، دمشق، 1997.

مرايا الروح، دمشق، 2001.

ثلاثيه الدم والنهار فى أسفار المتنبى، 2004.

ص:325

العوده إلى أوروک، 2006.

أنثى القصيده، 2006

هارون، هند

ولدت فى اللاذقيه عام (1928-1996 م)

آثارها الشعريه:

شمس الحب، دمشق، 1983.

سارقه المعبد، دمشق، 1978.

ديوان عمار، دمشق، 1978.

بين المرسى والشراع، دمشق، وزاره الثقافه، 1984.

عمار فى ضمير الأمومه، دمشق، 1988.

الهوارى، صالح محمد

ولد فى سمخ بفلسطين عام (1938)

أعماله الشعريه:

الدم يورق زيتوناً، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1972.

المطر يبدأ العزف، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1977.

عصافير بلادى للأطفال، دمشق، وزاره الثقافه، 1981.

الموت على صدر البرتقال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1983.

بطيّاً يمر الدخان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1984.

هنادى تغنى للأطفال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1987.

أم أحمد لا تبيع مواويلها، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1990.

أغانى أيوب الكنعانى، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1994.

مرايا الياسمين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1998.

ومن فرح بكينا، دمشق، 2000

ما قال الغيم للشعر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000.

ص:326

خاتمه البحث

حاولت أن أعالج فى هذه الرحله الطويله والشاقه - نسبياً - من هذا البحث الأسئله التاليه:

- هل كان نصيب للقدس ما بين عامى «1948-2000 م» فى الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين وما هو مقداره وما هى أبعاده؟

- ما هى اتجاهات شعر القدس وما هى أبرز دواعيه الشعريه؟

- هل استطاع شعر القدس أن يحرک المدينه ويجعلها قضيه الإنسان العربى والإنسان المسلم الأولى؟

- ما هو تأثير القدس كمدينه أو قضيه على الشعر العربى الحديث فى سوريه ولبنان وفلسطين.

- وما هو موقف الشعراء من القدس ومن هُم أهمُّ روّاده؟

- هل هناک نتاج أدبى وفنى لشعر القدس؟

- ما هى أبرز ملامح شعر القدس شكلاً ومضموناً؟

- إلى أى حدّ يعكس الشعر علاقه الشاعر والمتلقى بتحرير القدس؟

ص:327

- وهل قدم الشاعر للقدس الحلول المناسبه أم انطوى على الذات ولاذ بالبكاء والعويل؟

ومن هذا المنطلق حاولنا الإجابه على هذه الأسئله مستندين بالنصوص الشعريه وبغضّ النظر عن انتماءات أصحابها الفكريه والإيديولوجيه، أى نظرنا إلى شعر القدس بما هو شعر وكما رسمه الشاعر أخذاً مادته من أحاسيسه وعواطفه ومشاعره تجاه القدس.

مما لا شک فيه أن نكبه فلسطين عام «1948» غيّرت حياه العالم الإسلامى بشكل عام والحياه الفلسطينيه والعربيه بشكل خاص بما فيها الحياه الأدبيه والشعريه.

وبما أن الشعراء قلب الأمه النابض، وما للقدس من مكانه فى قلوب الناس، فمنذ الساعات الأولى للاحتلال الصهيونى، لا بل قبل ذلک حمل الشاعر سلاح الكلمه للذّب عن الأرض والذّات والإنسان، ومن خلال تتبعى لشعر القدس (1948-2000) وجدت أن الشعراء كانت لهم ثلاثه اتجاهات رئيسيه هى:

1. الدواعى والاتجاهات العربيه.

2. الدواعى والاتجاهات الإسلاميه.

3. الدواعى والاتجاهات السياسيه.

ثم لاحظنا كيف حاول شعراء القدس ومن خلال هذه الاتجاهات معالجه قضيه الاحتلال كى تبقى القدس لأهلها ولجميع العرب والمسلمين وكيف واكبوا حدث الفاجعه.

من هنا فقد تضمن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التى تناولها شعراء القدس والتى عكست المأساه ووضعت الحلول لها وما يجب أن يمارس من أجل تحريرها، وكان من الطبيعى أن لا يقتصر شعر القدس على

تسجيل الوقائع، وذلک لأن الأدب سلاح حاد يمکن استخدامه لهزيمه العدو وفی حد ذاته دواء شاف لعوامل الضعف وثغرات الهزائم، لذا دعا الشعراء للنضال حاثين الأمه على المقاومه والجهاد ومقارعه الاحتلال ومعرفه خيوط المؤامرات، ففی الاتجاه الأول رکّز الشعراء على العروبه والقضايا العربيه والقوميّه کعامل أساس لتوحيد الجبهه ضد العدو وإنقاذ فلسطين والقدس. وقد استمر هذا الاتجاه إلى يومنا هذا شده وضعفاً، فنادى رواده بإرجاع العرب إلى ماضيهم التليد وما کان لهم من مواقف مشرفه وشجاعه قد شهد لها التاريخ فأيقظوا الضمائر الخامده واستصرخوها لإنقاذ القدس، فکان لبعضهم قصائد تحمل فی طياتها النقد اللاذع أمثال نزار قبانی والياس قنصل وزکی قنصل وهارون هاشم رشيد وحسن البحيری وغيرهم، والملاحظ أن الخطاب والتوجه الشعری لهذا الاتجاه شمل جميع الأطياف، والجوانب تقريباً ولکن حظ المرأه والشباب کان ضئيلاً ويمکن القول بأنه عکس الاتجاه الإسلامی حيث هناک توجه الشعراء للدور الفعال الذی يمکن أن يلعبه الشباب والمرأه خاصه لإرجاع القدس وفلسطين. حظيت المدينه - القدس - فی هذه الاتجاهات العربيه والقوميه باهتمام أکثر بعد عام (1967) فأصبحت محوراً أساسياً فی شعر القدس، واستمر هذا التوجه إلى يومنا هذا حيث لا تکاد تجد ديواناً خالياً من قصائد تخص القدس بالذات، ولکنّه بعد اندلاع الانتفاضه الأولى «1987» انحدر بشکل ملحوظ.

أمّا من الناحيه الکميه فکان نصيب القدس فی هذا الاتجاه کما رتّب فی بدايه الفصل الأول، وأمّا من الناحيه الکيفيه فالقول يختلف إذ کان الشعر فی بدايه الاحتلال يختلف عما هو عليه الآن إذ سلک مسلک النضج والموضوعيه والعقلانيه أکثر، وهذا واضح.

وعلى أيّه حال استطاع شاعر هذا الاتجاه أن يجعل المدينه صامده

مقاومه وغير جامده، والملاحظ أن القدس لفت نظر الشعراء أكثر بعد حادثه إحراق المسجد الأقصى (1969/9/21) فأصبحت القدس قضيه سلبت الكرى عن عيون الشاعر الملتزم فلهذا صبّ جام غضبه شعراً إذ لعله لا يستطيع فعل أكثر من هذا.

وأمّا ما توصل إليه البحث فى الفصل الثانى - الدواعى والاتجاهات الإسلاميه - لقد كانت محاوره الخمسه هى أهم ما دار حول شعر القدس فى الفتره (1948-2000) وقد تبيّن لنا:

أولاً: إن المحاور حسب كميه القصائد الوارده فيها هى كالترتيب التالى:

الشهاده والشهيد، الصمود والمقاومه، اليقظه الإسلاميه، الثوره والجهاد، الوحده الإسلاميه ففى معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقه القويه بين شاعر القدس والواقع الذى صوّره فى تلك المحاور التى كانت نابعه من أعماق النفس الإنسانيه والأحاسيس الوجدانيه فى كلمات تشعر بالمشاعر الحماسيه المتأججه والمتفجره.

فقد انطلقوا بدورهم فى تعبئه الأمه العربيه والأمه الإسلاميه للوقوف فى وجه العدوان ومقاومه الاحتلال حتى الشهاده فى سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجه واضحه حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها، إلا أن قاطبه أولئك الشعراء غفلوا عن محور القدس والوحده الإسلاميه مع ماله من الأهميه الخطيره إذ أن القدس تتعلق بالمسلمين جميعاً.

ثانياً: قد تفاوتت القصائد فى هذه المحاور فيما بينها شكلاً واقتربت مضموناً وهى تعرض لنا صوره القدس ولا يبدو المكان فى هذه القصائد ظل ساكناً وإنما كانت الحركه فيه سريعه تبث الحياه فيه، إذ استطاعت أن تجعل منه قضيه للإنسان الفلسطينى بل للإنسان العربى والمسلم.

ثالثاً: كانت الصفه الغالبه فى قصائد القدس فى هذه المحاور هى الخطابيه المباشره.

رابعاً: إن شعر القدس فى هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنما كان فعلاً مقاوماً محرضاً على الثوره والجهاد، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (1948) حتى عام (2000) وكانوا حريصين على متابعه يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقه كالشاعر نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، حسن البحيرى، سليمان العيسى، على عقله عرسان و.. فحملوا هموم أمّتهم وإسلامهم من أجل القدس الصامده.

من الواضح أن هذه المحاور هى قيم يشترك فيها المسلم وغيره فكان المناط فى اختيار القصيده هو ما قيل وليس القائل فحسب.

ويمكن أن نشير إلى بعض نتائج الفصل الثالث أى الدواعى والاتجاهات السياسيه - القدس الضمير السياسى - القدس الوحده العربيه الإسلاميه - قضيه السلام - الانتفاضه المقدسه - فكان أبرزها:

أولاً: استمد شعر القدس السياسى فى الفتره الزمنيه ما بين عامى (1948-2000 م) مستقياً مادته الشعريه، من أبرز الأحداث السياسيه والوطنيه والعسكريه، ومن المستجدات أنها تشبه قصائد الفصل الأول لا سيما المحور الأول والثانى والثالث منه إذ أنها نجحت فى تحريك الحدث فى القصيده وتحريک المكان، فبدت القدس كرمز بارز للوطن المحتل ومقاومه الاحتلال.

ثانياً: صوره الالتزام تبرز واضحه المعالم فى كل هذه المحاور لا سيما المحور الأخير - الانتفاضه المقدسه. إذ ظل قلب الشاعر والمتلقى معلقاً بالقدس وفلسطين فهو يرى فى الانتفاضه سبيلاً من سبل التحرير والوصول إلى الحريه الضائعه.

ثالثاً: بادر الشعراء بالتحريض على الوحده العربيه، مؤكدين على تحرير

القدس من خلالها، قاذفين أعباء اللوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان السبب الرئيسى فى ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جل شعراء القدس - فى محور البحث - دعاه السلام مؤكدين أن تحرير القدس والأرض المحتله لا يكون إلا عبر نيران المدافع وسواعد الرجال حيث أصبح - حسب معتقدهم - السلام أوهاماً ليس إلا، وذلك نتيجه إصرار العدو على الاحتلال، وتعنته فى العمليه السلميه لأكثر من مره. والمفهوم من النصوص الشعريه أنهم ليسوا ضد السلام العادل الذى يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأبى الله ورسوله والمؤمنون.. والأحرار ذلك.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمساً وأكثرهم قصائداً فى هذا الفصل - الدواعى والاتجاهات السياسيه - هو نزار قبانى، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسه حزيران عام 1967 لقضيه القدس حتى اتُّهم حيناً ومُجّد حينا آخر، ثم يأتى بعده فى المرتبه الثانيه هارون هاشم رشيد، وكان كل منهما قد قدّم حلولاً لا بأس بها.

سادساً: منذ أن بدأ محمود درويش ونزار قبانى مسيرتهما فى الشعر السياسى فُتح الباب أمام الشعر السياسى فكان بدايه لا نهايه لها.

سابعاً: تأثر الشعر فى هذا الاتجاه وبشكل غير مباشر بالثوره الإسلاميه فى إيران وأفكار الإمام الخمينى، والجنوب اللبنانى حيث أعطى القدس حيويه وصموداً وتحركاً أكثر من السابق.

ثامناً: ترتيب قصائد القدس فى هذا الفصل من ناحيه الكم هى كالتالى:

محور القدس والضمير السياسى (أربع عشره قصيده)

محور القدس والسلام (خمس عشره قصيده).

محور القدس والانتفاضه المقدسه (ثمان قصائد)

محور القدس والوحده العربيه (ست قصائد)

وأمّا فی الباب الثانی من هذه الدراسه، فقد حاول البحث أن یبرز النتائج التالیه:

أولاً: بثّ الشعراء الحیویه فی القدس واستمرار الحیاه فیها عبر استخدام الصور القرآنیه والدّینیه، وقدّموا الفکره من خلالها بشکل مباشر أحیاناً وبشکل إیحائیّ أو رمزی حیناً آخر، کما شاهدنا فی قصیده «القدس» لنزار قبانی وأکثر الشعراء الآخرین.

ثانیاً: توظیف الشخصیات التراثیه والتاریخیه وعلی رأسها شخصیه النبی محمد صلی الله علیه و آله والسید المسیح علیه السلام والإمام الحسین علیه السلام والشهداء وذلک لربط القدس بالتاریخ والتراث لإعطائه صوره مهمه لا یمکن تجاهلها والتهاون بها.

ثالثاً: واکب شعر القدس التطور الفنی علی المستوی العربی والعالمی، لذا استخدم أسالیب الدراما والمسرح والفنون السینمائیه أمثال المونتاج والقصیده النثریه والقصصیّه وذلک بشکل واسع.

أیضاً انتشرت ظاهره شعر التفعیله فی شعر القدس وقد أخذت مأخذها وإلی یومنا هذا.

رابعاً: مما یلفت النظر استخدام الأمور العاطفیه والأحداث والحیاه الیومیه حیث أصبحت هذه ظاهره صارخه فی صیاغه صوره القدس الشعریه، ولعلها الظاهره الأکبر أثراً علی المکان والمتلقی أیضاً، إذ جعلت القدس لا تغیب عن الأذهان.

خامساً: استخدام القاموس اللغوی البسیط عند أکثر الشعراء الذین أنشدوا القدس شعراً، ولعل السبب فی ذلک یرجع إلی شمولیه هذا النوع من الشعر ودائره اتساعه، ولکن الملاحظ إن بعض الشعراء سلک مسلکاً عکس هذا أمثال الشاعر خالد أبو خالد ونجیب مصطفی جمال الدین ولأسباب لا أعرفها.

سادساً: بعض الشعراء مرّ علی قضیه القدس مرور الکرام أمثال الشاعر

أدونيس، محمد الماغوط، شوقى بغدادى، عصام ترشحانى، عبد الكريم الناعم، فايز خضور، فؤاد كحل، سعيد عقل، صالح هوارى، أنور العطار، شوقى أبى شقراء.

سابعاً: لاذ بعض الشعراء وانطوى على نفسه وغلب اليأس عليه إلى حد ما، ولكن جُلّ الشعراء عالج قضيه القدس بحكمه وحنكه شعريه وشعوريه، ولذا نجد الحلول المناسبه فى شعره أمثال نزار قبانى، هارون هاشم رشيد، نجيب مصطفى جمال الدين، سليمان العيسى، على عقله عرسان زكى قنصل..

ثامناً: اتضح لى أن التركيب الكمي - شعراً وشاعراً - فى محور البحث هو فى الدرجه الأولى فلسطين والأمر واضح والدرجه الثانيه سوريه وفى الدرجه الثالثه لبنان.

وفى نهايه المطاف أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً ولو يسيراً لإحياء القدس والقضيه الفلسطينيه، ولو بقدر رأس أنمله.

ص:334

شهاده

نشرت مجله الموقف العربى فى عددها 464 السنه التاسعه والثلاثون كانون الأول 2009 مقالاً للدكتور غسان غنيم - من أبرز أساتذه جامعه دمشق - أشاد الكاتب بمكانه القدس وفلسطين لدى الإيرانيين وببعض ما كتبوا عنها من بحوث وكتب ومنها هذا الكتاب قائلاً:

مكانه فلسطين - والقدس لدى الإيرانيين قديماً وحديثاً

يعود تاريخ مدينه القدس إلى حقبه بعيده فى التاريخ، حيث تشير المصادر التاريخيه إلى أنها قد بُنيت على يد ملك اليبو سيين <ملكيا صادق> واليبوسيون قبيله عربيه هاجرت من الجزيره العربيه فى بدايه الألف الثالث (ق. م) واستوطنت فى هذه البقعه من الأرض. وقد سميتِ المدينه بدايه <يبوس> نسبه إليهم، وهو من أقدم أسماء القدس التى اتخذت أسماء كثيره فيما بعد، حتى استقرت على اسم <القدس> الذى عُرفت وما زالت تعرفُ به. وهى مدينه تتمتع بمكانه قدسيه دينيه، تزيد من حساسيه وجودها، والسيطره عليها.

مرت القدس تاريخياً بعهود كثيره أولها العصر الكنعانى.. وهو عصر التأسيس وبقيت السياده فيه للكنعانيين على القدس حتى حوالى (1000) ق. م ثم زحف

ص:335

الملک البابلی <نبوخذنصّر> حوالی عام (597) ق. م. فاحتلها وأخذملكها وقاده جيشه أسرى إلى بابل فی العراق بعد ما غيّر نظام الحكم فی القدس.

وعاد إلى القدس إثر تمرّد بعض اليهود، فأوقع هزيمه كبرى بهم وسبى أكثر السكان إلى بابل <وهذا ما عُرف تاريخياً بالسبی البابلی...الهخامنشی> ملک الفرس آنذاک على البابليين عام 1539 ق. م. أخضع القدس، وأصبحت له السلطه عليها وألحقها بدولته طيله قرنين، وقد استمر العصر الفارسی فی القدس حتى نهايه حكم <داريوش> الثالث وبدايه الاحتلال الاسكندری عام 332 ق. م.

ثم توالت عليها العصور حتى الفتح الإسلامی، حيث سلم بطريارک القدس <سفرونيوس> مفاتيح القدس للخليفه الثانی <عمر> فبادر الخليفه إلى استلام المدينه ومفاتيحها بنفسه عام <636 - م/ 16 هالتكفير الإسلامی> وثمه أحاديث عند الرسول (أنه قال <من أراد أن ينظر إلى بقعه من بقاع الجنه، فلينظر إلى بيت المقدس> (1).

هذه المكانه الدينيه جذبت الكثير من الإيرانيين فی العصور الإسلاميه المتتابعه لزياره القدس <بيت المقدس> والتحدث عن مزاياها وفضائلها ومنهم <أبو حامد الغزالی> (450-505 ه)، والشاعر <الخاقانی> (510-592 ه) و <فريد الدين العطار> (537-589 ه) و <جلال الدين الرومی> (604-672 ه) وسعدی <الشيرازی> (606-691 ه).

فالغزالی مثلا نزل فی دمشق مده سنتين ثم غادر ها إلى بيت المقدس

وأقام فيها مده من الزمن، وفى القدس شرع فى تأليف كتابه: >إحياء علوم الدين< الذى أتمه فى دمشق. ثم نُقل إلى اللغه الفارسيه مختصراً بعنوان >كيمساوى سعادت< أى >كيمياء السعاده..< ويقال إنه ألف فى القدس أيضاً >الرساله القدسيه فى قواعد العقاعد< (*).

أما الشاعر الخاقانى: فقد ذكر >بيت المقدس والمسجد الأقصى< كثيراً فى ديوانه وقد كتب الرحاله >ناصرخسرو (394-481) عند القدس ووصفها فى كتابه >سفرنامه< وقد استفاض خسرو فى ذكر بيت المقدس التى مّربها قادماً من لبنان فى طريق سفره للحج، لأداء الفريضه، ثم عاد إليها مره أخرى واصفاً مشاهداته ومدوّناً مذكراته فيها يوماًبيوم، فقد جاءإلى >عكا< بدايه مع أخيه الأصغرو غلامه الهندى وهناك زار مشاهد الأنبياء - ثم على قرى >البروه< و >دامون< و >أعبلين< حيث قبر هود ثم الى حطين، حيث قبر شعيب وقبر ابنته زوج موسى - ثم إلى إربد ومنها إلى كفر كنه - ثم عاد إلى طبريه، ثم إلى حيفا، ومنها إلى قريه >كنيسه< ثم قيساريه - ثم إلى الرمله ومنها إلى اللطرون. وقريه العنب حتى وصل إلى بيت المقدس. ويذكر >ناصرخسرو< بشىء من العجب أن اهل الشام وتلك النواحى يطلقون على بيت المقدس >البيت المُقَدَّسبيت المقدس< (2).

كتب خسرو أن طبيعه القدس، ومناخها وأبنيتها، آثارها التاريخيه والدينيه ومظاهر حياه أهلها، و عاداتهم وتقاليدهم، ووصف المساجد والأماكن الدينيه.

فقد وصف المسجد الأقصى، وقبّه الصخره وصفاً دقيقاً، يدلُّ على حبّه وتدلهه بهما، حيث دعم وصفه بالأرقام الدقيقه، مع ذكرأدق الأشياء وأصغرها، يقول فى وصف مدينه القدس: >[مدينه]. مشيّده على قمه الجبل، وليس بها غير ماء الأمطار، وليست ذات عيون والمدينه محاطه بسور حصين من الحجر والجص، وعليها أبواب حديديه. وليس بقربها أشجار قط، فإنها

على رأس صخرى..وهو وحده وزن تعادل 600 مثقال< من زيت الزيتون يحفظونها فى الأبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم< (3).

ذكر عدد سكان المدينه القدس عام 438 ه. فقال إنه كان >عشرون ألف رجل..< وربما قصد (بالرجل) >شخصاًوادى جهنم< ويصفه فيقول: هو >واد عظيم الانخفاض، كأنه خندق وبه أبنيه كثيره على نسق أبنيه الأقدمين ورايت فيه قبه من الحجر المنحوت مقامه على بيت لم أر أعجب منها. حتى إن الناظر ليسأل نفسه: كيف رُفعتْ فى مكانها؟

ويقول العامه: إنها بيت فرعون >(4)< ويقول العوام إن من يذهب الى ناحيته، يسمع صياح اهل جهنم فإن الصدى يسمع هناک، وقد ذهبتُ فلم أسمع شيئاً< (5).

ثم وصف الصخره بقوله: >إنهاحجر أرزق اللون لم يطأها أحد برجله قطوفى ناحيتها المواجهه للقبله انحفاض، كأن إنساناً سار عليها فبدتْ أثار قدمه فيها< (6).

إما وصفه ل >مسجد الصخره< فذكر أنه مبنى على حافه المدينه من الناحيه الشرقيه ويطل أحد حيطانه على وادى جهنم وارتفاعه (100) ذراع من الحجر الكبير الذى لا يفصله عن بعضه >ملاط< أو >جص

ص:338

مغطاه بحجاره موثوقه إلى بعضها بالرصاص وفيه رواق عظيم جميل ارتفاعه ثلاثون ذراعاً. وعرضه عشرون، وله جنحان منقوشه واجهتاه وإيوانه بالفسيفساء. المثبته بالجص، وهى من الدقه بحيث تبهر النظر وله بابان مزخرفان؟؟ من النحاص الدمشقى، وقد طعّما بالذهب وحليّا بالنقوش الكثيره. وطول كل منهما خمسه عشر ذراعاً. وعرضه ثمان (.. إلخ...).

وهو وصف يدل على الدقه والحب لأنه يتتبع أدق التفصيلات التى تستغرق صفحات طويله وطويله.

أما فى العصر الحديث فيمكن الحديث عن حضور القدس والقضيه الفلسطينيه منذ ما بعد الثوره الإسلاميه التى فجّرها آيه الله الخمينى (A.R.Khomeini 1989-1900) الذى شكل مر جعاً أعظم، وقائداً سياسياً ودينياً للشعب الإيرانى، فقد تنبه الإمام الخمينى مبكراً إلى أخطار الصهيونيه العالميه، فذكر فى البيان الذى القاه فى أيلول عام 1961.. الخطر المحدق بالعالم الإسلامى قال: >إننى بحكم مسؤوليتى الشرعيه أعلن عن الخطر المحدق بشعب إيران والمسلمين فى العالم. إن القران الكريم والإسلام معرّضان للسقوط فى قبضه الصهيونيه التى ظهرتْ فى صوره طائفه البهائيه... < (7).

و بعد نجاح الثوره الإسلاميه فى إيران. عملت الثوره على قطع العلاقات مع إسرائيل وإدانه سياستها التوسعيه فى البلاد العربيه ودعمتْ النضال الفلسطينى لتحرير القدس من الاحتلال الإسرائيلى، وقامت بفتح سفاره لفلسطين فى طهران، وكان مقرّها هو المقر السابق للسفاره الإسرائيليه فى العهد السابق >عهد الشاه< نكايه بالصهيونيه وحباً بفلسطين والقدس، إضافه إلى تشكيل فرقه عسكريه بإسم جيش القدس

مناسبه سانحه إلا ویذکر هؤلاء فلسطین والقدس والمسجد الأقصی.. ففی نداء الإمام السید >علی الحسینی الخامنئی< إلی حجاج بیت الله الحرام فی عام 1420 ه 2000 م یقول: (وفی قلب العالم الإسلامی وفی قارات آسیا وإفریقیا وأوروبا تنزل سیاط الإمبریالیه العالمیه وغضبها علی أجساد ملایین المسلمین، و تُحرقُ فلسطین والقدس، ولبنان بنیران قسْوه الصهاینه..< (8).

أو یقول متبنیاً قضیه فلسطین: >أمریکا لا یمکن أن تؤمّل استعاده إیران إلی دائره سیطرتها، وأن تقضی علی صحوه الإسلام فی البلدان الإسلامیه وأن تقدّم فلسطین دونما معارضه للصهاینه العنصریین السفاکین...< (9).

فهو یضع مصیر الثوره الإسلامیه والصحوه الإسلامیه فی البلدان الإسلامیه، بموازاه عدم تقدیم فلسطین للصهاینه العنصرین، مما یؤشر إلی مدی حضور قضیه القدس وفلسطین لدی الإیرانیین سأعرض أسماء بعض الکتب مما اهتم بالقدس وفلسطین... منها:

کتاب (هادی خسروشاهی) (تاریخ بیت المقدس ومسأله فلسطین) نشر فی قم 1975 م.

وکتاب (موحد خوئی) (المسجد الأقصی وبیت المقدس) نشر فی قم 1982 م.

کتاب السید (محمد حسین الطباطبائی) (تفسیر المیزان) الذی ذکر جمله کبیره من الأحادیث التی تتناول بیت المقدس، ومدی قدسیتها.

کتاب منوجهر أمیری >أیا سفر نامه ناصرخسرو تلخیص أز متن مفصّلتر؟).

هل الرحله تلخیص لنص أطول، فی کتاب (یادنامه ناصر خسرو - مطبوعات جامعه مشهد 1976 ولابد من التعریج علی رساله دکتوراه تقدّم بها السید >جهاد فیض الإسلام< بإشراف الأخ الدکتور خلیل موسی فی جامعه دمشق بعنوان (القدس فی الشعر العربی الحدیث) نوقشت فی 2007/2/29 تحدّث فیها الباحث الإیرانی الشاب بمنتهی الحب عن القدس تدفعه عاطفه

دينيه ووطنيه صادقه تجاه القدس وفلسطين ففى الإهداء يقول: >إلى الذين تضرجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج، فلسطين...< وفى المقدمه يظهر عاطفته الصادقه بكلمات تنضح من معين المحبه والتأثر.. يقول: >ربما لا تجد على وجه الأرض إنساناً يمتلك ضميراً حيّاً وهو لا يفكر بقضيه القدس وفلسطين، ولا يهتم بهما. إذ أصبحتْ القدس وفلسطين فى العقود الأخيره. حديث الساعه وهاجس القلب...< (10).

ويضع فى أهداف البحث ومسوّغاته: >المحاوله لتحريص ودفع الشعر إلى خدمه القدس الشريف..< (11).

وهذا ما يثبت أن الإيرانيين، وعلى الأخص بعد الثوره الإسلاميه 1979 قد اهتموا للقدس ولقضيه القدس... ولقضيه فلسطين بعامه، ووفقوا إلى جانب الحق العربى، وإلى جانب أبناء القدس وفلسطين... ومما لاشك فيه أن لاهتمام الإيرانيين بالقدس وبفلسطين دوافع دينيه صادقه، كما كانت الحال مع الإيرانيين القدماء من مثل، الغزالى، وفريد الدين العطار، وجلال الدين الرومى، وسعدى الشيرازى، وناصر خصرو... وسواهم.

كما أن لهم دوافع سياسيه ودينيه، صادقه تجاه القدس وقضيه فلسطين فى المرحله الراهنه، كما هى الحال مع الإمام الخمينى الزعيم الروحى والسياسى والشاعر وقائد الثوره، التى اتجهت بإيران بكليتها نحو فلسطين والحق الفلسطينى بعد أن كانت إيران فى عهد الشاه إلى جانب إسرائيل، و ضد الحق العربى والفلسطينى. وهذا ما رأيناه مع الإمام الخامنئى الذى وضع القضيه الفلسطينيه بموازاه المحافظه على استمراريه الثوره الإيرانيه بالتساوى.

إضافه إلى الدارسين والمؤلفين المعاصرين، كما هى الحال مع الباحث جهاد فيض الإسلام وسواه... من مثل هادى خسروشاهى - وموحد خوئى وغيرهم كثير.

إن تبنى الثوره الإسلاميه لقضيه فلسطين بعد نجاحها عام 1979 لدليل

على مدى حضور القدس وفلسطين فى قلوب الإيرانيين وعقولهم... ولعلى لا أكون مبالغاً إذا ما قلت بأن تحرير القدس وفلسطين سيكون لإيران والإيرانيين دورٌ فاعل وأساسى فيه.

الهوامش:

(1) الحنبلى - مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مكتبه دنديس - عمان 1999 ج 1، ص 360.

(*) بكار، يوسف حسين: نحن وتراث فارس. منشورات المستشاريه الثقافيه الإيرانيه 2000 م.

(2) بكار، يوسف حسين: المرجع السابق ص 103.

(3) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص 104.

(4) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص 107.

(5) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص 107.

(6) بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص 109.

(7) بهلوان - سمر: العلاقات السوريه الإيرانييه منذ نهايه الحرب الثانيه حتى قيام الثوره - مجله جامعه دمشق مجلد (22) العدد (3-4)2006. ص 317-318.

(8) نص نداءالإمام على الخامنئى إلى حجاج بيت الله الحرام 1420 ه مجله الثقافيه الإسلاميه. المستشاريه الإسلاميه.

(9) المصدر السابق: ص 13

(10) فيض الإسلام، جهاد - القدس فى الشعر العربى الحديث، رساله دكتوراه فى جامعه دمشق 2007، المقدمه، ص أ.

(11) المرجع السابق، ص ب.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع الدينيه والمقدسه

1. القرآن الكريم.

2. الكتاب المقدس، دار الشرق، بيروت، 1981.

3. محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفه، ط 4، بيروت، 1994.

4. آيه الله ناصر مكارم شيرازى، تفسير القرآن الكريم (تفسير الأمثل)، قم، 2003.

5. التفسير التطبيقى للكتاب المقدس، القاهره، 1997.

ثانياً: المصادر والمراجع العامه

6. ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغه، دار إحياء الكتب العربيه، 1965.

7. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسه الأعلمى، بيروت، 1971.

8. ابن سينا، الشفاء، تحقيق أحمد نواد الأهوانى، وزاره التربيه والتعليم، القاهره، 1958.

9. ابن عساكر، التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، 1997. (تاريخ مدينه دمشق).

10. ابن فارس، مقاييس اللغه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصريه، 1964.

11. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1996.

12. الأزهرى، تهذيب اللغه، ج 12، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دارالفكر،

د. ت.

13. البستانى، محيط المحيط، مكتبه لبنان، بيروت، 1983.

14. الجاحظ، الحيوان، ج 3، دار الجليل، بيروت، 1996.

15. الجوهرى، الصحاح، ج 1، دار الحضاره العربيه، بيروت، 1974.

16. الطبرى، تاريخ الطبرى، ج 3، دار سويدان، بيروت، د. ت.

17. عبد العزيز سعود البابطين، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، هيئه المعجم، 2002.

18. القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعه الإنشاء، ج 4، دار الكتب العلميه بيروت، 1987.

19. المجلسى، بحار الأنوار، ج 12، مؤسسه الوفاء - دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1983.

20. المنجد فى اللغه والإعلام، دار الشرق، بيروت، 2000.

21. محمد محمود، الموسوعه الأدبيه، دار الفكر اللبنانى، بيروت، 2001.

22. الموسوعه العربيه العالميه، مؤسسه أعمال الموسوعه، الرياض، 1996.

23. الموسوعه الفلسطينيه، هيئه الموسوعه، دمشق، 1984.

24. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج 5، دار بيروت للطباعه والنشر، بيروت، 1957.

25. يعقوب أميل، قاموس المصطلحات اللغويه والأدبيه، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصه

26. ابن الجوزى، تذكره الخواص، مؤسسه آل البيت عليهم السلام، بيروت، 1981.

27. ابن رشيق، العمده فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار المعرفه، بيروت، 1988

28. أبو أصبع صالح، الحركه الشعريه فى فلسطين المحتله، المؤسسه العربيه للدراسات، بيروت، 1979.

29. أبو ناصر عدنان حسين، فلسطين فى خطاب الإمام الخمينى، مطبعه إخوان، دمشق، 2000.

30. أبو نضال نزيه، الشعر الفلسطينى المقاتل، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1974.

31. أدونيس، زمن الشعر، دار العوده، بيروت، 1972.

32. أرسطو، فن الشعر، شرح وتحقيق عبد الرحمن بدوى، دار الثقافه، بيروت، د. ت.

33. أسعد على، صناعه الكتابه، دار السؤال، ط 4، دمشق، 1981.

34. أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبه الأنجلو المصريه، ط 4، القاهره، 1972.

35. موسى باشا عمر، الأدب فى بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليک، دمشق، 1964.

36. بركات جميل، فلسطين والشعر، دار الشروق، عمان، 1989.

37. توما أميل، ستون عاماً على الحركه القوميه الفلسطينيه، دار ابن رشيد، 1978.

38. جيده عبد المجيد، الاتجاهات الجديده فى الشعر العربى المعاصر، مؤسسه نوفل، بيروت، 1980.

39. الجيوسى سلمى خضراء، موسوعه الأدب الفلسطينى، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت، 1997.

40. حاطوم نوم الدين، نحو الوحده العربيه، معهد البحوث والدراسات العربيه، القاهره، 1969.

41. حاوى إيليا، نزار قبانى شاعر قضيه والتزام، ج 3، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، 1973.

42. حتى فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافه، بيروت، 1982.

43. حسان عبد الحكيم، النظريه الرومانتيكيه، دار المعارف، 1971.

44. الدقاق عمر، فنون الأدب المعاصر فى سوريه، دار الشرق، حلب، 1971.

45. الدقاق عمر، تاريخ الأدب الحديث فى سوريه، منشورات جامعه حلب، ط 2، 1979.

46. الدهان سامى، الشعر العربى الحديث فى الإقليم السورى، جامعه الدول العربيه - معهد الدراسات العربيه العالميه، 1997.

47. رمزى هيام، فدوى طوقان شاعره أم بركان، دار الكرمل، عمان.

48. الزيات أحمد حسن، الرساله، ج 4، دار الثقافه، ط 3، بيروت، 1973.

ص:345

49. سقيرق طلعت، الانتفاضه فى شعر الوطن المحتل، دار الجليل، دمشق، 1999.

50. سماره منيه، فلسطين فى ذاكره العالم، دار طبريا، الأردن، 1988.

51. السوافيرى كامل، الشعر العربى الحديث فى مأساه فلسطين، مكتبه نهضت مصر، 1964.

52. السوافيرى كامل، الاتجاهات الفنيه فى الشعر الفلسطينى المعاصر، مكتبه الأنجلو المصريه، القاهره، 1973.

53. السيد أحمد عزت، انهيار أسطوره السلام، دار الفكر الفلسطينى، ط 2، دمشق، 2003.

54. الشايب أحمد، أصول النقد الأدبى، مكتبه النهضه المصريه، ط 8، القاهره، د. ت.

55. شراد شلتاغ عبود، تطور الشعر العربى الحديث، دار مجدلاوى، عمان، 1998.

56. صبح على، الصوره الأدبيه تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربيه، القاهره، د. ت.

57. صبحى محيى الدين، الكون الشعرى عند نزار قبانى، الدار العربيه للكتاب، تونس، 1982.

58. صدوق راضى، شعراء فلسطين فى القرن العشرين، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت، 2000.

59. الصوّاف محمد توفيق، الانتفاضه فى أدب الوطن المحتل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982.

60. ضيف شوقى، فى النقد الأدبى الحديث، دار المعارف، القاهره، 1977.

61. العارف عارف باشا، نكبه بيت المقدس والفردوس المفقود، المكتبه العصريه، بيروت، 1952.

62. عباس إحسان، فن الشعر، دار بيروت، ط 3، بيروت، 1959.

63. عبود حنا، النزوحات الكبرى ومعالم الأدب العربى، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979.

64. عسّاف ساسين، الصوره الشعريه، دار مارون عبود، 1985.

65. عساف ساسين، الصوره الشعريه ونماذجها فى إبداع أبى نواس، بيروت، المؤسسه الجامعيه للدراسات، 1982.

66. العسلى كامل جميل، القدس فى التاريخ، مطبعه جامعه الأردن، عمان، 1992.

67. عصفور جابر، النقد الأدبى، دار الكتاب العربى، 2003.

ص:346

68. عطاء الله موسى، نقاط على حروف السلام، مكتب الأسره، القاهره، 2002.

69. العلايلى عبد العلى، تهذيب المقدمه اللغويه، دار النعمان، لبنان، 1968.

70. عوض ريتا، بنيه الشعر الجاهلى والصوره الشعريه لدى امرئ القيس، دار الآداب، بيروت، 1992.

71. عياد شكرى معين، مدخل إلى علم الإسلوب، دار العلوم للطباعه والنشر، الرياض، 1982.

71.72. الفارابى محمد بن محمد، الموسيقى الكبير، دار الكتاب العربى، القاهره، د. ت.

72.73. الفراء محمد على عمر، السلام الخادع، دار مجدلاوى، عمان، 2001.

73.74. القبانى نزار، مع الشعر، منشورات نزار قبانى، بيروت، 1997.

74.75. القط عبد القادر، الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر، دار النهضه العربيه، بيروت، 1978.

76. المسيرى عبد الوهاب، من الانتفاضه إلى حرب التحرير الفلسطينيه، دار الفكر المعاصر، دمشق، 2002.

77. المصرى حسين مجيب، القدس بين شعراء الشعوب الإسلاميه، دار الثقافه للنشر، 2002.

78. مكى الطاهر أحمد، الشعر العربى المعاصر، دار المعارف، ط 4، القاهره، 1972.

79. الملائكه نازک، قضايا الشعر المعاصر، دار الآداب، بيروت، 1962.

80. ميرفت دهان، نزار قبانى والقضيه الفلسطينيه، بيسان، بيروت، 2002.

81. نجم محمد يوسف، نزار قبانى شاعر لكل الأجيال، دار سعاد الصباح، الكويت، 1998.

82. وحيد علاء الدين، شعر اليقظه الإسلاميه فى بدايه القرن العشرين، دار سنابل، 1995.

83. الولى محمد، الصوره الشعريه فى الخطاب البلاغى والنقدى، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1990.

رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعريه

84. ابن الساعاتى، الديوان، ج 2، المطبعه الأمريكيه، بيروت، 1939.

85. أبو خالد خالد، وسام على صدر الميليشيا، دار الآداب، بيروت، 1971.

86. أبو خالد خالد، شاهراً سلاسلى أجىء، اتحاد الكتاب العرب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، 1974.

87. أبو ريشه عمر، الديوان، ج 1، دار العوده، بيروت، 1971 م.

88. أبو ريشه عمر، الديوان، ج 2، دار العوده، بيروت، 1971 م.

89. أبو سلمى، عبد الكريم الكرمى، المشرد، دمشق، 1963.

90. أسرحنا، أمه وجراح، دار ميسلون، بوينس آيرس، 1980 م

91. أبو الطيب المتنبى، ديوان المتنبى، شرح العكبرى، دار المعرفه، بيروت، د. ت.

92. أبو العتاهيه، ديوان أبى العتاهيه، تحقيق شكرى فيصل، جامعه دمشق، 1965.

93. امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، مؤسسه الأعلمى، بيروت، 2001.

94. البحيرى حسن، حيفا فى سواد العيون، مطابع العلم، دمشق، 1973.

95. البحيرى حسن، لفلسطين أغنى، دار الحياه، دمشق، 1982.

96. البحيرى حسن، لعينى بلادى، مطبعه الصباح، دمشق، 1991.

97. البرادعى خالد محيى الدين، مجله الثقافه الإسلاميه، المستشاريه الثقافيه الإيرانيه، دمشق، 2004.

98. البستانى وديع، فلسطينيات، دار البشائر، بيروت، 1981.

99. الجبل بدوى، ديوان بدوى الجبل، دار العوده، بيروت، 1978 م.

100. جمال الدين نجيب مصطفى، الكتابه على أعمده الشمس، وزاره الثقافه، دمشق، 1976.

101. جمال الدين مصطفى، قصائد إلى عاصمه المده الشرقيه، إداره المساحه العسكريه، دمشق، 1982.

102. الحاج عيسى محيى الدين، من فلسطين وإليها، المطبعه السوريه، حلب، 1975.

103. الحامد بدر الدين، ديوان بدر الدين الحامد، وزاره الثقافه، دمشق، 1975.

104. حامد محمود، موت على ضفاف المطر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983.

105. حامد محمود، شهقه الأرجوان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

106. حامد محمود، بيسان، وزاره الثقافه العسكريه، دمشق، 2002.

107. حاوى خليل، ديوان خليل حاوى، دار العوده، بيروت، 1972.

108. حجازى عذيران، القدس فى القلب وفى الأسر، الدار البيضاء، المغرب، دون تاريخ.

109. الحصنى عفيفه، شهيد التضحيات، مطابع الناشر العربى، القاهره، 1970.

110. حلاق عبد الله يوركى، حصاد الذكريات، مطبعه الضاد، حلب، 1966.

111. حلاق عبد الله يوركى، أسديات، دمشق، 1993.

112. حلاق عبد الله يوركى، عصير الحرمان، وزاره الثقافه، دمشق، 1990.

113. حمصى عبد الكريم، ألحان من اليرموك، مطبعه الاتحاد، دمشق، 1992.

114. الحمصى الخضر، الليل والطريق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

115. الحوت محمود، المهزله العربيه، منشورات البصرى، بغداد، 1951.

116. الخطيب يوسف، العيون الظمأى للنور، المطبعه العموميه، دمشق، 2001.

117. الخطيب يوسف، واحه الجحيم، دار الطليعه، بيروت، 1964.

118. الخورى رشيد سليم، ديوان القروى، دار المسيره، بيروت، 1978.

119. الخورى ناصر، سنابل، اتحاد الكتاب العرب، 1979.

120. خيربک جابر، شوارد النقم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

121. درويش محمود، ديوان محمود درويش، دار العوده، بيروت، 1994.

122. دمّر على، الديوان، النادى الأدبى الثقافى، جده، 1987.

123. رشيد كمال، شدو الغرباء، مؤسسه الجمعيه العلميه للطباعه والنشر، عمان، 1983.

124. رشيد كمال، القدس فى العيون، دار الوفاء للطباعه والنشر، القاهره، 1990.

125. الرفاعى عبد المنعم، المسافر، الدار المتحده للنشر، بيروت، 1979.

126. رشيد هارون هاشم، عوده الغرباء، المكتب التجارى، بيروت، 1956.

127. رشيد هارون هاشم، مفكره عاشق (قصائد للقدس) المطابع الموحده، 1980.

128. رشيد هارون هاشم، ديوان هارون هاشم رشيد، دار العوده، بيروت، 1981.

129. رشيد هارون هاشم، ثوره الحجاره، دار العهد الجديد، تونس، 1988.

130. رشيد هارون هاشم، طيور الجنه (قصائد للشهداء) دار الشروق، القاهره، 1998.

131. رشيد هارون هاشم، ورده على جبين القدس، (قصائد للسجناء والمبعدين) دار الشروق، القاهره، 1998.

132. رشيد هارون هاشم، الصمود والحزن، تونس، 1983.

133. رشيد هارون هاشم، قصائد فلسطينيه، دار مجدلاوى، عمان، 2003.

134. الزركلى خير الدين، ديوان خير الدين الزركلى، مؤسسه الرساله، بيروت، 1980.

135. زياد توفيق، الأعمال الشعريه الكامله، مطبعه الاتحاد، حيفا، 1966، ودار العوده، 1971.

136. شمس الدين محمد حسين، النازحه، كليه الحقوق، 1950.

137. طوقان فدوى، الليل والفرسان، دار العوده، بيروت، 1982.

138. طوقان فدوى، ديوان فدوى طوقان، دار العوده، بيروت، 1984.

139. طوقان فدوى، الأعمال الكامله، المؤسسه العربيه للدراسات، بيروت، 1993.

140. العبوشى برهان الدين، جبل النار، بغداد، 1956.

141. العبوشى برهان الدين، إلى متى، مطبعه المعارف، بغداد، 1972.

142. العدنانى محمد، اللهيب، المكتبه العصريه، بيروت، 1954.

143. العدنانى محمد، العدنانيات، المكتبه العصريه، بيروت، 1960.

144. عرسان على عقله، فلسطينيات، وزاره الثقافه، دمشق، 1971.

145. عرسان على عقله، الأعمال الشعريه الكامله، اتحاد الكتاب العرب، 2002.

146. عكاوى محمد إياد، لبيک يا أقصى، المكتب الإسلامى، بيروت، 2001.

147. علّوش جميل، صوت الشعر، دار الينابيع، 1991.

148. العيسى سليمان، فلسطينيات، دار فلسطين، دمشق، 1995.

149. العيسى سليمان، الأعمال الشعريه، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت، 1995.

150. الكيلانى حسين زيد، أطياف وأغاريد، وزاره الثقافه، عمان، 1990.

151. القاسم سميح، الوطن المحتل، دار فلسطين، دمشق، 1967.

152. القاسم سميح، الأعمال الكامله، ج 1، دار سعاد الصباح، 1993.

153. قبانى نزار، الأعمال الكامله، منشورات نزار قبانى، ط 5، بيروت، 1993.

154. قنصل زكى، الأعمال الكامله، جده، 1995.

155. قنصل إلياس، ألحان الغروب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1978.

156. محرز عبد اللطيف، أناشيد الحق فى رحاب على عليه السلام، دمشق، 1994.

157. محرز عبد اللطيف، شجرات الدماء، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

158. محرز عبد اللطيف، حقائق وأوهام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

159. مفلح محمود، المرايا، مؤسسه الرساله، بيروت، 1979.

160. مردم بک خليل، الديوان، المجمع العلمى العربى، دمشق، د. ت.

161. محمود عبد الرحيم، ديوان محمود عبد الرحيم، دار العوده، بيروت، 1974.

162. المناصره عز الدين، الأعمال الكامله، المؤسسه العربيه للدراسات، بيروت، 1994.

163. النابلسى، عفيف، نفحات عامليه، قصائد للمقاومه والشهداء، دار الهادى، 2001.

164. هارون هند، سارقه المعبد، دار الأنوار للطباعه، دمشق، 1977.

خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعيه

165. بكرى عكو، الثوره وقاضاياها فى الشعر العربى المعاصر فى سوريه من (1948-1967 م)، رساله ماجستير، إشراف أ. د. عمر الدقاق. جامعه حلب، 1991 (مخطوط).

166. عربيه هيفا، الصوره الفنيه فى الشعر العربى الحديث، الإحيائيه والرومانسيه والمعاصره، رساله دكتوراه، إشراف أ. د. عصام قصبجى، جامعه دمشق، 1998 م.

167. د. الكيالى عبد الرحمن، الشعر الفلسطينى فى نكبه فلسطين، رساله دكتوراه، بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات، 1975 (مطبوع).

سادساً: الكتب المترجمه

168. أوستن وادرى وصاحبه، نظريه الأدب، ترجمه محيى الدين الصبحى، دمشق، 1972.

169. العسلى، كامل جميل، القدس فى التاريخ، عمان، مطبعه الجامعه الأردنيه، 1992.

170. دى لويس، سيسل، الصوره الشعريه، ترجمه أحمد نصيف الجنابى وآخرون، بغداد، وزاره الثقافه، 1982.

171. مطهرى، مرتضى، الملحمه الحسينيه، تعريب: محمد الخاقانى، بيروت، الدار الإسلاميه ط 2، 1992.

172. مطهری، مرتضی، الشهید یتحدث عن الشهید، تعریب: محمد الخاقانی، بیروت، الدار الإسلامیه، 2000.

ص:351

سابعاً: الكتب الأجنبيه

أ) اللغه الفارسيه

173. سليمان حييم، القاموس المعاصر، طهران، مؤسسه القاموس المعاصر، 2001.

174. السيد هادى خسروشاهى، تاريخ بيت المقدس ومسأله فلسطين، نشر كتاب، قم، 1975.

175. موحد الخوئى، المسجد الأقصى وبيت المقدس، قم، منشورات الكتاب، 1982.

ب) اللغه الانجليزيه

176. Cattan Henry, the Question of Jerusalem. London, 1980.

177. Haim S. the Shorter English - Persian Dictionary, Tehran, 1993.

178. Grabar O. Encyclopaedia of islam, voluue5, Leiden 1979.

ثامناً: الدوريات

179. جريده تشرين، دمشق.

180. مجله الثقافه الإسلاميه، دمشق.

181. مجله عالم الفكر، الكويت.

182. الرساله، القاهره.

183. مجله الوسط، لندن.

184. المعرفه، دمشق.

اكتفيت بذكر أسماء الدوريات التى أخذت أو استفدت منها، أما الجزئيات فقد أشرت إليها فى هوامش الصفحات.

ص:352

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.